

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القري
كلية شرعية والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة



أهم خصائص السور والآيات الملكية ونفاصدها

رسالة مقدمة
لتحليل درجة الدكتوراه

في
الكتاب والسنة

إعداد

الدكتور عبد البرور

إشراف

الدكتور يوسف عبد الرحمن الضبيح

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ
١٩٨٠ - ١٩٨١ م



٢٢٩٣

١١٠

Handwritten signature and date: ١٤٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لتقدم بوافر الشكر والتقدير لجامعة ادرمان الاسلاميية
التي اتاحت لي ولزملائي فرصة التحضير للدراسات
الملييا في هذا البلد الامين - مكة المكرمة .

كما اتقدم بالشكر والتقدير للقائمين على امر كلية الشريعة
والدراسات الاسلاميية بجامعة أم القري بمكة المكرمة على ما قدموا
لنا من أسباب الراحة الماديية والمعنويية ما اعاننا على
أداء مهنتنا على أحسن وجه فجزاهم الله عنا كل خير .

ويسعدني في هذا المقام أن اشكر المستشار الثقافي
لسفارة جمهورية السودان الديمقراطية بجدته على ما بذله
من مجهود لمساعدتنا لا داء هذا الواجب .

واتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور محمد محمد أبو الزهر
الذي أشرف على تخطيط هذه الرسالة ووجهني الى اهم
المراجع التي رجعت اليها .

وانني أتوجه الى الله الطلي القدير أن ينفرد لشيخنا
المرحوم الدكتور مصطفى امون التازي . وأن يتجا وز عنه
انه غفور رحيم - فقد افادني كثيرا من علمه واعطاني من وقته
فرحمه الله رحمة واسعة .

(ب)

وبما ان هذه الرسالة قد ائتمت وأث ثمارها بتوجيهات
فضيلة الدكتور يوسف عبد الرحمن الضبع ، فاننى أتوجه الى الله
العلی القدير أن يجزيه عنى خير الجزاء ، فقد قدم لى الكثير
من وقته وجهده ، فله ولكل من شارك بالتوجيه حتى تم انجاز
هذه الرسالة خالص تقديرى واحترامى .

وأصلى واسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وامام المرسلين وعلى آله
وصحبه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة

فى يوم الجمعة ٣٠ رمضان ١٤٠١ هـ

الموافق ٣١ يوليو ١٩٨١ م

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً .
وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، القائل :

* انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون *

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه ،
ارسله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .
وأبده بالمعجزات الباهرة التى ابغيا واخدها القرآن
الكريم . فادى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ،
وتركها على المحجة البيضاء . ليلها كنهارها . فسلوات
الله وسلامه على هذا النبى الكريم وعلى آله وصحبه ، ومن
سلك طريقه وهتدى بهديه الى يوم الدين ،

أما بعد :

فانه من نعم الله التى أنعم بها علينا أن هيا لى فرصة
الدراسة فى هذا البلد الأيمن ، للتحضير لدرجة الدكتوراة .
فأخذت أقلب الرأى مستمينا بالله . ثم بأراء اساتذتى وزملائى
لاختيار موضوع يكون مجالا للبحث .

فوقع الاختيار بحمد الله تعالى على أن اكتب فى :

" أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها "

وذلك لأننى وجدت أن من كتبوا فى المكى والمدنى - على
كثرتهم - قل أن يخرجوا به عن إطار التعريف والضبط الذى
التوسع فى خصائصه ومقاصده • وان حصل ذلك فبطريقة مقتضبة •
حتى ان الشيخ عبد العظيم الزرقانى فى كتابه مناهل العرفان
فى علوم القرآن ، يقول فى بداية حديثه عن المكى والمدنى :

” ليس من غرضنا فى هذا البحث أن نستقصى بالتفصيل
والتدليل آيات القرآن الكريم وسوره وان نحقق ما كان منها مكيًا
وما كان منها مدنيًا ، فلك محاولات كبيرة جدية أن تفرد بالتأليف^(١) ”

وبرغم قصر باعى وقلته زادى فقد رجوت الله تعالى أن
يحينى على القيام بهذه المهمة الصعبة • وان البحث فى هذا المجال
مهم للغاية لأنه يتعلق بكتاب الله تبارك وتعالى •

قال الزركشى^(١) فى البرهان فى علم القرآن :

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى فى

كتاب : التنبية على فضل علم القرآن :

” من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجبهاته وترتيب ما نزل بمكة

(١) مناهل العرفان فى علم القرآن ج ١ ص ١٨٥ ط عيسى البابى

• الحلبي

(٢) هو : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى •

ابتداءً ووسطاً وانتهاءً ، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك . ثم ما نزل
بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي . وما نزل
بمكة في أهل المدينة . وما نزل بالمدينة في أهل مكة . ثم
ما يشبه نزول المكّي في المدني ، وما يشبه نزول المدني
في المكّي . الخ " (١)

ويرى الدكتور صبحي الصالح أن العلم بالمكّي والمدني أحوج
إلى التمييز من أسباب النزول . لأن كل سورة إما مكية أو مدنيّة ،
بينما أسباب النزول تتعلق ببعض الآيات ، لأن من القرآن ما نزل
ابتداءً من غير سبب .

يقول صبحي الصالح :

" ولعلنا لا نرتاب إذا وضعنا العلم القرآنيّة موضع الموازنة ،
فإن العلم بالمكّي والمدني أحوجها إلى تمييز الروايات وتحقيق
النصوص ، والتحاكم إلى التاريخ الصحيح . وهو على كل حال إلى هذا
أحوج من أسباب النزول . لأن العلم بتلك الأسباب يتناول ضرباً
معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية .
ولا يتناول شيئاً من التفصيلات القرآنية الأخرى التي نزلت
ابتداءً غير مبنية على أسباب . أما علم المكّي والمدني فلا غنى
له عن تناول القرآن كله سوراً وآيات ، فكل سورة منه إما مكية

(١) ج ١ ص ١٩٢ ط : عيسى البابي الحلبي .

أومدنية ، كما ان كل آية من القرآن معروفة الهوية واضحة السيرة .
 فاذا اختلطت بخير زمريها اخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم
 الدقيقة حتى قاطموا أو كادوا يقطعون بأنها تنتمي الى النوازل
 المكية أو المدنية . كان العلم بالمكي والمدني اذا خليقا
 بالعناية البالغة التي احيط بها . وجديرا ان يعد بحق منطلق
 العلماء ، لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الاسلامية . والتعرف
 على خطواتها الحكيمة ، المتدرجة مع الاحداث والظروف والتطلع
 الى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدينة وفي
 البادية والحاضرة " (١)

ان دراسة المكي والمدني مفيدة جدا لمعرفة الناسخ
 والمنسوخ والمتقدم والمتأخر .

جاء في كتاب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لأبي محمد
 مكي بن أبي طالب . تحقيق الدكتور : احمد حسن فرحات ، قال
 وهو يتكلم على شروط ناسخ القرآن ومنسوخه :

" ومن ذلك أن تعلم أن المدني من الآي ينسخ المدني
 الذي نزل قبله ، وينسخ المكي لأنه نزل قبل المدني . لأن الآية
 لا يجوز أن تنسخ ما لم ينزل بعد . والمكي نزل قبل المدني " أه
 (٢)

(١) مباحث في علم القرآن ص ١٧٦

(٢) ص ٩٩

كما يفيد في معرفة سير الدعوة الإسلامية وكيف كان
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ، ويحاوّر المشركين ويرد
على أسئلتهم التي كثيراً ما كانت تخرج عن نطاق المقبول والمقبول
إلى الاستهزاء والسخرية . كما ذكر لنا ذلك الحق تبارك وتعالى
في كتابه العزيز :

* ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر
الناس الا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي
بالله والملككة قبلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى
السماء ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه . قل سبحان
ربى هل كنت الا بشرا رسولا * (١)
(٢)
على حسب ما هو مبين فى موضعه من هذه الرسالة .

مفرد البحث فى هذه الرسالة :

من المعلوم أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان أن هذه
السورة مكية وتلك مدنية - لأنه لم يؤمر بذلك ، ولأن الصحابة
عليهم رضوان الله لم تكن لهم حاجة إلى ذلك ، فهم يشاهدون منازل التنزيل

(١) الايات من ٨٩ - ٩٣ من سورة الاسراء

(٢) انظر المبحث الثانى من الباب الثالث .

(ح)

وبهذه المشاهدة يدركون زمان ومكان نزول الايات القرآنية .

جاء في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخارى للامام
الحافظ أحمد بن حجر : أن الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود قال :

” والله الذى لا اله غيره ما انزلت سورة من كتاب الله
الا انا أعلم أين أنزلت ، ولا نزلت آية من كتاب الله الا انا أعلم فيمن
انزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الا بل لركبت
اليه ” (١)

ذلك

فمعرفة / لا سبيل اليها الا بما ثبت عن الصحابة والتابعين .

ولقد سرت في اعداد هذه الرسالة على الآتى :

أولا :-

حددت الاطار العلم لفهوم المكى والمدنى عند العلماء .
ورغم اختلافهم فى ذلك ، فقد اخترت اشهر الاراء عند الجمهور
وهو اختيار الزمان لا المكان ولا الأشخاص . لأن هذا التعريف
يتميز بالضبط والحصص .

ثانيا :-

بينت السور المكية والمدنية ، وبرغم الاختلافات الكثيرة فى
ذلك . فقد تتبعت اكثر الروايات صحة واخذت بها . كما قمت
بدراسة مفصلة لكل سورة من السور التى ورد فيها الخلاف . تبين

(١) انظر فتح البارى - كتاب فضائل القرآن ج ٩ ص ٢٧ المطبعة

لى من خلالها اسلوبها وموضوعها أو موضوعاتها التى عالجتها ،
وهذا يسر لى معرفة جوهر السورة التى نزلت فيه ان كان قبل الهجرة
أم بعدها •

ثالثا :- بينت الايات المدنية فى السور المكية . والايات المكية فى السور
المدنية بما ثبت عندى من الروايات المثبتة فى كتب السنة •

رابعا :- وضحت أهم السمات البارزة للسور والايات المكية ، اسلوبا
وموضوعا ، وهذا يسر لى كثيرا كشف المقاصد التى عينت السور
المكية بمعالجتها •

خامسا :- تتبع أهم الموضوعات التى اشتركت السور المكية فى
معالجتها • وذلك : كقضية الوحدانية ، وقضية اثبات الرسالة ، وتأيد
الرسول بالمعجزات ، وقضية البحث والجزاء •

سادسا :- أهم الكتب التى رجعت اليها :

ان من أهم الكتب التى رجعت اليها - بعد القرآن الكريم -
كتب السنة ، مثل صحيح البخارى (١) وصحيح مسلم (٢)

(١) هو : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المظيرة •

(٢) هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى •

والجامع الصحيح للترمذى (١) وصندد الامام أحمد (٢) . وكتاب فتح

البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر (٣) وغيرهم كثير .

ومن التفاسير : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤) وتفسير

الكشاف للزمخشري (٥) وتفسير القرطبي (٦) الجامع لاحكام القرآن

والتفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى .

كما استفدت كثيرا من كتاب فى ظلال القرآن الكريم للمرحوم

الاستاذ سيد قطب وغيرهم كثيرا كما هو مبين فى ثنايا هذه

الرسالة .

ومن كتب علوم القرآن - استفدت كثيرا من : البرهان

فى علوم القرآن للزركشى ، والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى (٧) -

واستفدت من كتاب اسباب النزول للواحدى النيسابورى (٨) وكتاب

لباب النسقول فى اسباب النزول - وغير ذلك .

(١) هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة .

(٢) هو الامام أحمد بن حنبل

(٣) هو : أحمد بن على بن حجر

(٤) هو ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

(٥) هو ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري

(٦) هو ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى (٧) هو جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

(٨) هو على بن احمد الواحدى ابو الحسين .

خطة البحث :-

- اشتمل البحث على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .
- وقد جاء هذه الرسالة على النحو التالي :

المقدمة :

- بينت فيها السبب الداعي لاختيار هذا الموضوع ، وأهميته
كما بينت فيها الضمير الذي التزمته عند كتابة الرسالة .

الباب الأول :- وفيه ستة مباحث :

- البحث الأول : في المراد بالمكي والمدني عند العلماء .
- البحث الثاني : في الضوابط التي يعرف بها كل من المكي والمدني .
- البحث الثالث : في خصائص السور والايات المكية .
- البحث الرابع : في بيان السور المتفق على مكيتها والمختلف فيها .
- البحث الخامس : في بيان الايات المكية في السور المدنية والايات المدنية في السور المكية .
- البحث السادس : في بيان بعض التشريعات الاجمالية في السور المكية .

الباب الثاني - في المقصد الأول من مقاصد السور المكية

وهو اثبات التوحيد وإبطال الشرك وأدلة

ذلك • وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في الدعوة إلى وحدانية الله تعالى •

المبحث الثاني : في مناقشة المشركين في معتقداتهم الفاسدة •

• وإبطال الشرك بالله •

المبحث الثالث : في لفت النظر إلى آيات الله الكونية وما فيها

من البراهين والأدلة العقلية على توحيده

الله •

الباب الثالث - في المقصد الثاني من مقاصد السور والآيات المكية

وهو اثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في بيان صحت النبي صلى الله عليه وسلم على

فترة من الرسل •

المبحث الثاني : في انكار المشركين أن يكون الرسول من

البشر •

المبحث الثالث : في تأييد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات •

المبحث الرابع : في ضرب المثل بمنكرى الرسالات السابقة

للحيرة والموعظة •

الباب الرابع - في المقصد الثالث من مقاصد السور المكية

وهو اثبات البعث والجزاء

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف البعث . ويطلق أنه عقيدة سائر

الأنبياء .

المبحث الثاني : في مناقشة منكرى البعث وييان شبرهم

والرد عليهم .

المبحث الثالث : في بيان اثبات الجزاء على الاعمال في الدار الاخرة .

الخاتمة : وقد بينت فيما الفائدة التي أهدتها من هذا

البحث .

الباب الأول

في

خصائص السور والآيات المكية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الباب الأول

في خصائص السور والایات المكية وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : في المراد بالمكي والمدني عند العلماء :

للعلماء في تعريف المكي والمدني من القرآن الكريم ثلاثة اصطلاحات • وذلك يرجع الى اختلاف انظار المصنفين • فمنهم من نازر الى القرآن باعتبار مكان نزوله ومنهم من نظر اليه باعتبار حال المخاطبين به • ومنهم من نازر اليه باعتبار زمان نزوله • فمن عرفه باعتبار مكان نزوله عرفه بقوله : ان المكي ما نزل بمكة المكرمة والمدني ما نزل بالمدينة المنورة ، ويدخل في مفهوم مكة ضواحيها مثل منى وعرفات والحديبية • ويدخل في مفهوم المدينة ضواحيها مثل بدر وأحد • والملاحظ ان هذا التعريف لا يدخل تحته الا ما نزل بمكة وضواحيها • والمدني وضواحيها • أما ما نزل في غير هذه الاماكن على حسب هذا الرأي فانه لا يطلق عليه مكي ولا مدني • وهذا التعريف غير خالص لأنسه لا يدخل فيه ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالأسفار • مثل قوله تبارك وتعالى في سورة التوبة :

(١)

﴿ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ﴾

فانها نزلت في شأن من تخلف عن غزوة تبوك بتبوك • ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم (٢) • والمراد بالعرض القريب الخفيفة •

والسفر القاصد أى القريب (١) .

ومثل ذلك آية التيمم التى فى سورة المائدة وهى قوله

تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاضلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الماء الطاهر ولمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ (٢)

فقد أخرج البخارى بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله

عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره

حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول

الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء

وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبى بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة

أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم

ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وانزع رأسه على فخذي

قد نام فقال : حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء

وليس معهم ماء ، قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول (٤)

وجعل يطحن بيده فى خاصرتى ولا يمنحنى من التحرك إلا مكان رأس رسول

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) آية رقم ٦

(٣) مكان بين المدينة وخيبر وبه جزم النورى فتح البارى ج ١ ص ٤٣٢

(٤) يحنى من التقريع والتأنيب

الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حتى أصبح . فأنزل الله آية التيمم فتييموا . فقال اسيد بن الحضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته (١) " ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك (٢) . فهذه الآيات وأمثالها لا توصف بأنها مكية ولا مدنية في هذا التصريف . وعليه فان التصريف غير حاصر .

ومن عرفه باعتبار حال المخاطبين به عرفه بقوله : ان المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة (٣) وذلك أن القوم كانوا في جاهلية وأن الغالب عليهم هو الكفر لا الايمان فخطبوا به : * يا أيها الناس * فحيثما كان الخطاب بهذه الصفة فهو خطاب لأهل مكة . وأما ما صدر ب * يا أيها الذين آمنوا * فهو خطاب لأهل المدينة لأن الايمان كان هو الغالب على أهلها . وذكر السيوطى فى الاتقان : أن بعضهم قد زاد صيغة * يا بنى آدم * والحقها يا أيها الناس واسند ذلك لأبى عبيدة فى كتابه فضائل القرآن قال السيوطى :

" اخرج ابو عبيدة فى كتابه فضائل القرآن عن ميمون بن مهران قال : ما كان فى القرآن يا أيها الناس أو يا بنى آدم فهو مكي وصل كان يا أيها الذين آمنوا فهو مدنى . " (٤)

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٢٢١ - ٢٢٢ المطبعة السلفية

(٢) صحيح الامام مسلم ج ١ ص ٢٧٩ طبعة دار احياء الكتب العربية

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ص ٩ ج ١ طه المكتبة الثقافية بيروت

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٧

ويؤخذ على هذا التقسيم أنه غير حاضر أيضا إذ أنا نجد
آيات كثيرة في القرآن الكريم ليس فيها يا أيها الناس ولا يا أيها الذين
آمنوا • كما يؤخذ عليه أنه غير مضطرد • فسورة النساء مثلا مدنية
ومفتحة بيا أيها الناس قال تعالى :

* يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به
والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا * (١) وقال السيوطي : قال الشيخ
فخر الدين الرازي في تحقيقه على هذا الرأي :

" إن كان الرجوع فيه إلى النقل فسلم • وإن كان السبب فيه
حصول المؤنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف إذ يجوز أن يخاطب
المؤمنون بصفاتهم وباسم جنسهم • ويؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة كما
يؤمر المؤمن من الاستمرار عليها والازدياد منها فالخطاب في الجموع
ممكن • " (٢) أهـ .

وتحقيقه الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل
العرفان حيث قال : قال بعضهم هذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه
نادر وإن أريد به الغالب فصحيح " (٣) أهـ

وقال الدكتور محمد محمد أبوشهبية في كتابه المدخل لفهم
علوم القرآن : " لكن هذا لا يفيد في شيء إذ أن التقاسيم والتعاريف
مبناها على الضبط والحصص والاضطراد " (٤) قلت : وهذا ما لم يستوف في هذا
التصنيف فكان ناقصا •

(٢) ج ١ ص ٨٧

(١) آية رقم ١

(٤) ص ٢٢٣

(٣) ج ١ ص ٩

ومن نظر اليه باعتبار نزوله عرفه بقوله :

ان المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان نزوله بغير مكة . والمدنى ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بغير المدينة ويدخل فيه ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في سفره وان كان خارج مكة . وذلك مثل "سورة الجن" : فقد اخرج البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب . فرجعت الشياطين فقالوا مالكم ؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب . قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء الا ما حدث . فاضربوا مشارق الارض ومغاريبها فانظروا ما هذا الامر الذى حدث ؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الارض ومغاريبها ينظرون ما هذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحلة (١) وهو عامد الى عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له . فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا الى قومهم فقالوا : يا قوضا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشدا فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم * قل أوحى اليّ أنه استمع نفر من الجن * (٢)

ومثل سورة الفتح فانها قد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في منصرفه من الحديبية كما ذكر ذلك الامام أحمد في مسنده قال : عن قتادة

عن أنس - بن مالك - قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية
نزلت هذه الآية : * انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنوبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * قال المسلمون
يا رسول الله هنيئا لك ما اعطاك الله • فمالنا فنزلت :

* ليدخل المؤمن والمؤمنة من تحتها الا نهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما * (١)

وفي صحيح البخارى بسنده عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه
ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم • ثم سأله فلم يجبه • ثم سأله فلم يجبه • فقال عمر بن الخطاب
ثكلت أم عمر نزلت - رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي الححت عليه - ثلاث
مرات كل ذلك لا يجيبك • قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس
وخشيت أن ينزل في القرآن فما نشبت - أي لم اتعلق بشيء غير ما ذكرت -
أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن • فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة
لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس • ثم قرأ * انا فتحنا لك فتحا
مبينا * •

يقول ابن حجر : قوله : عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر - هذا السياق صورته الارسال لأن مسلما
لم يدرك زمان هذه القصة • لكنه محمول على أنه سمعه من عمر • بدليل
قوله في اثائه : قال عمر فحركت بعيري • والى ذلك أشار

القاسمي (١) - وجاء في رواية الطبراني من طريق عبد الرحمن بن أبي
عقبة عن ابن مسعود ان السفر المذكور هو عمرة الحديبية (٢) اهـ

وكذلك آية سورة المائدة * اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً * (٣) رغم أنها نزلت بعرفة فسي
حجة الوداع .

فقد أخرج البخاري بسنده عن طارق بن شهاب " قالت اليهود
لعمركم نقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً . فقال عمر : انسى
لا أعلم حيث انزلت واين انزلت . واين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انزلت
يوم عرفة وانا والله بعرفة . قال سفيان واشك كان يوم الجمعة أم لا .
* اليوم أكملت لكم دينكم * وقد جاء الجزم بأن ذلك كان يوم الجمعة من رواية
قيس بن أسلم .

الموازنة بين الآراء الثلاثة :

بعد أن عرضنا هذه الآراء الثلاثة في تعريف ما هو المكي وما هو
المدني من القرآن الكريم عند العلماء لا بد من الموازنة بينهما وترجيح
ما يمكن ترجيحه والميل اليه . وعندما ينظر الى هذه الآراء نجد ان الاول
منها لوحظ فيه مكان النزول فجعل المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة
ولا وسط بينهما . ولقد ثبت - كما بينا - أن هناك آيات قد نزلت خارج مكة
واخرى قد نزلت خارج المدينة وعند اصحاب هذا الرأي فانه لا يطلق

(١) القاسمي هو :

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٥٨٢-٥٨٣ (٣) آية رقم ٢

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ٢٧٠ باب * اليوم أكملت لكم دينكم *

عليه مكى ولا مدنى • وعليه فان هذا التعريف غير حاصر لأنه كما قال السيوطى يثبت بواسطة (١) فما نزل بالاسفار لا يسمى مكيا ولا مدنيا • وعدم الحصر عيب يخل بالتعريف •

أما الرأى الثانى - على حسب ما جاء في الترتيب - فهو القائل : ان المكى ما وقع خطابا لأهل مكة والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة • وهذا التعريف كذلك غير حاصر • فهناك آيات كثيرة فى القرآن ليس فيها يا ايها الناس - ولا يا ايها الذين آمنوا • كما انه غير مضطرد ، اذ ان سورة البقرة وهى مدنية النزول نجد فيها : * يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * (٢)

وكذلك افتتاحية سورة النساء - والسورة كلها مدنية : * يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا * (٣)

وعلى ذلك فانه غير حاصر ولا مضطرد وذلك عيب يخل بالتعريف كما تقدم •

أما الاصطلاح الثالث وهو المشهور بين العلماء فهو القائل : * ان المكى ما نزل قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان نزوله بغير مكة والمدنى ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بمكة * (٤)

(١) الاتقان ج ١ ص ٩

(٢) رقم ١

(٣) آية رقم ٢١

(٤) الاتقان في علم القرآن ج ١ ص ٩

فان هذا المصطلح ضابط لا فراده وحاصلها لانه اعتبر الزمان
لا المكان ظرفا للنزول (١)

قال الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه المدخل لدراسة القرآن

الكريم :

" هذا التقسيم حاصر وضابط ومضطرر . اذ تتقدم على القول
به الواسطة . ولا يرد عليه ما ينقصه فلذا كان الراجح المقبول " (٢) هـ

والدكتور صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن يميل

الى هذا المصطلح الزماني ويقول :

لما كان موضوع المكي والمدني ذاصلة وثيقة بالتاريخ كان اختيارنا

للمصطلح الزماني بدلا من اعتبارنا بالمكان أو الأشخاص كما رجحه

كثير من العلماء ومال اليه . ثم ساق أمثلة يوء يد بها ترجيح هذا

الرأي فقال :

قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله

عليم خبير ﴿ (٣) نزل بمكة اذا التمسنا المكان ويوم الفتح بعد الهجرة

اذا تحرينا الزمان . والفرض منه الدعوة الى التعارف وتذكير الانسانية بوحدة

أصلها اذا عنيها الموضوع . وهوان راعينا الاشخاص خطاب لأهل مكة والمدينة على

السواء . فما سماه العلماء مكيًا على الاطلاق ولا مدنيًا على الاطلاق .

(١) والنزول فعل من الافعال ودلالة الفعل على الزمان وضعية .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢ طبعة

(٣) آية رقم ١٢ سورة الحجرات

بل أدرجوه في باب ما نزل بمكة وحكمه مدني" (١) اهـ

وأقول : ان خطاب يا ايها الناس لم يكن خطابا لأهل مكة
والمدينة فحسب، بل هو خطاب لكل الناس في مكة والمدينة وغيرهما .
هذه واحدة . والثانية : ان ما تعارف عليه العلماء في قولهم : ما نزل
بمكة وحكمه مدني أو ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي فهو كله فيما أرى
يدخل في هذا التعريف . فهو اما ان يكون قبل الهجرة فمكّي أو بعدها
فمدني في أي مكان نزل . هذا ما حملني على الترجيح لهذا المصطلح
على المصطلحين السابقين لا كتمثال شروط التعريف، وهي الضبط
والحصر والاضطراد ، وعلى هذا المفهوم سيكون منسجما في البحث لخصائص
السور والآيات المكية ومقاصدها .

المبحث الثاني

في بيان الضوابط التي يتميز بها كل من المكي والمدني

للعلماء في ضبط المكي والمدني طريقان :

الطريق الأول : السماح وهو النقل الصحيح عن الصحابي

أو التابعي بأن هذه الآية أو هذه السورة قد نزلت بمكة أو بالمدينة
أو نزلت قبل الهجرة أو بعدها • فحيثما نجد مثل هذا القول فإنه
يزيل كل لبس • ويحدد لنا المعالم واضحة • مثال ذلك ما جاء في شأن
قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (١)

فقد جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما :
قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف بمكة • كان إذا صلى بأصحابه
رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله
ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾
أي بقراءة تك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن • ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن
أصحابك فلا تسمعهم • ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (٢)

فهذه الرواية عن ابن عباس قد حددت مكان نزول هذه الآية

الكريمة وهو مكة المكرمة •



(١) آية رقم ١١٠ سورة الإسراء •

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٤ - ٤٠٥

ومثال آخر : فقد روى البخارى بسنده عن ابي نذر رضى
الله عنه : أنه كان يقسم فيها قسما : أن هذه الآية : * هذان خصمان
اختصموا في ربيهم * نزلت في حمزة وصاحبه (١) وعتبة وصاحبه (٢)
برزوا في يوم بدر (٣) .

فهذه الرواية قد حددت زمان النزول وهو بعد هجرة النبى
صلى الله عليه وسلم ، لان غزوة بدر حدثت في السنة الثانية
الهجرية .

ومثال ثالث : يقول الله تبارك وتعالى :

* يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم
الى طعام غير نظيرين انه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعتم
فانتشروا ولا مستنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم
والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متعافا فاسألوهن من وراء حجاب
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهم وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما * (٤)

وهى آية الحجاب ، فقد روى البخارى بسنده عن انس رضى
الله عنه . قال : بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب ابنة جحش ،
بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون . ثم
يجىء قوم فيأكلون ويخرجون . فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو .

(١) هما عبدة بن الحارث وعلى بن ابي طالب

(٢) هما : شيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة

(٣) فتح البارى ج ٨ ص ٤٤٣

(٤) آية رقم ٥٣ من سورة الاحزاب

فقلت يا نبي الله ما أجد أحدا أدعوه ، قال ارفصوا طعناكم ، وبقيت
ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق
الى حجرة عائشة ، فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت
وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ، فتقرى (١) حجر
نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة . ويقلن له كما قالت عائشة . ثم
رجع النبي صلى الله عليه وسلم . فاذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون .
وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة
فما أدري اخبرته او اخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع
رجله في أسكفة (٢) الباب داخلة واخرى خارجة أرخى السترينين
وبينه وانزلت آية الحجاب (٣) " ١ هـ

فهذه الرواية قد حددت زمان ومكان نزول هذه الآية ، اذ ان

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش انما كان بعد الهجرة
النبيهية بالمدينة المنورة فالاية مدنية بلا خلاف .

وأما الطريق الثاني :- فهو الضوابط الكلية التي يعرف بواسطتها

أن السورة أو الآية مكية أو مدنية . وهي مبينة على الغالب
والكثير .

(١) فتقرى بفتح القاف وتشديد الراء بصيغة الفعل الماضي : أى تتبع

الحجرات واحدة واحدة .

(٢) أسكفة الباب أى :

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٨ ص ٥٢٧ - ٥٢٨ هـ

يقول الدكتور محمد محمد ابوشنينة في كتابه المدخل لفهم

القرآن الكريم :

" وهذه الضوابط مبناها على التبع والاستقراء المبني على الغالب

والكثير^(١) " أه

وأهم هذه الضوابط : وجود " كلا " في السورة ، فحيثما

وجدت " كلا " فالسورة مكية . وهذه الكلمة قد ذكرت ثلاثا

وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة وكلها في النصف الأخير من القرآن

الكريم . وذلك لأن نصفه الأخير غالبه نزل بمكة . قال السيوطي

في الاتقان : قال الدريني^(٢) رحمه الله :

وما نزلت " كلا " بيثرب فاعلمن

ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

ثم قال : وذلك لأن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثر أهلها

جبابرة فكثرت كلا على وجه التهديد والتعنيف لهم والانكار عليهم

بخلاف النصف الأول^(٣) " أه

قلت : وهذا يمكن ملاحظته من خلال الايات التي وردت فيها

" كلا " فمثلا قوله تبارك وتعالى في سورة مريم :

* افرايت الذي كفر بآيتنا وقال لاؤتين مالا وولدا أطلع الغيب

أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرشه

ما يقول ويأتينا فردا . واتخذوا من دون الله الهمة ليكونوا لم عزاء كلا

(١) ص

(٢) الدريني هو :

(٣) الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم جندا * (١) فقد ورد في سبب نزولها ما ذكره البخاري بسنده عن مسروق (٢) : قال سمعت خبابا قال : جئت العاص بن وائل السيمي اتقاضاه حقا لى عنده . فقال : لا اعطيك حتى تكفربمحمد " صلى الله عليه وسلم " فقلت لا حتى تموت ثم تبعث . قال وانى لمت ثم بموت ؟ قلت نعم . قال ان لى هناك مالا وولدا فاقضيكه . فنزلت * انرايت الذى كفر بايتنا وقال لا وتين مالا وولدا * (٢) اه

قال فيه ابن جرمة في فتح البارى : فهوومه أنه يكفر حينئذ . لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور . فكانه قال لا اكفر أبدا . والنكتة في تعبيره بالبعث تصيير العاص بأنه لا يؤمن به " (٣)

ويقول الاستاذ السيد قطب رحمه الله في تفسيره في ظلال القرآن

الكريم :

وقولة العاص بن وائل نموذج من تهكم الكفار واستخفافهم بالبعث . والقرآن يوجب من أمره ويستنكر " ادعاءه " * اطلع الغيب * فهو يعرف ما هنالك . * أم اتخذ عند الرحمن عهدا * فهو واثق من تحققه ثم يعقب * كلا * وهي لفظة نفى وزجر ، كلالم يدالج على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا . انما هو يكفر ويسخر فالتهديد اذا والوعيد هو اللاتى لتأديب الكافرين الساخرين " (٤) اه

لفظة " كلا " هي لزجر هؤلاء الكفار كالعاص بن وائل

(١) الايات من ٧٧ - ٨٢

(٢) ج ٥ ص ١١٨ ط دار احياء التراث العربى - بيروت

(٣) فتح البارى ج ٨ ص ٤٣٠

(٤) ج ٥ ص ٤٥١ - ٤٥٢

وامثاله الذين وقفوا بتمنت امام الدعوة الاسلامية في عهدنا المكى بكل ما أوتوا من قوة مال وولد . فهم قد انكروا وحدا نية الله فنسبوا له الشريك كما نسبوا له الولد . وانكروا البحث والجزاء وانكروا ان يكون القرآن منزلا من عند الله وأنه انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم حسدا من عند أنفسهم فلوتتبنا لفظة " كلا " لوجدناها كلها ردا على انكارهم هذا . ولناخذ مثلا آخر في الرد على تمننت المشركين فقد قال الله تعالى :

* ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن يزيد كلا انه كان لا يستنا عنيدا سارهقه صودا انه فكر وقدر . . . * (١) الى آخر الايات . . .

يقول سيد قطب عليه رحمة الله : ويذيل النص في وصف هذا المخلوق وما آتاه الله من آلائه قبل ان يذكر اعراضه وعنايه . فهو قد خلقه وحيدا مجردا من كل شيء حتى من ثيابه ثم جعل له مالا كثيرا ممدودا ورزقه بنين من حوله حاضرين شهودا فهو منهم في انفس وعزوة ومهد له الحياة تمهيدا ويسرها له تيسيرا * ثم يطمع أن يزيد * فهو لا يقنع بما أوتى . ولا يشكرو ويكتفى - أم لعله يطمع في أن ينزل عليه الوحي وأن يعطى كتابا . كما في آخر السورة * بسئل يريد كل منهم أن يوءى صحفا منشرة *

وهنا يردعه ردا عنينا عن هذا الطمع الذي لم يقدم حسنة ولا طاعة ولا شكرا لله يرجو بسببه المزيد " كلا " وهي كلمة ردة وتبكي

(١) سورة المدثر الايات من ١١ - ١٨ وما بعدها

* انه كان لا يتنا عنيدا * فمائد دلائل الحق وموجبات الايمان ووقف
في وجه الدعوة وحارب رسولها وصد عنها نفسه وغيره (١) "أه

وهذه الكلمة مفرقة في القرآن الكريم على النحو التالي :
في سورة مريم : قوله تعالى :

* كلاً سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * آية رقم ٧٩
وفيها ايضاً :

* كلاً سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا * آية رقم ٨٢
وفي سورة المؤمنون :

* كلاً انبها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون *
آية رقم ١٠٠
وفي سورة الشعراء :

* قال كلاً فاذهباً بآيتنا انا محكم مستمعون * آية رقم ١٥
وفيها كذلك :

* قال كلاً ان محى ربي سيدين * آية رقم ٦٢
وفي سورة سبأ :

* قل ارونى الذين الحقتم به شركاء كلاً بل هو الله العزيز
الحكيم * آية رقم ٢٧
وفي سورة المارج :

* كلاً انبها لظى * آية رقم ١٥
وفيها كذلك * كلاً انا خلقناهم مما يحطون * آية رقم ٣٩
وفي سورة المدثر :

* كلاً انه كان لا يتنا عنيدا * آية رقم ١٦

وفيها كذلك : * كلا والقمر * آية رقم ٣٦ ، وفيها * كلا انما تذكرة *

آية رقم ٥٤ ، وفي سورة القيامة : * كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر *
آية رقم ١١ .

وفيها : * كلا بل تحبون العاجلة * آية رقم ٢٠ وفي السورة

نفسها * كلا اذا بلخت التراقية * آية رقم ٢٦

وفي سورة النبا : * كلا سيحلون * آية رقم ٤ ، وفيها :

* ثم كلا سيحلون * آية رقم ٥ .

وفي سورة عبس * كلا انما تذكرة * آية رقم ١٤ ، وفيها

ايضا * كلا لما يقضى ما امره * آية رقم ٢٣

وفي سورة الانفطار * كلا بل تكذبون بالدين * آية رقم ٩ .

وفي سورة التطفيف * كلا ان كتاب الفجار لفي سجين *

آية رقم ٧ .

وفيها كذلك * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * آية رقم ١٤

وفي نفس السورة * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون *

آية رقم ١٥ .

كذلك تجد فيها * كلا ان كتاب الابرار لفي طيبين * آية رقم ١٨

وفي سورة الفجر * كلا بل لا تكرمون اليتيم * آية رقم ١٧

وفيها كذلك * كلا اذا دكت الارض دكا دكا * آية رقم ٢١

وفي سورة الملق * كلا ان الانسان ليطغى * آية رقم ٦

وفيها كذلك * كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * آية رقم ١٥

وفيها * كلا لا تطعه واسجد واقترب * آية رقم ١٩

وفي سورة الواكم * كلا سوف تعلمون * آية رقم ٣

ثم تجد قوله تعالى في نفس السورة : * ثم كلا سوف تعلمون * آية

رقم ٤ .

وفي ذات السورة جاء قوله جل وعلا : * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظْمَ الْقَبْرِينَ *

آية رقم ١٥

وفي سورة الهمزة * كَلَّا لِيُنذِرَ فِي الْحَطْمَةِ * آية رقم ٤

ويظهر مما تقدم ان هذه اللقطة * كَلَّا * محصورة في القرآن

الكريم ما بين سورتي مريم والهمزة - وكلها سور مكية النزول ، ومن

هذه الضوابط المميزة للسور المكية وورد آية السجدة في السورة . فوجود

هذه السجد في السورة يدل على مكيتها . ويستتبع لهذه السجدات

وحدتها تبدأ بآخر سورة الاعراف وتنتهي بآخر سورة العلق ، واليك

أبها القارئ الكريم بيان ذلك :

١ - في سورة الاعراف :

قوله تبارك وتعالى :

* ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله

يسجدون * آية رقم ٢٠٦

٢ - وفي سورة الرعد :

قوله تعالى

* ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم

بالندو والاصال * آية رقم ١٥

٣ - وفي سورة النحل :

ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملئكة

وهم لا يستكبرون ، يذافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون * آية رقم ٤٩-٥٠

٤ - وفي سورة الاسراء :

قوله تعالى :

* ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان

سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان بيكون

يزيدهم خشوعا * الايات ١٠٧-١٠٩

٥ - وفي سورة مريم : قوله تعالى :

* ومن هدينا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا * اية رقم ٥٨ .

٦ - وفي سورة الحج : قوله جل وعلا :

* ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن بين الله نما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء * آية رقم ١٨

٧ - وفي سورة الحج ايضا :

* يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون * اية رقم ٧٧

٨ - وفي سورة الفرقان : قوله تبارك وتعالى :

* واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا
وزادهم نفورا * آية رقم ٦٠

٩ - وفي سورة النمل : قوله جل وعلا :

* ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم * آية رقم ٢٦ .

١٠ - وفي سورة الم السجدة : قوله تبارك وتعالى :

* انما يؤء من بايتنا الذين ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد
ربهم وهم لا يستكبرون * اية رقم ١٥

١١ - وتجد في سورة ص : قوله تبارك وتعالى :

* وان كثيرا من الخلقاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا

وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستخفر ربه وخر راکعاً

وأنا ب * آية رقم ٢٤

١٢ - وفي سورة فصلت :

تجد قوله تبارك وتعالى :

فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم

لا يسئمون * آية رقم ٣٨

١٣ - وفي سورة النجم :

نجدها في قوله تبارك وتعالى :

* فاسجدوا لله واعبدوا * آية رقم ٦٢

١٤ - وفي سورة الانشاق :

تجد قوله عز وجل :

* واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون * آية رقم ٢١

١٥ - وآخر هذه السجدة في سورة العلق : وهي قوله تعالى :

* كلا لا تطعه واسجد واقترب * آية رقم ١٩

هذه القاعدة لا تختلف في جميع السور التي وردت فيها السجدة .

وقد يقول قائل : فما قولك في سورتي الرعد والحج اللتين ورد خلاف بين

العلماء في زمان نزولهما وفيهما سجدة ؟

ففي سورة الرعد : * والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً

(١)

وظلالهم بالخدر والاصال *

وفي سورة الحج قوله تعالى :

* ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس

والقمر والنجوم والجبال / والدواب ^{والشجر} وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يمين

الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء * (٢)

وتجد فيها كذلك قوله تعالى :

* يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير

لعلكم تفلحون * (١)

أقول نعم . انه قد ورد خلاف حول سورتي الرعد والحج اهما مكيتان

ام مدينتان ولقد تبعت الاثار المتعلقة بها وخرجت من البحث بترجيح انهما
مكيتان حسب ما هو موجود في المبحث الرابع (٢) .

والملاحظ ان هذه السجدة تقع غالبا عقب ذكر نعمة من نعم

الله تعالى تستوجب الشكره جاء في تفسير ابن كثير في الجزء الثاني منه عند
تفسيره لقول الله تبارك وتعالى :

* ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله

يسجدون * (٣) قال :

انما ذكرهم بهذا ليقنوا بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم وليهذا

شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل * (٤) كما جاء

في الحديث الذي رواه الامام مسلم بسنده عن جابر من سموة :

الا تصفون كما تصف الملكة عند ربها ؟ فقلنا يا رسول الله وكيف

نصف الملكة عند ربها ؟ قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف * (٥)

وهذه اول سجدة في القرآن مما يشرح لتاليها ومستعملها السجود (٦)

(١) اية رقم ٧٧

(٢) انظر ص وما بعدها

(٣) اية رقم ٢٠٦ سورة الاعراف

(٤) ص ٢٨٢

(٥) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٢ كتاب الصلاة

(٦) واحكام هذا السجود مبسوطه في كتب الفقه فليرجع اليها من شاء .

٣ - ومن هذه الضوابط وجود حرف التبرجى التى فى اوائل
السور - فكل سورة انفتحت باحرف التبرجى فى مكية واستثنوا من ذلك سورتين
هما سو رتسى البقرة وآل عمران (١) . أما غير هاتين السورتين فكل سورة مفتوحة
بهذه الحروف فى مكية . ورغم اختلاف العلماء فى المراد بهذه الاحرف من انما
اسم للسورة التى انفتحت بها او انما اسم من اسماء الله تعالى .

او انما مما استأثر الله تعالى بعلمه او غير ذلك (٢) .

فانى أميل الى الرأى القائل بانها جسيء بها للتحدى والاعجاز

ذلك ان القوم الذين نزلت فيهم هذه السور كانوا ينكرون القرآن الكريم وينكرون نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون فى القرآن الكريم انه افك مفترى ويقولون
انه اساطير الاولين كما حكى عنهم القرآن ذلك :

* وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون

فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتبها فى تملى عليه بكرة واصيلا * (٣)
* واذ تتلى عليهم آيتنا قالوا لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين * (٤)

(٥)
قال البيضاوى رحمه الله تعالى :

انفتحت السور بطائفة منها - اى من احرف التبرجى - ايقاظا لمن

(١) الاتقان فى علم القرآن ج ١ ص ١٧

(٢) انظر الاتقان ج ١ ص ١٧

(٣) سورة الفرقان اية ٤-٥

(٤) اية رقم ٣١ سورة الانفال

(٥) هو الامام الفخر ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الصوفى سنة

تحدى بالقرآن وتنبئها على ان اصل التلو عليهم كالم منظوم مما ينشأون منه كلامهم .
فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم بقوة فصاحتهم عن
الاتيان بما يدانيه - وليكون اول ما يقرح الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز . فان
النطق باسماء الحروف مختص بمن يخط ودرس . فأما من الأسي الذي لم يخالط
الكتاب فمستبعد ومشترب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في
ذلك ما يحز عظه الايب الفائق في فنه " أه (١)

ان التأمل في هذه الافتتاحيات يلاحظ انه يجيء بعدها ذكر

القرآن مباشرة كما في قوله تعالى في سورة هود :

* الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * (٢)

أوبدأريق غير مباشر كما في سورة الروم :

* ألم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * (٣)

ففي هذا النص الكريم الاعجاز بالاخبار بالذنب . وصيغة اخرى الاخبار عن
حوادث لم تقع وقت الاخبار عندهم ثم تقع بعد ذلك كما اخبر بذلك (٤) .

ومما يؤيد أن المراد بها التحدى أنها لم ترد هي كلها في اول القرآن أو في
آخره مثلا وانما فرقت في ثنائه لتجدد التحدى . يقول الزمخشري (٥)
رحمه الله : ولم ترد كلها مجموعة في اول القرآن . وانما كررت ليكون

(١) ج ١ ص ٤٢ طبعة مؤسسة شبان للنشر والتوزيع بيروت

(٢) آية رقم ١ (٣) آية رقم ١

(٤) انظر ص (٥) هو : ابو القاسم جار الله محمود بن

عمر الزمخشري الخوارزمي

ابلغ في التحدى والتبكيث . كما كرت قصص كثيرة . وهذه الاحرف التي
افتتحت بها هذه السور مفرقة في القرآن الكريم على النحو التالي :
في سورة الاعراف * ألمص كتب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه
لتنذر به وذكرى للمؤمنين *

وفي سورة يونس : * الر تلك آيت الكتاب الحكيم *
وفي سورة هود : * أركتب احكمت آيته ثم فصلت من لادن
حكيم خبير *

وفي سورة يوسف : * أرتلك آيت الكتاب المبين *
وفي سورة الرعد : * أمرتلك آيت الكتاب والذي انزل اليك
من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون *

وفي سورة ابراهيم : * أركب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمت الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد *

وفي سورة الحجر : * أرتلك آيت الكتاب قرآن مبين *

وفي سورة مريم : * كرمص ذكر رحمة ربك عبده زكريا *

وفي سورة طه : * طه . ما انزلنا عليك القرآن لتشقى *

وفي سورة الشعراء : * طسم . تلك آيت الكتاب المبين *

وفي سورة النمل : * طس تلك آيت القرآن وكتب مبين *

وفي سورة القصص : * طسم تلك آيت الكتاب المبين *

وفي سورة المنكبوت : * ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آنا

وهم لا يفتنون *

وفي سورة الروم : * ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم

سينلبون *

وفي سورة لقمان : * ألم تلك آيت الكتاب الحكيم *

وفي سورة السجدة : * ألم تنزيل الكتب لا ريب فيه من رب العالمين *

وفي سورة ص : * ص والقرآن ذي الذكر *

وفي سورة غافر : * حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم *

وفي سورة فصلت : * حم تنزيل من الرحمن الرحيم *

وفي سورة الشورى : * حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين

من قبلك الله العزيز الحكيم *

وفي سورة الزخرف : * حم والكتب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا

لملكم تعقلون *

وفي سورة الدخان : * حم والكتب المبين انا انزلناه في ليلة

مباركة انا كنا منذرين *

وفي سورة الجاثية : * حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم *

وفي سورة الاحقاف : * حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم *

وفي سورة ق : * ق والقرآن المجيد *

وفي سورة القلم : * ن والقلم وما يسطرون *

٤ - ومن الضوابط كذلك :

وجود * يا أيها الناس * في السورة يدل على أنها مكية . والعلامة

في ذلك ان الناس في مكة كان يغلب عليهم الكفر فخطبوا بها . فلما استقر

الأمر في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية . خطبوا بـ * يا أيها الذين

آمنوا * لغلبة الايمان عليهم (١) . ولكن هذه القاعدة غير مضطربة . لأننا

نجد آيات مصدرية بـ * يا أيها الناس * في سور مدنية .

(١) الاتقان في علم القرآن ج ١ ص ١٢

ففي سورة البقرة نجد قوله تبارك وتعالى :

(١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَتَقُونَ ﴾

وفيهما قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢)

وبهذا النداء افتتحت سورة النساء وهي مدنية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٣)

(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾

وفيهما كذلك :

(٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾

وجاء في صورة الحجرات :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنْ كَرَّمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقُوا إِنْ كَرَّمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَالِمِينَ خَبِيرًا ﴾ (٦)

(١) آية رقم ٢١

(٢) آية رقم ١٦٨

(٣) آية رقم ١

(٤) آية رقم ١٧٠

(٥) آية رقم ١٧٤

(٦) آية رقم ١٣

فهذه ست آيات قد وردت في ثلاث سور مدنية هي : سورة البقرة والنساء
وسورة الحجرات . أما غير هذه السور الثلاثة فان هذا النداء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾
ما ورد الا في سورتيها مكية . وهي مغزقة في القرآن الكريم على النحو التالي :
ففي سورة الاعراف :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١)

وفي سورة يونس :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (٢)

تَوَلَّيْتُمْ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْفُمٌ مَّوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

الضُّعُورِ ﴾ (٣)

وَفِيهَا كَذِبٌ :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٤)

وفي سورة الحج : ورد هذا النداء للناس في اربعة مواضع : في افتتاحية

السورة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ أَنْ زَلَّزِلَ السَّمَاءُ شَيْئًا عَظِيمًا ﴾

وورد فيها :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَحْنُ بِآتِينَكُمْ مِنْ تَرَابٍ

(٢) آية رقم ٢٣

(١) آية رقم ١٥٨

(٤) آية رقم ١٠٤

(٣) آية رقم ٥٧

ثم من نطفة ﴿ (١) ﴾

وفيها : ﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ (٣)

وفي سورة النمل :

﴿ يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء * ان هذا ليهو

الفضل العظيم ﴾ (٤)

وفي سورة لقمان :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا

مولود هو جاز عن والده شيئا ﴾ (٥)

وفي سورة فاطر :

﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم

من السماء والارض ﴾ (٦)

وفيها كذلك :

﴿ يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يخرنكم

بالله الضرور ﴾ (٧)

(٢) آية رقم ٤٩

(٤) آية رقم ١٦

(٦) آية رقم ٣

(١) آية رقم ٥

(٣) آية رقم ٧٣

(٥) آية رقم ٣٣

(٧) آية رقم ٥

وفي نفس السورة قوله تعالى :

* يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله واللّه هو الغني الحميد * (١)
ويظهر مما تقدم ذكره ان قولهم (٢) كل سورة فيها * يا ايها
الناس * مكية . لم يؤخذ على اطلاقه كما هو مبين بالتبج والاستقراء .
٥ - - وعد من هذه الضوابط (٣) :

* يا بني آدم * فانها لم تزد الا في السور المكية . ولقد
وردت في سورتين مكيتين هما الاعراف وسورة يس .
نفي سورة الاعراف :
نجد قوله تعالى :

(٤)
* يبني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءتكم وريشا *

وقوله تعالى :

(٥)
* يبني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة *

وقوله :

* يبني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

انه لا يحب المسرئين * (٦)

وقوله عز وجل :

* يبني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم ايتى فمن

اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * (٧)

(٢) انظر الاثنان ج ١ ص

(١) اية رقم ١٥

(٤) اية رقم ٢٦

(٣) نفس المرجع السابق

(٦) اية رقم ٣١

(٥) اية رقم ٢٢

(٧) اية رقم ٢٥

وفقى سورة يس: ورد قوله تعالى :

* ألم أعيد اليكم يبني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو بين * (١)

ويظهر من هذه الضوابط مجتمعة أنها حلت تماما من ذكر التشريع
كاحكام القتال او الحرب والسلم وشئون الاسرة حتى زواج وطلاق وارث الخ
كما حلت من محاجة اهل الكتاب وناقشتهم ، وقصص فزوات النبي
صلى الله عليه وسلم فان ذلك كله قد اختصت به السور والايات المدنية .

المبحث الثالث

في خصائص السور والآيات المكيّة

خصائص جمع خاصة ، وهي في اللغة خلاف العامة . وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره (١) . وقال الراغب الاصفهاني : التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصّص تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه غيره . وذلك خلاف العموم والتعميم . (٢)

ولكل من السور المكية والمدنية خصائص تنفرد بها عن غيرها . والذي نرمى اليه هو بيان خصائص السور والآيات المكية . وهي نوعان : النوع الاول يتعلق بالأسلوب . والثاني يتعلق بالموضوع .

أما الخصائص الأسلوبية . فمن الملاحظ أن السور المكيّة قد اتسمت بقصر الآيات مع جزالة اللفظ وإيجاز العبارة بما يصح الأذان ويشدد وقعته على السامع ، وربما كان ذلك لأن المخاطبين أهل فصاحة فيناسبهم الإيجاز دون الأطناب . كما كانوا أهل لجاجة ومشاقة فيناسبهم أن يخاطبهم بقوة اللفاظ الزاجرة وهذا تحت إطار القضية البلاغية " لكل مقام مقال " . ولناخذ مثالا لذلك : آيات من سورة الشعراء المكية وهي قوله تبارك وتعالى ﴿ أفراء بيت ان تمسّنهم سنين ، ثم جاء هم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ، وما اهلكنا من قرية الا لهما منذرون . ذكرى وما كنا ظالمين ﴾ (٣)

(١) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٩٢ ط مجمع اللغة العربية .

(٢) مفردات القرآن ج ١ ص ٢٩٢

(٣) الآيات من ٢٠٥ الى ٢٠٩

ويعد هذا التمديد العنيف والوعيد الأليم . والالذار من مثل ما وقع للأمم
السابقة الظالمة ، يثقل الحديث مرة أخرى الى القرآن الكريم وانه تنزيل من
رب العالمين وان الشياطين محجوبون عنه كي لا يغيروا فيه ويسبدلوا
* وما تنزلت به الشيطيين ، وما ينبئ لهم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمحزولون * (١) فان العبارة موجزة واضحة لتبليغ الغاية المرجوة وهي
بيان حقيقة القرآن الكريم ورد شبهة من قالوا * انما يعلمه بشر * (٢)
أو قالوا * اساطير الاولين * (٣) أو قالوا * انما تنزلت به الشيطيين *
ثم ترسم الايات القرآنية طريق الدعوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الاعتماد
على الله تعالى . وانذار عشيرته الاقربين وخفض الجناح للمؤمبين
واخذهم بالرفق كل ذلك في عبارات واضحة موجزة وفواصل قصيرة :
* فلا تدع مع الله الهيا آخر فتكون من المعذبين . وانذر عشيرتک
الاقربين . واخفض جناحك للمؤمبين فان عصوك فقل انى برى ، مما تعلمون
وتوكل على العزيز الرحيم الذى یرك حين تقوم وتقلبک فی السجدين * (٤)
وأكثر ما يكون ذلك فى الفصل وضالیه نزل بمكة . فخاطب أهلها بما يناسب
حالهم فى العناد والكفر والفسقة التامة عن الحق تبارك وتعالى . والانغماس
فى اللهو والفجور . حتى عبدا مع الله غيره . مما سولت لهم به أنفسهم وزين
لهم شيطانهم . يقول الاستاذ سيد قطب عند تقديمه لسورة النبأ . وهو يتكلم
عن خصائص الجزء الاخير من القرآن الكريم - هذا الجزء كله ومنه هذه السورة -
أي سورة النبأ - ذو طابع غالب سوره مكية فيما عدا سورتي البينة والنصر .

(١) الايات ١١٢-٢

(٢) اية رقم ١٠٤ سورة النحل

(٣) آية رقم ٥ سورة الفرقان

(٤) الايات ١١٢-٢٢٠

وكليهما من قصار السور • على تفاوت في القصر •

والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة على وجه التقريب في موضوعها واتجاهها وابقاعها وصورها وظلالها واسلوبها العام انهما طرقتا متواليه على الحسن • طرقتا عنيفة قوية عالية وصيحات بنووم غارقين في النوم • نومهم ثقيل • أو بسكاري مخمورين • أو بلاهين في سامر راقصين • في ضجة وتصديرة • ومكاء • تتوالى على حسيم تلك الطرقات • والصيحات الضميمة من سور هذا الجزء كله بايقاع واحد ونذير واحد • اصحوا • استيقظوا انظروا تلتفوا تفكروا تدبروا • ان هناك اليها وان هناك تدبيرا • وان هناك تقديرا • وان هناك ابتلاء • وان هناك تبعة وان هناك حسابا وان هناك جزاء وان هناك عذابا شديدا ونحيما كبيرا (٣) والامثلة على ذلك كثيرة • منها قوله تبارك وتعالى :

* ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرايا • ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مئابا لبثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجعون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتبنا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا * (٤)

وصنف آخر عرف أن له ربا فأمن به وبما ارسل من رسل • وصدقهم واتبع ما جاءوا به من عند الله فخاف الله وكبح جماح نفسه

(١) المكاء هو الصفير

(٢) والتصديرة : التضميف

(٣) في ظلال القرآن المجلد ٨ ص ٥٢٤

(٤) الايات من ١٧-٣٠

واتقى الله فوَّقاَه الله اجره بغير حساب !

* ان للمتقين مفازا حائقي واعنابا وكواعب اترابا وكأسا دهاقا

لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزءا من ربك عطاء حسابا * (١)

ومثل ذلك أيضا ما جاء في سورة النازعات :

* فاذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت

الجحيم لمن يرى ، فاما من طفى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى

المأوى * (٢)

أما النوع الاخر فهو الذى صورته هذه الآية :

* وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة

هى المأوى * (٢)

وفي سورة عبس ينبه هذا الانسان الخافل الجاحد لنعم

الله الذى أوجده من العدم * قتل الانسان ما اكفره من أى شىء خلقه ،

من ندافة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم اماته فاقبره ، ثم اذا شاء

أنشره ، كلالما يقضى ما أمره * (٣)

وهو الانسان المخاطب في سورة الطارق :

* فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين

الصلب والترائب انه على رجعه لقادر * (٤)

والأمثلة على ذلك كثيرة واكتفى بما تقدم لبيان الخصائص اللفظية

الاسلوبية التى اتسمت بنها السور والايات المكية .

(٢) الايات من ٣٤-٤١

(١) الايات من ٣١-٣٦

(٤) الايات من ٥-٨

(٣) الايات من ١٢-٢٣

أما النوع الثاني فهو الخصائص الموضوعية : التي أشتمت بها السور
المكية : وذلك كقصص الأنبياء والامم السابقة فمن ذلك قصة آدم عليه
السلام فانها لم ترد الا في سور مكية باستثناء سورة البقرة - ففي سورة
الاعراف نجد قصة آدم عليه السلام من قوله تبارك وتعالى :

* ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * الى
قوله تعالى * انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤء منون * (١)
ونجد فيها كذلك قصة موسى عليه السلام :

* ثم بحثنا من بعدهم موسى بشايتنا الى قوله تعالى : والذين
هم بشايتنا يؤء منون * (٢)

وفي سورة يونس نجد قصة نوح عليه السلام من قوله تبارك وتعالى :

* واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يبقوم ان كان كبر عليكم مقاي
الى قوله تعالى : كذلك نطبع على قلوب المعتدين * (٣)

ونجد في هذه السورة الكريمة قصة موسى وهارون عليهما السلام
مع فرعون من قوله تعالى :

* ثم بحثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه ،
الى قوله تعالى : ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * (٤)

وكذلك نجد فيها اشارة الى يونس عليه السلام وقومه في قوله

تعالى :

(١) الايات من ١١-٣٧

(٢) الايات من ١٠٣-١٥٥

(٣) الايات من ٧١-٧٤

(٤) الايات من ٧٥-٩٣

* فلولا كانت قرية آمنه فنفعها آمنها الا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعهم الى حين * (١)
اما في سورة هود فانا نجد أن قصة نوح قد بسطت ابتداء
من قوله تعالى :

* ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين وحتى قوله
تعالى : قيل ينوح اهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك
وامم سنتمهم ثم يمسهم منا عذاب اليم * (٢)

وفيها كذلك قصة عاد قوم هود من قوله تعالى :
* والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من
اله غيره ان اتم الا مفترون . الى قوله : ألا ان عادا كفروا ربهم
ألا بعدا لعاد قوم هود * (٣)

كما فيها قصة صالح عليه السلام مع ثمود . وذلك من قوله
عز وجل :

* والى ثمود أخاهم صالح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره الى قوله تعالى : ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود * (٤)

كما أخذت قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام حيزا كبيرا من هذه
السورة ابتداء من قوله تبارك وتعالى :

(١) آية رقم ٩٨

(٢) الايات من ٢٥-٤٨

(٣) الايات من ٥ - ٦

(٤) الايات من ٦١ - ٦٨

* ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله تبارك وتعالى :

مسومة عند ربك وما هي من الظلمين ببيعد * (١)

وفيها كذلك قصة شعيب مع قومه عليه السلام من قوله تعالى :

* والى مدينة اخاهم شميا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

الى قوله تعالى : كأن لم ينفوا فيها ألا بعدا للمدينة كما بعدت ثود * (٢)

وذكر فيها كذلك بعضا من قصة موسى مع فرعون (٣) . أما

سورة يوسف عليه السلام فقد انفردت بقصته كاملة مع ابويه وقومه ولم

تتكرر في مكان آخر من القرآن .

وتحدثنا سورة الحجر ايضا عن آدم و ابراهيم ولوط عليهم السلام (٤)

ونجد قصة اصحاب الكيف في السورة التي سميت باسمه (٥) . وفيها قصة

الرجلين اللذين جعل الله لاحدهما جنتين من أعناب (٦) . وفيها قصة موسى

والعبد الصالح . وفيها قصة ذى القرنين . وقصة زكريا ويحيى وعيسى عليهم

الصلاة والسلام . وقصة مريم فجدتها مبسوطه في سورة مريم .

ومحاجة ابراهيم مع قومه وتكسير اصنامهم والقائه في النار ونجاته منها

وقصة داود وسليمان وأيوب وذانون . وذكرت قصة موسى عليه السلام

في سورة طه فهي ايضا قد ذكرت بطريقة اخرى في سور

(٢) الايات من ٨٤-٩٥

(٤) الايات من ٢٦-٧٧

(٦) الايات من ٣٦-٤٣

(٨) الايات من ٨٣-١٠٠

(١) الايات من ٦٩-٨٣

(٣) الايات من ٩٦-٩٩

(٥) الايات من ٩-٣٦

(٧) الايات من ٦٠-٨٢

(١) الشعراء والنمل والقصص • ونجد قصة نوح وإبراهيم ولوط في سورة المنكبات •
وتذكر في سورة سبأ قصة داود وسليمان كما وردت قصتهما أيضا في سورة "ص" (٢)
وفي سورة الذاريات فذكر إبراهيم ولوط عليهما السلام (٣) هذا على سبيل المثال
لا الحصر • والملاحظ ان هناك تكرارا لبعض القصص - ولناخذ مثلا لذلك
قصة موسى عليه السلام • فقد وردت مثلا في سورة الاعراف ويونس
والاسراء والكهف وطه والشعراء والنمل والقصص كما ذكرت في سورة
غافر والزخرف والنازعات ولهذا التكرار لاشك حكمة بل حكم بالفضة
منها :

انه تذكر في بعض السور من اخبار الانبياء ما لم يذكر في سور آخر
على طريقة الاطناب وفي مواضع اخر على طريقة الايجاز لتظهر فصاحة
القرآن في الطريقتين معا • يقول الباقلاني في اعجاز القرآن تحقيق الاستاذ
السيد أحمد صقر :

" تأمل السورة التي يذكر فيها النمل " وانظر في كلمة كلمة
وفصل فصل ••• بدأ بذكر السورة الى ان بين ان القرآن من عنده
فقال :

* وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم * (٤) ثم وصل بذلك قصة
موسى عليه السلام وأنه رأى نارا * فقال لا الهه : امكثوا انى ءانست نارا ساتيكم
منها بخبر او ءاتيكم بشهاب قهين لعلكم تصطلون * (٥) وقال في سورة طه
في هذه القصة :

* لعل ءاتيكم منها بخبراً أو أجد على النار هدى * (٦) وفي موضع :

(١) الايات من ١٤-٣٥ (٢) الايات من ١٧-٤٤ (٣) الايات من ٢٤-٣٧

(٤) اية رقم ٦ (٥) اية رقم ٨ (٦) اية رقم ١٠

* لعلي ؑ اتيكم منها بخبر أوجدوة من النار لملككم تصطلون * (١)
قد تصرف في وجوهه وأنى بذكر القصة على ضرور ليحلمهم عجزهم
عن جميع طرق ذلك . ولهذا قال : * فليأتوا بحديث مثله * (٢)
ليكون أبلغ في تمجيزهم وإظهار للحجة عليهم (٣) " أه

قلت : ان عرض الموضوع الواحد بأساليب مختلفة في الطول
والقصر والاطناب والابحاز مع المحافظة على جوهره ولبه هو
في نفسه غاية في الإعجاز وهذا من سر ذلك التكرار . ومن
هذه الحكم : ان اخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها
بتعدد تلك المقاصد . منها :

اثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم
من المعجزات . وذكر هلاك من كذبهم بأنواع من الممالك كالافراق
والخسف . ثم ذكر المؤمنين بما انعم الله عليهم من الأمن
والرخاء وسعادتي الدنيا والآخرة .
ومنها : اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاخباره
بتلك الاخبار من غير تعلم من أحد كما اخبر بذلك القرآن
الكريم حيث قال :

* تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين * (٤)

(١) سورة القصص آية رقم ٢٩

(٢) سورة الطور ٣٤

(٣) ص ١٨٩ طبعة دار المعارف بمصر

(٤) آية رقم ٤٩ من سورة هود

ومنها : اثبات وحدانية الله تعالى وكمال قدرته . فمندا
ذكر هلال الامم الفائرة حكي عنهم أنه لما جاء الأمام بهلاكهم
لم تكن عنهم هذه الالهة المزعومة من دون الله من شيء كما هو
مذكور في سورة هود :

(١) * ذلك من انباء الغيب نقصه عليك منها قائم وحصيد . وما
ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم الهتهم التي
يدعون من دون الله من شيء كما جاء امر ربك وما زادوهم غير تنبيل
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليهم
شديد * (٢)

ومن ذلك تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عند تكذيب قومه
له بالتأسي بمن سبقوه من المرسلين :

* وان يكذبوك فقد كذب قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين
ثم اخذتهم فكيف كان نكير * (٣)

ومن خصائص السور والآيات المكية الموضوعية الحديث عن
القرآن الكريم نفسه وأنه منزل من عند الله ورد شبه المنكرين الذين
قالوا عنه بأنه سحر أو شعر كما رد على الذين قالوا : * انما يعلمه
بشر * وعلى الذين طالبوا بانزاله جملة واحدة كالكتب السابقة

(١) حصيد أي هالك

(٢) غير تنبيل أي غير تخسير

(٣) الآيات من ١٠٠-١٠٦

(٤) الآيات من ٤٢-٤٤

وغير ذلك مما ستكشف عنه هذه النماذج التي أوردتها : من ذلك ما جاء في سورة الشعراء :

* وانه لتنزيل رب المسلمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الا وليم أولم يكن لهم اية أن يحلمه علماء بنى اسرائيل . ولو نزلناه على بعض الاعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم * (١)

وفي سورة الاسراء :

* وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرأنا فرقته لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل امنوا به اولاء تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحن ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يسبحون ويزيدهم خشوعا * (٢)

وفي توجيه الحق تبارك وتعالى للمؤمنين عند تلاوته .

وما ينبغي ان يتعلموا به من اداب :

* واذ اقرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون * (٣)

(١) الايات ١٦٢-٢٠١

(٢) الايات من ١٠٥-١٠٦

(٣) الاية ٢٠٤ من سورة الاعراف

وفي ذم المشركين على تكبيرهم عند سماع القرآن الكريم يقول
الحق تبارك وتعالى :

﴿ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ (١)

وفي مقام الحجّة عليهم يقول الحق تبارك وتعالى : موجها
نبيه صلى الله عليه وسلم :

﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى
الي هذا القرآن لأُذوكم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله
الهية أخرى قل لا أشهد قل إنما هو اله واحد وإنني بريء مما
تشركون ﴾ (٢)

وفي موقف من مواقف المشركين المتعددة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مساومتهم له : يطلبون منه أن يأتي بقرآن غير هذا الذي
أتى به أو أن يبدله بخيره لما وجدوا أن هذا يسفه الهتهم التي
زعموها . قال تعالى في سورة يونس :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينت قال الذين لا يرجون لقاءنا
أئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء
ان أتبع إلا ما يوحى الي انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدركم به فتد لبثت فيكم عمرا
من قبله أفلا تعقلون ﴾ (٣)

(١) الآية رقم ٢١ من سورة الانشقاق

(٢) آية رقم ١٩ من سورة الانعام

(٣) آية رقم ١٥

ويقولون انه مقرر افتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى به من عنده ، فيقذف القرآن الكريم بالتحدي في وجوههم ان كان ما يقولونه حقا انه من عند محمد . فمحمد بشر مثلكم وابن بيئتكم لم يتلق تعليما ولا اشتيرا به ، فأتوا بمثل ما أتى به محمد - في نترككم . والا فان دعوتكم هذه لا سند لها ولا أساس .

يقول سبحانه وتعالى :

* وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق

الذي بين يديه وتفصيل الكتب لا ريب فيه من رب العالمين ام

يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون

الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيدلوا بعلمه ولما ياتهم

تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * (١)

وحينما يتكلم عن القرآن الكريم عن الهداية بين أن سبيلها

هو القرآن نفسه لأن من قرأه وتدبره وعمل بما جاء به وسلك منهجه

فقد هدى الى صراط مستقيم :

* ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين

الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا * (٢)

وفي سورة الاسراء أيضا نجد ان القرآن يشير الى انه شفاء

للمؤمنين ورحمة :

(١) الايات رقم ٣٨ - ٣٩

(٢) الايات رقم ٩ - ١٠ من سورة الاسراء

* وننزل من القرآن ما هو شفاه ورحمة للمؤمنين * (١)

وحيثما يستعجل الرسول صلى الله عليه وسلم ترديد القرآن الكريم عند سماعه من أمين الوحي جبريل ويحرك بذلك لسانه بوجه أن ينتظر حتى يقضى إليه وحيه !

ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * (٢)

وفي سورة القيامة :

* لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآننا

فاذا قرأناه فاتبع قرأناه ثم ان علينا بيانه * (٣)

وحيثما تساءل المشركون لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة

نزل القرآن ليجيب على هذا السؤال ويبين السبب وهو تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وانحاش خصمه وتيسير حفظه على المؤمن :

* وقال الذين كفروا اولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك

لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا * (٤)

ويرفض كفار قريش الايمان بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية

السابقة كالتوراة ليجنوا على نكرانهم هذا انكار ما جاء فيه من الامور

الغيبية كالبعث مثلا فيكشف الله ذلك ويحكي عنهم قولهم :

(٢) اية رقم ١١٤ من سورة طه

(١) اية رقم ٨٢

(٣) الايات ١٦-١٧

(٤) اية رقم ٣٢ من سورة الفرقان

* وقال الذين كفروا لن لوؤ من بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه * (١)

ويصف المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر وان ما يقوله هو الشعر . فيتصدى القرآن الكريم و بنفسى هذه الصفة عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم . ويبين أنه ذكر وقرآن مبين :

* وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين * (٢)

هذه نماذج من حديث القرآن الكريم فى عهد المكى من القرآن نفسه ولقد سقت هذه الايات كاملة على أن من الخصائص الموضوعية للسور والايات المكية الحديث عن القرآن الكريم مكثفا فى ثناياها وقد نجد فى بعض الصور المدنية حديثا عن القرآن الكريم ولكنه ما بهذه الصورة الغالبة .

(١) الاية رقم ٣١ من سورة مباء

(٢) اية رقم ٦٩-٧٠ سورة يس

البحث الرابع

في بيان السور المتفق على مكيتها والمختلف فيها

قبل الشروع في بيان هذه السور لا بد من أن نقف على المعنى المراد من كلمة "سورة" فنقول :

السورة بغير الهمز اسم لطائفة من الآيات جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت من الطول المقدار الذي أراد تعالى ، و لا تكون السورة الا معروف المبتدأ معلوم المنتهى " (١) وعرفها الزمخشري (٢) في الكشاف بقوله :

" السورة طائفة من القرآن المترجمة - أي المسماة - وأقلها ثلاث آيات " (٣) أهـ . واشتقاقها اما من سور البناء والمدينة ، لأن السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الى الارتفاع الذي يبراه . والسورة كذلك وضعت آية الى جنب آية حتى بلغت المقدار الذي أراد الله تعالى أو وضعت كذلك لا تماثيا بالعلو والرفعة . لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب التي يرقى فيها القارئ أو لرفعة شأنها وجمالة محلها من الدين . كما سمي سور المدينة سورا لارتفاعه .

(١) غريب القرآن ورغائب الفرقان ج ١ ص

(٢) هو ابو القاسم جبار الله محمود بن عمير الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧ - ٥٢٨

(٣) ج ١ ص ٢٣٩

(١)

قال التابضة الذبياني :

ألم تر أن الله اعطاك سورة

(٢) ترى كل ملك دونها يتذبذب

أى شرفا ورفعة • " وقيل سميت سورة لا ما طهرها بما فيها من الايات •
كما ان سور المدينة محيطة بمساكنها • وأبنتها • فان السورة محيطة
بالايات والكلمات والحروف مشتملة على المعاني من الأمر والنهي والاحكام"^(٣) أه
هذا في حالة عدم همزها • أما ان همزت فهي من السؤر وهو
البقية من الشيء والفضلة منه • على اعتبار أن السور جزء من القرآن •
والذى أراه وأرجحه أنها من السور بالواو غير الميموزة على معنى الاحاطة •
لاحاطة كل سورة من كتاب الله الكريم على حكم وأحكام وأمور • وهذا لا
ينافى اشتمالها على السمو والرفعة •

بعد هذا البيان الذى سقناه فى معنى السورة ندخل فى موضوع

البحث فنقول :

اختلف العلماء فى تعيين السور المكية والمدنية • وتعيين الايات

المكية فى السور المدنية • والايات المدنية فى السور المكية • وسأورد

هذه الآراء ثم أرجح منها ما اطمئن اليه ان شاء الله •

(١)

(٢)

(٣) بصائر ذوى التمييز •

وقد ذكرها الامام جلال الدين السيوطي في كتابه : " الاتقان
في علوم القرآن " .

منها رواية ابن سعد (١) في الطبقات قال : أنبأنا الواقدي
قال حدثنا قدامة بن موسى عن ابي سلمة الحضرمي قال سمعت
ابن عباس قال : سألت ابي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة . فقال
نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرهما بمكة (٢) وهذه الرواية لم تحين السور
وانما اكتفت بذكر العدد الذي نزل بالمدينة .

ومنها ما ذكره ابو جعفر النحاس (٣) في كتابه النسخ والمنسوخ :
قال حدثني يموت بن المزروع قال حدثنا ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
أنبأنا ابو عبيدة ميم بن المثني حدثنا يوسف بن حبيب سمعت ابا عمرو
الملا يقول :

سألت مجاهدا (٤) عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي
فقال سألت ابن عباس عن ذلك فقال :

سورة الانعام نزلت جملة واحدة في مكة الا ثلاث آيات منها

(١) هو : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري يكنى بابي عبد الله

توفي ٢٣٠ هـ . كما ثبت الواقدي .

(٢) الاتقان ج ١ ص ٩ والطبقات ج ١ ص

(٣) هو :

(٤) مجاهد : هو مجاهد بن جبير المكي احد التابعين الثقات واحد العلماء

في القراءة والتفسير .

نزلت بالمدينة قل تعالوا الى تمام الايات الثلاث (١) . وما تقدم من السور
مدنيات .

ونزل بمكة سورة الاعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم
والحجر والنحل سوى ثلاث ايات في آخرها فانهم نزلن بين مكة
والمدينة في منصرفه من أحد وسورة بنى اسرائيل - يعنى الاسراء -
والكهف ومريم وطه والانبياء والحج سوى ثلاث آيات :

* هذان خصمن * (٢) الى تمام الايات الثلاث فانهم نزلن
بالمدينة وسورة المؤمن والفرقان وسورة الشعراء سوى خمس آيات منها
من آخرها فانهم نزلن بالمدينة * والشعراء يتبعهم الشاؤون * (٣) الى
آخرها . وسورة النمل والقصص والمنكوت والروم ولقمان سوى ثلاث آيات
منها نزلت بالمدينة * ولو أنما في الارض من شجرة أقلام * (٤) الى
تمام الايات .

وسورة السجدة سوى ثلاث ايات منها : * افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * (٥)

وسورة سبأ وفاطر ويس والصفات وص والزمر سوى ثلاث
آيات نزلت في وحشي قاتل حمزة . * قل يا عبادي الذين اسرفوا * (٦)
الى تمام الايات .

(١) الايات من ١٥١-١٥٣

(٢) الايات من ١٩-٢١

(٣) الايات من ٢٧-٢٩

(٤) الايات من ٥٣-٥٥

(٦)

(٥)

والحواميم السبع وقى والذاريك والطور والنجم والرحمن والواقعة ،
والصف والتغابن الايات في آخرها نزلت بالمدينة والملك والحاكمة
ون وسأل وسورة نوح والجن والمزمل الايتين * ان ربك يعلم
أنك تقوم * والمدثر الي آخر القرآن الا اذا زلزلت واذا جاء
نصر الله وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فانين مدنيات .
ونزل بالمدينة سورة الانفال وبراءة والنور والاحزاب وسورة محمد
والفتح والحجرات والحديد وما بعدها الي التحريم ”

قال الشيخ جلال الدين السيوطي في الاتقان :

” هكذا اخرجيه بطوله - يعني النحاس - واسناده جيد ورجاله
كلمة ثقاة ” (٢)

ومن هذه الروايات ما ذكره القرطبي (٣) في كتابه الجامع
لاحكام القرآن . قال : عن قتادة (٤) :

نزل بالمدينة من القرآن : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والانفال وبراءة والرعد والنحل
والحج والنور والاحزاب ومحمد
والفتح والحجرات والرحمن والحديد
والمجادلة والحشر والممتحنة والصف
والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق

(١) الايات رقم ١٩ - ٢٠

(٢) الاتقان ج ١ ص ١٠

(٣) هو : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي .

(٤) هو : قتادة بن دعامة بن قتادة الدوسي ت ش بضع عشرة

(١) ويا ايها النبي لم تحرم الى رأس الحشر

• واذا زلزلت واذا جاء نصر الله •

هذه للسور نزلت بالمدينة وسائر القرآن نزل بمكة. (٤)

ورواية رابعة ذكرها ابو الحسن الحصار (٣) في كتابه الناسخ

والمسوخ قال :

"المدني باتفاق عشرون سورة المختلف فيه اثنا عشرة سورة وما

(٢)

عدا ذلك مكي باتفاق •"

وهو يعني بالسور العشر بين المدنية باتفاق على حسب ما جاء في منظومته

التي ذكرها السيوطي في الاتقان (٣) :

سورة البقرة وآل عمران والنساء

والمائدة والانفال والتوبة والنور

والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات

والحديد والمجادلة والحشر والمنتحنة

والجمعة والمنافقين والطلاق والتحريم

• والنصر •

وأما السور الاثنا عشرة المختلف فيها فهي :

سورة الفاتحة والرعد والرحمن والصف

والتشابن والتطيف والقدر ولم يكن

واذا زلزلت والاخلاص والمعدناتان

• وما عدا ذلك فمكي النزول •

(١) يعني الحشر ايات الاول من السورة

(٢) الاتقان ج ١ ص ١١

(٣) المرجع السابق

(٤) الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٢

ولنقف مع هذه الروايات التي وردت في تحديد السور المكية والمدنية .
فالرواية الأولى هي رواية ابن سعد عن ابن عباس عن أبي
بن كعب ذكرت أنه نزل بالمدينة سبع وعشرون سورة وسائر القرآن نزل
بمكة . ولم تعين السور المكية ولا السور المدنية فقد اكتفت بذكر
عدد السور المدنية وما عداها فمكى . ومن غير تعين هذه السور
لا نستطيع الحكم عليها .

وأما الرواية الثانية فهي رواية أبو جعفر الفخاس عن ابني عمر
وابن الحلال عن مجاهد عن ابن عباس فقد عينت السور المكية
والمدنية . وتبين لنا من خلالهما أن سورة الرعد والحج والرحمن
مكيات . كما اعتبرت هذه الرواية أن سورة الفاتحة مدنية .

أما رواية القرطبي عن قتادة فقد ورد فيها أن سورة الرعد
والنحل والحج والرحمن مدنيات .

وأمثل هذه الأقوال عندي هو ما ذكره أبو الحسن الحصار
في كتابه الناسخ والمنسوخ حيث قال كما أورده السيوطي
في الاتقان : (١)

المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنا عشرة سورة
وما عدا ذلك مكي باتفاق .

وهو يريد بالسور العشرين المدنية باتفاق :

سورة البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانفال والتوبة

والنور والاحزاب ومحمد والفتح
والحجرات والحديد والمجادلة
والحشر والمنتحنة والجمعة والمنافقين
والطلاق والتحریم والنصر •

ويريد بالسور الاثني عشر المختلف فيها :

سورة الفاتحة والرعد والرحمن
والصف والتغابن والتطهيف والقدر
ولم يكن واذا زلزلت والاخلاص •
والمعوذتين •

ويريد بالسور المكية باتفاق ما عدا ذلك "أهـ

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان

في علم القرآن وهو يعلق على رواية أبو الحسن الحصار :

" نقل السيوطي في الاتقان اقوالا كثيرة في تعيين السور

المكية والمدنية ومن اوقفها ما ذكره ابو الحسن الحصار في كتابه

الناسخ والمنسوخ " (١) يريد بذلك الرواية المتقدمة •

ولم يسلم الدكتور محمد محمد ابوشهبة لأبي الحسن الحصار

رأيه هذا بل قال :

" ان بعض ما ذكره ابن الحصار غير مسلم لأن على رأيه تكون

سورة الحج مكية باتفاق مع انه روى عن ابن عباس وقتادة انها

مدنية وهي الارجح - وليس من المستساخ أن نعتبر هذا

الخلافة كلاً خلافاً . (١) أ هـ . ولقد تناولت سورة الحج
هذه كثيراً من السور التي ورد فيها الخلاف حول مكان نزولها
ولقد ترجح لدى مكيتها كما هو مبين في محله . (٢)

بيان السور التي ورد الخلاف في مكان نزولها ورأينا في هذا الخلاف :

١ - سورة الفاتحة :

وهي من السور التي ورد الخلاف في مكان نزولها فالأكثر
على أن هذه السورة الكريمة نزلت بمكة قبل الهجرة بينما قال غيرهم
أنها نزلت بالمدينة بعد الهجرة . كما سبق ذكره في الرواية المتقدمة
عن عبد الله بن عباس وقتادة وأبو العالية .

والذين قالوا بأنها مكية استدلووا بقوله تعالى :

* ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم * (٣)

ولقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما في الحديث
الصحيح الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني " (٤)

ومعلم أن هذه الآية من سورة الحجر وهذه السورة مكية

بالاجماع .

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٦

(٢) انظر ص

(٣) آية رقم ٨٧ من سورة الحجر

(٤) سنن الترمذي ج ٥ ص ٩٧

قال السيوطي في الاتقان :

" وقد امتن الله على رسوله بها فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها اذ يسجد أن يمتن الله عليه بما لم ينزل بعد وبأته لا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ أنه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة " (١) أهـ

اضافة الى ما تقدم فان كل الايات التي احاطت بهذه الاية الكريمة تدل على أنها مكية فقبلها نقرأ قوله تعالى :

* وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم . ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً مبينين ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * (٢)

فسمات القرآن المكي واضحة بيّنة تتمثل في لفت النظر الى خلق السموات والارض وما بينهما وما في ذلك من الدلالة على قدرة الله تعالى ثم الاشارة الى أن الساعة آتية لا ريب فيها . وتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم بالصفح الجميل عن المعارضين للدعوة والداعية وأن هو لا مغيرهم الهلاك . وفي هذا ما فيه من التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم يمتن الله على رسوله بأن الله جل جلاله قد اعطاك السبع المثاني والقرآن العظيم فاصرف النظر عن متاع الدنيا فانه عرض زائل مهمل طال وقليل مهمل كثير . كما وجه صلى الله عليه وسلم بخفض الجناح للمؤمنين .

(١) الاتقان في علم القرآن ج ١ ص ١٦

(٢) الايات ٨٥ - ٨٨

قال ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم :
” ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والأول أشبه
- يحنى بمكة - لقوله تعالى :

﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ (١)

وهناك رأى لم أجد له سندا يتعلق بمفهوم هذه الآية الكريمة
ذكره استاذى المرحوم الدكتور محمد محمود حجازى فى كتابه الوحدة
الموضوعية للقرآن الكريم • مدلا بذلك على وحدة الموضوع فى القرآن
الكريم وان تباعد زمن النزول بين آياته قال :

ومن العجيب أن الآية ٨٧ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم ﴾ مدنية ومن أواخر القرآن نزولا • ثم هى قد
وضعت بين آيات مكة فهل رأيتها قلقة فى موضعها بين أخواتها
المكيات ؟ هل رأيت تناقرا فى السورة كلها مع عناصرها المتعددة
المختلفة نزولا وغرضا ؟

انك ان قرأت السورة أو سمعتها ما شككت أنها نزلت مرة واحدة
ودفعة واحدة مع أنها كما علمت متباعدة فى زمن النزول ” (٢) ١ هـ ثم
قال فى الهامش فى نفس الصفحة :

” هذا رأى بعضهم بناء على أن المراد بالسبع المثاني السبع
الأول ولا شك أنها مدنية ومنها مكى ويرى بعضهم ان الآية
مكية ” أ هـ

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨

(٢) و (٣) ص ٥٧ ط دار الكتب الحديثة

ورحم الله استاذنا حجازي فهو في سبيل الانتصار لوحدية القرآن
الموضوعية كان يمكنه أن يأخذ مثلا ومثالا من غير هذا المثال الذي هو
نفسه قد شكك القارئ فيه وقد بينت فيما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم
قد فسر فاتحة الكتاب بأنها السبع المثاني والقرآن العظيم .

وفي تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي (١) جاء قوله :

” وقد صح أنها مكية - اي الفاتحة - لقوله تعالى :

﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾

وهو مكِّي بالنص ” (٢) أهـ .

وهناك من يرى أن هذه السورة الكريمة هي أول القرآن نزولا كما

جاء في كتاب البرهان في علم القرآن للزركشي (٣) حيث قال :

” وقيل أول ما نزل سورة الفاتحة روى ذلك من طريق أبي اسحق

عن أبي ميسرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا/الصوت انطلق هاربا
وذكر نزول الملك عليه وقوله قل : ﴿ الحمد لله رب العالمين ٠٠٠ الى آخرها ﴾ (٤)

ثم قال الزركشي :

” وقال القاضي ابوبكر في الانتصار وهذا الخبر متقطع ” (٥) أهـ

(١) هو : عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

(٢) تفسير البيضاوي ج ١ ص ٨ ط مؤسسة شحبان للنشر بيروت

(٣) هو : بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي

(٤) ج ١ ص ٢٠٧

(٥) المصدر السابق نفسه .

قلت : والصحيح ان أول ما نزل عليه من القرآن عليه الصلاة والسلام هو صدر سورة اقرأ كما رواه البخارى في صحيحه بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

” أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التصبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :

* اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم *

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاد . (١)

فان هذا الحديث واضح الدلالة على أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو صدر سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق . الا اذا قصد بذلك أن الفاتحة هى أول سورة نزلت كاملة . اضافة الى ما تقدم فان هذه السورة الكريمة قد اشتملت على التوحيد والمعاد والنبوات كما

انها افتتحت بالشاء على الله تبارك وتعالى . وهذه الافتتاحية كل
السور التي افتتحت بها سور مكية النزول من غير خلاف وهذه السور
هي :

سورة الانعام :

فهي مفتوحة بقوله تعالى :

الذي

* الحمد لله خلق السموات والارض وجعل الظلمت والنور

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون *

وسورة الكهف :

* الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه *

وسورة سبأ :

* الحمد لله له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في

الأولى والاخرة وهو الحكيم الخبير *

وسورة فاطر :

* الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى

اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله

على كل شيء قدير *

هذه السور كلها مكية النزول وكلها مفتوحة بالشاء على الله

عز وجل . ثم زيادة على ما تقدم فاني بالتبوع والاستقراء ما وجدت

هذه الكلمة المباركة * الحمد لله * الا في سورة مكية . وتأتي مصحوبة

بنعمة من نعم الله تعالى التي لا تحصى • واليك قارئى الكريم
بيان ذلك :

١ - في سورة الانعام : قوله تعالى :

* فقطح دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *

آية ٤٥

٢ - وفي سورة الاعراف :

* وقالوا الحمد لله هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا

الله * آية ٤٣

٣ - وفي سورة يونس :

* وآخر دعوانى أن الحمد لله رب العالمين *

آية رقم ١٠

٤ - وفي سورة ابراهيم :

* الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان

ربى لسميح الدعاء *

آية رقم ٣٦

٥ - وفي سورة النحل :

* بل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون *

آية رقم ٧٥

٦ - وفي سورة الاسراء :

* وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا * آية رقم ١١١

٧ - وفي سورة المؤمنون :

* نقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين *

آية رقم ٢٨

٨ - وفي سورة النمل :

* وقال : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنون *

آية رقم ١٥

٩ - وفيها أيضا :

* قل الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى *

آية رقم ٥٩

١٠ - وفي نفس السورة :

* وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بخافتل

عما تعلمون *

آية رقم ٩٣

١١ - وفي سورة القصص :

* وله الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون *

آية رقم ٧٠

١٢ - وفي سورة العنكبوت :

* قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون *

آية رقم ٦٣

١٣ - وفي سورة الروم :

* وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون *

آية رقم ١٨

١٤ - وفي سورة لقمان :

* قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون *

آية رقم ٢٥

١٥ - وفي سورة سبأ :

* وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير *

آية رقم ١

١٦ - وفي سورة فاطر :

* وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور *

آية رقم ٣٤

١٧ - وفي سورة الصافات :

* وسلام على المرسلين والحمد لله رب العلمين *

آية رقم ١٨٢

١٨ - وفي سورة الزمر :

* ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل

هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون *

آية رقم ٢٩

١٩ - وفيها أيضا :

* وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوؤ من

الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين *

آية رقم ٧٥

٢١ - وفيها كذلك :

* وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين *
آية رقم ٧٥ .

٢١ - وفي سورة ظفر :
قوله تعالى :

* فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين *
آية رقم ٦٥

٢٢ - وفي سورة الجاثية :

* فله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين *
آية رقم ٣٦

٢٣ - وفي سورة التغابن :

* له الملك وله الحمد *
* وهو على كل شيء قدير *

آية رقم ١

يشير ما تقدم من الاثار والاحاديث . ومن التبج والاستقراء الذي سقناه
فانني ارجح أن هذه السورة الكريمة هي مكية النزول وهي من
السور المكية .

٢ - سورة الرعد :

ففي رواية الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما
التي تقدم ذكرها انها مكية النزول .

والرواية الثانية عن قتادة أنها مدنية .

وقد ذكر ابن كثير انها مكية النزول . (١)

والدارس لهذه السورة الكريمة يجد أنها تتفق تماما مع الجو
العالم للدعوة الإسلامية في عهدنا المكي - وقد تقدم لنا في البحث
الثاني في ضوابط المكي والمدني :

أن السور التي افتتحت بأحرف التهجى كلها مكية باستثناء
سورتي البقرة وآل عمران *

وسورة الرعد قد افتتحت بهذه الأحرف كما أنها تناولت موضوع
الحقيدة وما يتصل بها من أمر الرسالة والبعث والجزاء • وتأكيد الأمر
الحقيدة نجد ذكر آيت الله الكونية مبسطة في هذه السورة كما ذكرت
في ثنايا آياتها نعيم الله على عباده • فافتتاحية هذه السورة هي :

* الأمر تلك آيت الكتب والذي أنزل اليك من ربك
الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون*

كما فيها الانتصار للقرآن الكريم شأنها في ذلك شأن السور المكية
وأن نزوله من عند الله حق لا ريب فيه وإقامة الأدلة على توحيد
الله بما يرى من خلق السموات والأرض والجبال والأنهار والنبات •
على اختلاف ألوانه وأشكاله •

* الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات
لملكم بقاء ربكم توقنون • وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهرها
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يخشى الليل النهار أن في ذلك
لايت لقوم يتفكرون • وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الأكل ان في ذلك لايت لقوم يعقلون * (١)

وذلك والله أعلم تفصيل لما اجمل في سورة يوسف عليه السلام
التي قبلها • وهو قوله تعالى :

* وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون ﴿ (١) *

فاجملت هذه الآية التي يمرون عليها في سورة يوسف وفصلت
في سورة الرعد •

كما تحدث آيات هذه السورة عن اثبات البعث • وكشفت عن حال
المشركين وهم يتعجبون من ان يكون هناك معاد وخلق جديد •

* وان تعجب فحجب قولهم "اذا كنا ترابا انا لفي خلق
جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الاغلال في اعناقهم اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ (٢) *

والمخاطب هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وان تعجب من تكذيب
الكفار لك فحقيق بالمجب "قولهم "اذا كنا ترابا انا لفي
خلق جديد " لان القادر على انشاء الخلق من غير مثال قادر على
اعادتهم " ﴿ (٣) *

كذلك تبين سورة الرعد طلب المشركين من الرسول صلى الله
عليه وسلم العذاب واستعجاله :

* ويستعجلونك بالسبيئة قبل الحسنة وقد خلت من
قبلهم المثالات ﴿ (٤) *

(١) آية رقم ١٠٥ (٢) آية رقم ٥

(٣) انظر تفسير الجلالين ج ٢ ص ٣٢٧ (٤) آية رقم ٦

واستعجال العذاب من المشركين بهذا الاسلوب نجده في ايات كثيرة
في السور المكية منها ما جاء في سورة الحجر :

* وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون • لو ما تاتينا
بالملائكة ان كنت من الصادقين • ما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين * (١)

وضيها :

* سأل سائل بعذاب واقع * (٢)

ومن ذلك ما ذكره عنهم القرآن الكريم في سورة ص :

* وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب * (٣) اي نصيبنا
من العذاب •

قالوا ذلك استهزاء وتكديبا • وكما ذكر القرآن الكريم قولهم
بطلب العذاب في سورة الانفال :

* وان قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتسنا بعذاب اليم * (٤)

قالوا ذلك من شدة كفرهم وعنادهم واستهزائهم •

وقد يقول قائل ان هذه الاية من سورة الانفال والسورة مدنية • نقول نعم
ان السورة مدنية ولكن القائل هو النضر ابن الحارث • وقيل هو ابو جهل الباكون
رضوا بذلك •

(١) آية رقم ٦ ٧٤ ٨٤

(٢) آية رقم ١ سورة المعارج

(٣)

(٤) آية رقم ٣٢

فقد روى البخارى بسنده : عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :
قال أبو جهيل : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء أو ائتنا بحذاب اليم .

قال ابن حجر : قوله قال ابو جهيل : اللهم ان كان هذا الى
آخره : ظاهر في انه القائل ذلك . وان كان هذا القول نسب الى جماعة فحلله
بدأ به ورضى الباقر فنسب اليهم (١)

كذلك نجد في هذه السورة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم حينما كذبه
قومه وذلك باخباره باحداث للرسل الذين سبقوه عليهم الصلاة
والسلام :

* كذلك ارسلناك في أمة قد دخلت من قبلها أمم لتتلو عليهم
الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب * (٢)

اي كما ارسلنا الانبياء قبلك ارسلناك في أمة قد سبقتها أم لتقرأ
عليهم الذى اوحينا اليك وهو القرآن الكريم مع كفرهم بالرحمن وعدم السجود
له فاستمسك أنت به وادخله . وقل الله ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
متاب . وامثال هذا الاسلوب والمعنى الذى سبق لبيانته كثير في السور
المكية . فقد جاء في سورة الانعام :

* ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واورثوا حتى
اتسبهم نصرنا ولا تبدل لكلمت الله ولقد جاءك من نبي المرسلين * (٣)

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٣٠٩

(٢) آية رقم ٢٠ (٣) آية رقم ٣٤

كما تحدثت هذه السورة الكريمة عن الجنة التي وعد بها المتقون
والنار التي هي عقى الكافرين وبئس المصير .

أما ما جاء في ختام هذه السورة وهو قوله تعالى :
* ويقول الذين كفروا الست مرسلات قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب *

فقد قالوا الذي عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سالم وهو قد
أسلم بعد الهجرة النبوية .

قال ابن كثير:

قيل نزلت في عبد الله بن سالم (١) ، قاله مجاهد . وهذا القول
غريب لأن هذه الآية مكية - وعبد الله بن سالم إنما أسلم في أول
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ثم قال :

والظاهر ما قاله الصوفي عن ابن عيان : هم من اليهود والنصارى .
ثم قال ابن كثير :

والصحيح في هذا : أن من عنده اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب
الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونحته في كتبهم المتقدمة من

(١) هو : عبد الله بن سالم بن الحارث أبو يوسف من ذرية
يوسف النبي عليه السلام الإسرائيلي ثم الانصاري . الاصابة في تمييز
الصحابه لابن حجر ج ٢ ص ٣٢٠

بشارات الانبياء به كما قال تعالى :

* ورحمى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
والذين هم بأيتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى
يجدونہ مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل * (١)

وامثال ذلك مما فيه من الاخبار عن علماء بنى اسرائيل لأنهم يحلمون
ذلك من كتبهم المنزلة • (٢)

وقال القرطبي رحمه الله :

سورة الرعد مكية غ فى قول الحسن وعكرمة وعطاء (٣)
وجابر (٤) « (٥) ا هـ

وحيثما تكلم الاستاذ سيد قطب رحمه الله فى مقدمة تفسيره هذه
السورة قال :

ان موضوعها الرئيسى ككل موضوع السور المكية كلها على وجه
التقريب هو الحقيقة وقضاياها هي توحيد الالهية وتوحيد
الربوبية وتوحيد الدينونة لله وحده فى الدنيا والاخرة جميعا • ومن
ثم قضية الوحي وقضية البحث وماليها ••••• ويقول عن جـ
السورة المام :

(١) الايات من رقم ١٥٦-١٥٧ من سورة الاعراف

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢١

(٣) هو : عطاء بن رباح سنة اربع عشرة

(٤) هو :

(٥) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٧٨

ان جوالمشاهدة الطبيعية المتقبلة من سماء وارض وشمس وقمر وليل
ونهار وضخوص وظلال وجبال راسية وانهار جارسة وزيد ذاهب وماء
باق وقطاع من الارض متجاورات مختلفات ونخيل صنوان وغير صنوان • ومن
ثم تضطرد هذه المتقابلات في كل المعاني وفي كل الحركات وفي كل المصائر
في السورة فيتناسق التقابل المعنوي مع التقابلات الحسية •• وتتسقى
في الجوالعام • ومن ثم يتقابل الاستعلاء في الاستواء على العرش
مع تسخير الشمس والقمر ويتقابل ما تضيض به الارحام مع ما تزداد • ويتقابل
من سر القول مع من جهر به • ومن هو مستخف بالليل مع من هو سارب بالنهار
ويتقابل الخوف مع الطمع تجاه البرق • ويتقابل تسبيح الرعد حمدا
مع تسبيح الملكة خوفا • وتتقابل دعوة الحق لله مع دعوة الباطل
للشركاء • ويتقابل من يعلم مع من هو اعشى • ويتقابل الذين يفرحون
من اهل الكتاب بالقرآن مع من ينكر بعضه ويتقابل المحوم مع
الاثبات في الكتاب • (١)

اضافة الى ما تقدم فانني ارى ان هذه السورة الكريمة لا تحمل أي
سمة من سمات القرآن المدني • فليس بها تشريع ولا احكام فرعية • وانما
ركزت على وحدانية الله تعالى وابرار قدرته التي لا تقهر • واظهار آياته
الكونية واضحة لكل ذي عقل وبصيرة • من اجل ذلك كله فاتي ارجح
ان هذه السورة مكية النزول •

(١) في ظلال القرآن مجلد ٥ ص ٦٥

ط دار التراث العربي - بيروت •

٣ - سورة الحج :

هذه السورة الكريمة من السور التي اختلف في زمان نزولها
حتى ان من المفسرين من اعتبر آياتها مختلطة بين المكي والمدني (١) .
وهناك من اعتبرها مدنية باستثناء آيات فيها كما ذكر ذلك الشيخ
مصطفى المراغي حيث قال : هي مدنية الا الايت : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٥ يعني بذلك : قوله تعالى :

* وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
في اميته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم
حكيم ليحصل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والفاسية
قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك فيؤء منوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى
الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ولا يزال الذين كفروا في مريسة منه حتى
تأتيهم الساعة بغتة او ياتسهم عذاب يوم عقيم * ثم قال والاصح
انها مختلطة منها المكي ومنها المدني " (٢) أه

ومن اعتبر هذه السورة مكية من المفسرين الامام فخر الدين

الرازي .

قال في التفسير الكبير :

" سورة الحج سبعون وست آيات وهي مكية الا ثلاث

آيات منها :

(١) انظر تفسير : فتح القدير للامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني

ج ٣ ص ٤٣٤ ط بيروت

(٢) تفسير المراغي ج ١٦ ص ٨٣

* هذان خصمان الى قوله صراط مستقيم * (١)

وبهذا قال ابو السعود (٢) والقرطبي والخازن (٣) والامام البغوي (٤)
والالوسي (٥) .

ويؤيد قولهم هذا ما جاء في فتح الباري تحت باب * هذان
خصمان اختصموا في ربهم *

قال :

حدثنا حجاج بن ضيال حدثنا هشيم اخبرنا ابو هاشم عن ابي
مجلز عن قيس بن عباد عن ابي ذر رضى الله عنه انه كان يقسم فيها
قسما : ان هذه الاية * هذان خصمان اختصموا في ربهم * نزلت في
حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر (٦) اهـ

والمراد بذلك ما دار في غزوة بدر بين المسلمين والمشركين . ففى
بداية القتال كان قد برز من صفوف المسلمين الصحابة الاجلاء :

عبدة بن الحمران بن عبدالمطلب

وعلى بن ابي طالب

وحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهم اجمعين .

(١) التفسير الكبير المجلد ٢٣ ص ٢

(٢) هو محمد بن العماد الحنفي

(٣) هو علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادي ت ٧٢٥

(٤) هو ابو محمد الحسين الفراء البغوي

(٥) هو ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الاندلسي البغدادي

(٦) فتح الباري ج ٨ ص ٤٤٣

ومن المشركين :

عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وهذه الغزوة قد حدثت في السنة الثانية الهجرية .

وروى ابن جرير الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله
عنه^{للمؤمنين} ما أنزلت في أهل الكتاب قالوا / : نحن أولى بالله منكم
وأقدم كتابا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمننا
بمحمد ونبيكم وما أنزل الله من كتاب * (١) أه

ان كلا الروايتين تفيد ان هذه الايات من هذه السورة قد نزلت بالمدينة

حيث ان غزوة بدر قد حدثت في السنة الثانية الهجرية ومحاكمة
أهل الكتاب للمسلمين لم تحدث الا في المدينة بعد الهجرة . هذا على فرض
أن ما ذكره ابن جرير الطبري صحيح . ويقول الاستاذ سيد قطب
في مقدمته لتفسير سورة الحج :

والذي يخلب على السورة هو موضوعات السور المكية وجو السور
المكية . فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة واثبات البعث وانكار
الشرك ومشاهد القيامة وايات الله الماثثة في صفحات الكون بارزة في
السورة . ثم قال :

والى جوارها الموضوعات المدنية من الاذن بالقتال وحماية الشعائر والوعود
بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو لا يريد العدوان . والامر بالجهاد فى
سبيل الله . والظلال الواضحة فى جوار السورة كلها ظلال القوة والشدة والحنف
والرهبة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام * (٢)

(١) المجلد التاسع ص ٩٩ ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

(٢) المجلد رقم ٥ ص ٥٢٥

ولقد ذكرت قبل ذلك أن هذه السمات البارزة للسور المكية أنها
يكثر فيها ذكر يوم القيامة وما فيه من الأهوال - كما يكثر فيها ذكر
الآيات الكونية للفت النظر إلى قدرة الله تعالى . ثم ذكر الام الماضية
وما حصل لها من رسلها . وفي سورة الحج فتحدث عنها نجاهها
تتناول هذه الموضوعات . ففي افتتاحها قوله تعالى :

* يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد * (١)

وفيهما قوله تعالى :

* وان يكذبوك فقد كذبت قبليم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فاطميت للكافرين ثم
اخذتهم فكيف كان كبير * (٢)

وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاقيه من أذى قومه
له ولأصحابه . وفيها قوله تعالى :

* ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والذواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن
يرين الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء * (٣)

(١) الآيات رقم ١ ٤ ٦ ٢

(٢) الآيات رقم ١٤٢ - ١٤٤

(٣) آية رقم ١٨

وفيها كذلك قوله عز ذكره :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله له الغني الحميد •
ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره وي
يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم •
هو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لَكفور ﴿ (١)

وفي هذه السورة الكريمة ضرب المثل للذين اتخذوا مع الله
شركاء • وبيان ان هؤلاء الشركاء ضعفاء لا ينصرون انفسهم بله
الاخيرين •

﴿ يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره
ان الله لقوى عزيز •

أما ما ورد في هذه السورة من ذكر القتال والاذن به • وان
القتال معلوم لم يؤذن به الا بعد الهجرة في المدينة المنورة •
فانى أرجح الى ان السورة مكية وهذه الايات مستثناة كما تقدم من
قبل • وهو الذي يجعلنى أميل الى ان سورة الحج مكية النزول
الا ما استثنى منها •

٣ - سورة الرحمن :

وهي من السور التي ورد الخلاف في زمان نزولها عند العلماء .
ففي رواية عبد الله بن عباس المتقدمة (١) انها مكية . وفي رواية
قتادة انها مدنية .

قال السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور :
سورة الرحمن مكية . وذكر عدة احاديث منها :

(١) - ما اخرجہ ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما قال :

انزل بمكة سورة الرحمن .

(٢) - ومنها ما اخرجہ ابن مردويه ايضا عن عائشة رضي
الله عنها قالت :

نزلت سورة الرحمن بمكة (٢)

وجاء في مسند الامام أحمد رحمه الله :

قال عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى بن اسحق قال
انبأنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر
رضي الله عنها قالت :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يطل نحو الركن
قبل أن يصدح بما يؤمر والمشركون يستمعون * فبأي آلاء ربكما تكذبان * (٣)

(١) انظر ص (٢) ج ص

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٤٩

وقال ابن كثير في تفسيره عند قوله تبارك وتعالى :

❖ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ❖

من سورة الاحقاف : قال : قال الحافظ البيهقي حدثنا الامام ابو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا ابوالحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن ابراهيم اليوشنجي حدثنا هشام ابن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال :

مالى أراكم سكونا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مدة ❖ فبأى آلاء ربكما تكذبان ❖ الا قالوا ولا بشيء من الاثك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (١)

وبما أن قصة سماح الجن لسورة الرحمن قد وردت في سورة الاحقاف وهي مكية اجماعا . فان في ذلك اشارة الى ان سورة الرحمن مكية .

ثم ما ذكره ابن اسحق من ان اول من جهر بالقرآن - بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .

قال ابن اسحق حدثني يحيى بن عروة بن الزبير

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٠ ط عيسى البابي الحلبي .

عن ابيه قال :

كان أول من جبر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع يوما أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا
القرآن يجبر بها به قط (١) . فمن رجل يسموه ؟ فقال عبدالله
بن مسعود : أنا .

قالوا : انا نخشاهم عليك ، انما نريد رجلا له عشيرة ينمونه
من القوم ان ارادوه .

قال : دعونى فان الله سينمئى .

قال : فعدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى
وقريش فى انديتها . حتى قام عند المقام ثم قرأ :

* بسم الله الرحمن الرحيم * رافعا بها صوته - * الرحمن

علم القرآن *

قال : ثم استقبلها يقرأها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون :
ماذا قال ابن أم محمد ؟

ثم قالوا : انه يتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا اليه فجعلوا
يخربون فى وجهه . وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ .

(١) ربما يحنى ذلك من الصحابة عليهم رضوان الله . والا فقد سموه

من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا في وجهه • فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك •

فقال : ما كان اعداء الله اهلون علي منهم الان • ولئن شئتم لا غاديتهم بضلها غذا •

قالوا : لا • حسبك قد اسمعتهم ما يكرهون " (١)

اضافة الى ما تقدم فان الدارس لهذه السورة الكريمة يجد أنها قد اتسمت بسمات القرآن المكي اسلوبا وموضوعا • فمن حيث الأسلوب نجدها قصيرة الفواصل مع قوة الالفاظ وإيجاز العبارة شأنها في ذلك شأن السور المكية :

* الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر

بحسبان * الى آخر الايات •

أما من حيث الموضوع فان السورة قد اشتملت على ايات وبراہين

تدل على قدرة الله تعالى على كل شيء • فهو الذي علم القرآن •

وخلق الانسان وعلمه البيان • وهو خالق الشمس والقمر والنجوم

والشجر وخالق الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس

وتبين حال المجرمين الجاحدين لالوهية الخالق جل وعلا وانهم

يصرفون بسياهم فيؤخذون بالنواصي والاقدام لملاقات مصيرهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣١٨ - ٣١٩ ط مصطفى

البابى الحلبي •

المحتوم • جزاء وفاتنا • كما تبين بالمقابل حال المتقين الذين يخافون مقام ربهم ويقدرونه حق قدره • وما اعد الله لهم من نعم مقيم •

وهناك ملاحظة اخرى من سورة الرحمن لا نكاد نجد لها مثيلا الا في السور المكية - وهي ظاهرة تكرر بعض الكلمات :
مثال ذلك :

كلمة " الميزان " فقد تكررت ثلاث مرات ، قال تعالى :

* والسماء رفعتها ووضع الميزان الا تطفوا في الميزان واقبوا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * (١)

قال الكرمانى (٢) : اعاده ثلاث مرات ، فصرح ولم يضمن ليكون كل واحد قائما بنفسه غير محتاج الى الاول • وقيل لأن كل واحد غير
الاخر :

الاول ميزان الدنيا

والثانى ميزان الاخرة

والثالث ميزان العقل

وقيل نزلت متفرقة فاقتضى الاظهار (٣)

(١) الايات رقم ٨٤٧ ، ٩٤

(٢) الكرمانى هو : ابوالقاسم برهان الدين محمود بن حمزة ابن نصر الكرمانى

الشافعى يلقب بتاج الدين الفراء ت سنة ٥٠٠ هـ

(٣) اسرار التكرار في القرآن ص ١٩٨ ط

وآية اخرى قد تكررت احدى وثلاثين مرة وهى قوله تعالى :

* فبأى آلاء ربكما تكذبان *

ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله تعالى

وبدائع صنعه (١) ومبدأ الخلق ومعادهم .

ثم سبعة (٢) منها عقب آيات فيها ذكر الجنة والنار .

وش على عدد ابواب جهنم .

وحسن ذكر الاء عقبها لأن فى صرفها ودفعتها نعمما

توازى النعم المذكورة . أولاً لأنها حلت بالاعداء وذلك اكبر

النعماء . .

ثم بعد هذه السبعة ثمانية (٣) فى وصف الجنان واهلها

على عدد ابواب الجنة .

ثم ثمانية اخرى (٤) .

قال الدكتور شوقى ضيف فى كتابه : " سورة الرحمن وسور

قصار " عند كلامه على قول الله تعالى * فبأى آلاء ربكما

تكذبان * قال :

(١) الايات من ١٣-٣٠

(٢) الايات من ٢١-٤٢

(٣) الايات من ٤٦-٦١

(٤) الايات من ٦٢-٧٧

كان ذلك حريصاً بأن يلفت نظر الصحابة رضوان الله عليهم كما
لاحظ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم • فاما ان يردوا عبارة كمبارة
الجن قائلين :

” ولا بشيء من الاثك او نعمك ربنا نكذب فلك الحمد • ”

واما ان يردوا الاية نفسها مع كل نعمة قائلين :

* فباى آلاء ربكما تكذبان * (١)

كما نجد مثل هذا النوع من التكرار نجده في سورة الشعراء :

قال تعالى :

* ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك ليرى

العزيز الرحيم *

فقد ذكرت هاتان الايتان ثمانية مرات :

الاولى عقب ذكر خلق الارض وما انبت الله تعالى من النبات
وما بسط فيها من النعم وفي ذلك دلالة على قدرة الخالق
جل وعلا •

* ألم يروا الى الارض كما انبتنا فيها من كل زوج كريم * (٢)

من زرع وثمار وحيوان * ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك ليرى العزيز الرحيم * (٣)

(١) ص ٣٢ - ٣٣ ط دارالمعارف بمصر

(٢) اية رقم ٧

(٣) الاية رقم ٨ - ٩

فقد ذكرنا اضافة الى ما تقدم عقب قصة موسى (١) وقصة ابراهيم (٢)
وقصة نوح (٣) وقصة هود (٤) وقصة صالح (٥) وقصة لوط (٦)
ثم قصة شعيب (٧) عليهم الصلاة والسلام .

كما تكرر لفظ * ألا تتقون * في نفس السورة في خمسة مواضع
في قصة نوح (٨) وهود (٩) وصالح (١٠) ولسوط (١١) وشعيب (١٢)

ومن ذلك ما ورد في سورة القمر كما في قوله تبارك وتعالى :

* فكيف كان عذابي ونذري * بعد بيان ما نزل من العذاب

بقوم نوح وعاد وثمود يكون بما حصل بهم عظة لأولي الالباب .

(١) اية رقم ٦٢ - ٦٨

(٢) اية رقم ١٠٣ - ١٠٤

(٣) اية رقم ١٢١ - ١٢٢

(٤) اية رقم ١٣٩ - ١٤٠

(٥) اية رقم ١٥٨ - ١٥٩

(٦) اية رقم ١٧٤ - ١٧٥

(٧) اية رقم ١٩٠ - ١٩١

(٨) الايات من ١٠٦ - ١٠٩

(٩) الايات من ١٢٤ - ١٢٧

(١٠) الايات من ١٤٢ - ١٤٥

(١١) الايات من ١١٦ - ١٦٤

(١٢) الايات من ١٧٧ - ١٨٠

كما تردد قوله تعالى :

* ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * أربع مرات •

ومثله ايضاً ما جاء في سورة المرسلات في قوله تعالى :

* ويل يومئذ للمكذبين * فانها قد ذكرت عشر مرات عقب

تفصيل التول في المحاد وجزاء الكافرين وثواب المتقين • وسورة

المرسلات مكية بالاجماع •

وكان هذا التكرار مراد منه - والله اعلم - أن يخرق سمع من في

آذانهم وقرو على قلوبهم اكنة من شركى العرب وغيرهم •

فهذا الذي اوردته من الاثار عن الصحابة عليهم رضوان الله وقبل

ذلك ما جاء في قصة الجن وهذه المماثلات في السور المكية يدعوني

كل ذلك الى ترجيح أن سورة الرحمن مكية النزول •

٤ - سورة الصف :

وهي من السور التي ورد الخلاف في زمان نزولها ففي رواية

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما انها مكية (١) النزول - بينما

هي مدنية في رواية قتادة •

قال الشوكاني في تفسيره (٢) : هي مدنية •

(١) انظر ص من الرسالة

(٢) ج ٥ ص ٢١٨

قال الواحدى فى اسباب النزول : قوله تعالى :

﴿ سبح لله ما فى السموت وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ﴾

اخبرنا محمد بن احمد بن محمد بن جعفر اخبرنا محمد بن عبد الله بن
زكريا ان محمد بن عبد الرحمن الدغولى قال اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا
ابن كثير الصنعانى عن الاوزاعى عن يحيى بن ابي كثير عن ابي
سلمة عن عبد الله بن سلام . قال تعدنا نغرم من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم وقلنا :

لونغلم أى لى الله تبارك وتعالى عطفناه .

فانزل الله تعالى :

﴿ سبح لله ما فى السموت وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ﴾ الى

قوله تعالى :

﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ الى آخر السورة .

فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١)

قلت : ان عبد الله بن سلام لم يسلم الا فى المدينة بعد هجرة
النبى صلى الله عليه وسلم . على اصح الاراء وان القتال لم يفرض الا فى المدينة
فى السنة الثانية من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كما تقدم بيان ذلك
فى سورة الحج . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فموضوع
هذه السورة هو الحث على القتال فى سبيل الله والثبات عليه ، وذكر
حال اهل الكتاب من يهود ونصارى واقترائهم على الله الكذب وكشف

نواياهم بانهم * يريدون أن يطفئوا نور الله بانفواهم والله متم
نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * (١)

وكما ان سورة الرحمن - التي تقدم ذكرها - قد شاركت غيرها
من السور المكية اسلوبا وموضوعا - فان سورة الصف موضوعها
الرئيسي هو احد الموضوعات التي عالجتها السور المدنية وهو القتال
والحث عليه . والثبات فيه .

قال تعالى :

* يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبرمقا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص * (٢)

وهذه التجارة الربحة عند الله تعالى :

* يا ايها الذين امنوا عل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدت ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * (٣)

(١) اية ٨ - ٩

(٢) اية رقم ٣٥٦ ، ٤

(٣) الايات من ١٠ - ١٣

وموضوع القتال والحث عليه وما يناله المجاهد من الثواب العظيم
عند الله قد تناولته السور المدنية كالذى ورد في سورة التوبة (١)
والانفال وآل عمران والاحزاب .

وكما كشفت سورة الصف نوايا اليهود والنصارى في اخماد كلمة الحق
كذلك ورد ذلك في سورة التوبة فقد عاب عليهم قولهم الكاذب ، حين
قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله - ذلك
قولهم بافواههم ما انزل الله به من سلطان - وما لهم بذلك من علم ولا لبايهم
كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا . جاء في سورة
التوبة :

* وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى
يؤفكون - اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون
ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون * (٢)

دما تقدم يتبين لنا ان موضوع سورة الصف واسلوبها يتفقان تماما مع
موضوع واسلوب السور المدنية - اضافة الى ما تقدم من حديث عبد الله بن

(١) الايات من ١٠ - ١٣

(٢) الايات من ٣٠ - ٣٣

سلام • وهذا ما جعلني ارجح ان سورة الصف سورة مدنية النزول •

٥ - سورة التغابن :

وهي من السور التي وردت الخلف في زمان نزولها ففي الرواية

المقدمة - عن ابن عباس رضي الله عنهما انها مكية •

وفي رواية قتادة انها مدنية •

ولعل التوفيق بين الروایتين ممكن من حيث ان بعض السورة قد

نزل بمكة ، وبعضها قد نزل بالمدينة •

قال السيوطي في الاتقان :

* التغابن * يستثنى منها على انها مكية اخرها كما اخرجها

الترمذي والحاكم في سبب نزولها • (١)

وقال الشوكاني في فتح القدير :

اخرج النحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة التغابن

بمكة الا ايات من اخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي

شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله :

* يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم *

الى آخر السورة اهـ (٢)

أقول : ان هذه السورة الكريمة قد جمعت بين المكي والمدني

غير انه يغلب عليها جو السور المكية فيما تناولته من موضوعات •• فهي

(١) الاتقان ج ١ ص ١٧

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٣٢٤

تحدث عن قدرة الله تعالى وبانه خالق السموات والارض بالحق - وهو الذي صور الانسان في احسن صورته واليه مرجعه قال تعالى :

* خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه
المصير يعلم ما في السموات والارض ويحلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور * (١)

ثم تنذر السور من العذاب الاليم الذي وقع للام الماضية نتيجة
كفرهم وتكذيبهم لرسولهم وتكبرهم عليهم كدأب السور المكينة
في معالجة قضية الايمان :

* ألم يأتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم
عذاب اليم . ذلك بانهم كانت تاتهم رسل ربهم بالبينات فقالوا
ابشرهم وننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد * (٢)
وبنفس هذا الاسلوب جاءت آية سورة ابراهيم المكية :

ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
انواحهم . قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه مريب * (٣)

(١) الايات ٢ - ٤

(٢) الايات ٥ - ٦

(٣) اية رقم ٩

وسواءً أكان رد الأيدي معناه وضع الجارحتين المعروفتين على الفم ضحكا وسخرية من قول الرسل أو استهزاء بهم • أو ان المراد بالأيدي النعم وردها انهم رفضوا نعمة الايمان التي جاءتهم بها رسلهم • أقول سواءً كان المراد هذا أو ذاك فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم ورفضوا دعوة الله تعالى • (١)

ثم تتناول السورة موضوعا هو في الخالب من اهم موضوعات السور المكية وهو البحث ونكران الكافرين له وزعمهم انهم لن يبعثوا فتو كذ الايات بانهم سيبعثون وسينبأون بما عملوا وما ذلك على الله بعزيز •

قال تعالى :

* زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فامضوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير • يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنهم سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم * (٢)

فهذا الاسلوب في مناقشة قضية البحث غالباً ما يكون في السور

المكية مثل ذلك ما نجده في سورة سبأ :

(١) انظر الجالين حاشية الجمل ج ٢ ص ٥١٦

(٢) الايات ٢-٦

* وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل
مزق انكم لفي خلق جديد • افترى على الله كذبا ام به جنسة
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد * (١)

وفي سورة يس :

* أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب
لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون • أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون فسيحان الذي بيده ملكوت كل شيء • واليه ترجعون * (٢)

ومثال اخر من سورة المؤمنون :

* بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا اذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أءننا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الاساطير
الأولين * (٣)

وبنفس الأسلوب جاء في سورة ق :

* ق والقرآن المجيد بل عجبا ان جاءهم مضر من نبيهم فقال
الكافرون هذا شيء عجب • اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع
بعيد * (٤)

(١) آية رقم ٧ ٨ ٦ سورة سبأ (٢) الآيات ٧٦ - ٨٣

(٣) الآيات ٨١ - ٨٣

(٤) الآيات ١ - ٣

اكتفى بهذه الامثلة التي تدل دلالة واضحة على ان سورة التغابن اسلوبا وموضوعا هي من السور المكية ولقد مال الى هذا الرأي السيد قطب ومع ذلك فقد اخذ بالرأى القائل بان السورة مدنية : يقول :

هذه السورة اشبه شيء بالسور المكية في موضوعها وسياقها وفي ظلالها وايحاءاتها وبخاصة المقاطع الاولى منها . فلا يكاد الجوالمدني يتبين الا في فقراتها الاخيرة . والفقرات الاولى الى ابتداء النداء :

* يا ايها الذين آمنوا *

تستهدف بناء العقيدة وانشاء التصور الاسلامي في التلوب باسلوب السور المكية التي تواجه الكفار المشركين ابتداء " (١)

اقول : قد اوردت النص في شأن الايات الاخيرة منها بانها مدنية

• النزول

يقول سيد : ولقد وردت روايات ان السورة مكية ووردت روايات اخرى انها مدنية مع ترجيحها وكادت اميل الى اعتبارها مكية تاثرا باسلوب الفقرات الاولى فيها وجوها . ولكنني ابقيت اعتبارها مدنية مع الرأى الراجح فيها " (٢)

أقول : لقد بينت بالنص والموضوع الى ان هذه السورة الراجح عندي انها مكية باستثناء الايات التي نزلت في شأن عوف بن مالك الاشجعي كما تقدم من قبل . ولم يبين الاستاذ سيد قطب رحمه الله الامور التي دعته الى ترجيح كون السورة مدنية .

(١) ج ٨ ص ١١٩ - ١٢٠ من كتاب في ظلال القرآن الكريم

(٢) ج ٨ ص ١١٩ - ١٢٠

٦ - سورة التذاتيف :

هذه السورة الكريمة من السور التي ورد الخالف في زمان نزولها
وتعددت الروايات في ذلك . فهناك من قال انها مكية وهناك من قال
انها مدنية . ورواية اخرى قالت انها نزلت بين مكة والمدينة . واخرون
قالوا بعضها مكى وبعضها الاخر مدني ولا يكاد يخلو كتاب
من كتب التفسير الا وذكرها ورد فيها من خالف دون ترجيح لرأى على
آخر .

قال الخازن :

مدنية في قول ومكية في قول وقيل منها ثمانى ايات مكية
وهي من قوله تعالى :

* ان الذين اجرموا * الى اخرها . وقيل منها آية مكية
وهي قوله تعالى :

* وانا نتلى عليهم آياتنا قال اساطير الاولين *

وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة . (١)

قال القرطبي : هي مكية في قول ابن عباس وابن سمود
والضحاك ومقاتل . ومدنية في قول الحسن وعكرمة .

قال صاحب فتح البارى بشرح صحيح البخارى :

اخرج النسائى وابن ماجه باسناد صحيح من طريق يزيد النحوى
عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا

من اخبث الناس كيدا فالنزل الله :

* ويل للمخافين *

فاحسنوا الكيل بعد ذلك " (١)] هـ

قلت : قد يكون صدر هذه السورة نزل بالمدينة وهو ما يتعلق

بأمر المتلاعيبين بالموازين الذين اذا اکتالوا من الناس يستوفون

الكيل • وانذا كالتوا الناس جاروا عليهم وطففوا في الكيل •

اما بقية موضوعات هذه السورة فهي من صميم موضوعات السور المكية •

فهي تبين اعمال الفجار وانها في اسفل السافلين وبالمقابل ترشد

الى ان صحائف الابرار في أعلى عليين •

كما تصف نعمهم في ماكرمهم ومشيرهم ومسكنهم وبتهجير اخر فهي

تصف عذاب المجرمين ونعيم المتقين :

* كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب

مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب

به الاكل معتد اثم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين * (٢)

وفي مقابل هؤلاء تصور حال الابرار :

* كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم

يشهده المقربون • ان الابرار لفي نعميم على الازاءك ينظرون تصرف في

وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك

(١) ج ١ ص ٦٩٥-٦٩٦

(٢) الايات من ٧-١٣

فليتنافس المتنافسون ﴿ (١) ﴾

كما تصور حال المجرمين وهم يتخامزون ويتفاحكون استهزاء
واستخفافا بالمؤمنين وبالدين الذي آمنوا به قال تعالى :

﴿ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذما مروا بهم
يتخامزون واذما انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهمين واذما رأوهم قالوا
ان هؤلاء لضالون ﴾ (٢)

وهذه الصورة تجدها مذكورة في كثير من السور المكية مثلا
في سورة ص المكية نجد قوله تعالى :

هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا
فلينذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قد صموه لنا فبئس القرار
وقالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخرى ام زاغت عنهم الابصار
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ﴿ (٣) ﴾ فبالاضافة الى ان موضوعات هذه
السورة هي موضوعات السور المكية كذلك قصر الفاصلة وقوة العبارة
مع الايجاز كل ذلك يجعلنا نرجح ان هذه السورة مكية باستثناء
ما ذكرنا في شأن نزول صدرها .

الآيات ١٨ - ٢٦

(٢) الآيات ٢٩ - ٣٢

(٣) الآيات ٥٥ - ٦٤

٧ - سورة القدر :

وهي من السور التي ورد الخلاف في مكان نزولها فقد حكى القرطبي وغيره رأى اكثر المفسرين على انها مكية واسندوا هذا الرأى الى عبدالله بن عباس وابن الزبير وعائشة رضى الله عنهم .

وقال الزنجاني في تاريخ القرآن :

انها مكية وقد نزلت بعد سورة عبس . (١)

والدارس لهذه السورة الكريمة يجد ان موضوعها الرئيسي هو القرآن الكريم وبيان فضله وانه من عند الله ذى العظمة والسلطان وهذا الموضوع - ذكر القرآن الكريم والحديث عنه - هو ما تناولته السور المكية كما بينت ذلك في المبحث الرابع من هذا الباب وعليه فاني اميل الى ان هذه السورة الكريمة مكية .

٨ - لم يكن :

هذه السورة الكريمة من السور التي ورد الخلاف في زمان نزولها اكان بمكة قبل الهجرة ام بالمدينة بعدها ؟

وجدت اكثرهم يذكر هذا الخلاف ولم يتعرض الى ترجيح رأى دون آخر - غير ابن كثير فقد جزم بان هذه السورة مدنية واورد الحديث الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى حيث قال :

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة اخبرنا
على هو ابن زيد عن عمار بن ابي عمار قال سمعت ابا حبة البدرى
وهو مالك بن عمرو بن ثابت الانصارى قال لما نزلت لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب الى اخرها قال جبريل :

يا رسول الله : ان الله يامرک ان تقرئها ابیسا فقال النبی صلی الله
عليه وسلم لا بی ان جبریل امرنی ان اترک هذه السورة . فقال : ابی
وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال نعم . قال فبکی ابی . هذا
وقد ذکر الحدیث بطرق اخرى " (١)

اما موضوع هذه السورة فهو غالباً موضوع السور المدنية حيث ذكر
اهل الكتاب وكبيرهم . وانهم لم يختلفوا عن جهالة وغموض وانما
بعد ان جاء هم العلم :

* لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة *

٩ - سورة الزلزلة :

في الرواية المتقدمة عن قتادة انها مدنية وفي رواية ابن عباس
انها مكية وهذا الخلاف قد سار عليه معظم المفسرين غير ابن
كثير فقد رأته يجزم بانها مكية . قال في تفسيره :
سورة اذا زلزلت وهي مكية (٢) . ورغم ان ابن كثير لم يبين

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٧

(٢) المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٥٣٨

الدليل الذي استند عليه في قوله بانها مكية الا الناظر الى موضوعها يرى فيها خصائص السور المكية اذ انها تتحدث بأسلوب السور المكية كقصر الفواصل وايجاز العبارة .

وموضوعها هو موضوع القيامة وما يترتب على قيامها من مواجهة الانسان بعمله ومحاسبته على ما قدم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه .

* اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحالها *
وهذا الاسلوب والموضوع معا هما السمات البارزة في السور المكية .

١٠ - سورة الاخلاص :

سورة الاخلاص هذه ايضا قد ورد الخلاف في زمان نزولها حيث ورد في الرواية السابقة انها مدنية . وجاء في رواية ابن عباس انها مكية وهو الواضح من موضوع السورة بل وفي سبب نزولها على حسب ما اورده الترمذي حيث قال :

حدثنا احمد بن منيع حدثنا ابو سعيد الصنعاني عن ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي المالبه عن ابي بن كعب : أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله :
* قل هو الله احد الله الصمد * .

وفي رواية أخرى : ذكر اليتيم فقالوا انسب لنا ربك ؟
قال فأتاه جبريل بهذه السورة * قل هو الله أحد * (١)

فهذه واضحة الدلالة على ان السورة مكية .

١١ - المصونتين :

ورد الخلاف فيهما اهما مكيتان ام مدينتان : والجمهور على انهما مدينتان للحديث الوارد في ذلك : يقول الامام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير في مقدمته لتفسير المصونتين :

ذكروا في سبب نزول هذه السورة وحدها :

احدها ان جبريل عليه السلام أتاه وقال : ان عفريتاً من الجن

يكيدك فقال : اذا اويت الى فراشك قل اعوذ برب السورتين .

ثانيهما : ان الله تعالى انزلها عليه ليكونا رقية من

اليمين . وعن سعيد بن المسيب ان قریشاً قالوا تعالوا نتوجه فنعين

محمدًا ، ففعلوا ثم أتوه . وقالوا ما اشد عضدك واتوى ظهرك وانض

وجحك فانزل الله المصونتين . قلت فهذا الخبر يدل على مكيتيهما

لكن الرازي رحمه الله قال :

ثالثهما : وهو قول الجمهور : جمهور المفسرين : ان لبيد

ابن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة

وفي ونز دسه في بئر يقال لها ذروان فمضى رسول الله صلى الله

عليه وسلم واستد عليه ذلك ثلاث ليال . فنزلت المصونتان بذلك . واخبره

جبريل بموضع السحر . من فارس طيا وطلحة وجاء به . وقال جبريل للنبي

صلى الله عليه وسلم حل عقده واترأ اية . ففعل وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة

فكان يجعد بعض الخفة والراحة " (١)

وذكر هذا الحديث البخاري في كتاب الطب ونصه :

حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفیان ابن عیینة يقول : أول من حدث به ابن جریر یقول حدثنی آل عروة عن عروة فسألت هشاماً عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفیان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا .

فقال : يا عائشة اعلمت ان الله استفتاني فيما استفتيه فيه ؟ اتاني

رجلان فقدم أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للاخر ما بال الرجل ؟ قال محبوب . قال من طبه ؟ قال لبيد بن عصم رجل من بني زريت حليف اليهود كان منافقاً . قال : وقيم ؟ قال في مشط ومشاط قال وأين ؟

قال في حف طلعة ذكر تحت راعوقة في بشر ذروان .

قالت فاتي البثر حتى استخرجه منه .

وفى رواية : ثم بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير

وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البثر كأنه فقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة

وأخرجوا الحنف فاذا فيه مشاطة رأسه . واسنان من مشطه . واذا فيه (١)

وتر محقود فيه اثنا عشر عقدة مغرزة بالابر . فانزل الله تعالى السورتين .

انتهى .

وقال الرازي بعد ان بين أن المعتزلة ينكروا ذلك .^(١) وبالجملة فالله

تعالى ما كان ليسلط عليه انسا ولا جنا ليوذيه في دينه وشرعه ونبوته .

فأما من الاضرار ببذنه فلا يبعد .^(٢)

اقول بما تقدم فان سورتى المعوذتين تبين لنا أنهما مدنيتان . والله

أعلم .

ترتيب الآيات والسور وأسمائها :

بعد هذا الذي قدمناه حول تصريف السورة وبيان السور المكية والمدنية
وتحرير الخلاف الذي ورد على بعضها كان لا بد لنا من أن نتناول موضوعا
كثيرا ما تناوله العلماء ولا يكاد يخلو كتاب من كتب علوم القرآن الا وتكلم
عنه ذلك هو ترتيب السور والآيات والسور واسماء السور هل هو توقيفي من
الشارح الحكيم ؟ أم أنه باجتهاد من الصحابة ام أن بعضه توقيفي والبعض
الآخر اجتهادي ؟

اجمعت الامة على أن ترتيب الآيات في سورها على هذا النسق المعروف
انما كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وليس للرأى فيه مجال .
وذلك أن أمين الوحي جبريل كان عندما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بالآية او الآيات يرشده الى مكانها من سورها . فيأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكاتب فيطلى عليه ما انزل . وكان يتلو القرآن امام الصحابة . ويطلى
به وربما صلى بالسورة او السور وقد نقل هذا كله بالطرق الصحيحة
فمن هذه النصوص ما جاء في مسند الامام أحمد عن عثمان بن ابي العاص .
قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ شخص يبصره ثم
صوبه ثم قال :

أتاني جبريل فأمرني أن اضع هذه الآية هذا الموضع من السورة :

* ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإتقائي ذى القربى وينهى

عن الفحشاء والمنكر والبغى * (١)

في هذا النص قد سمى الآية والسورة .

ومنها ما أخرجه البخاري رضى الله عنه عن ابن الزبير رضى الله عنه

قال قلت لعثمان بن عفان :

* والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول

غير إخراج * (١) نسختها الآية الأخرى :

* والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

وعشرا * (٢)

فلم تكبيرا أوتد عينا ؟

قال يا ابن أخي لا أغبر شيئا من مكانه .

ومنها ما رواه الإمام مسلم رضى الله عنه عن عمر ! بن الخطاب / رضوان الله ^{عليه} :

قال :

ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن

الكلالة (٣) حتى طعن بأصبعه في صدرى وقال : تكفيك آية الصديق التي

في سورة النساء .

يعنى بذلك قوله تعالى :

* يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد

وله اخت فلها نصف ما ترك * (٤) الآية

فهذه النصوص وأمثالها تقطع بأن ترتيب الآيات كان بأمر النبي صلى

الله عليه وسلم فمن أنكر ذلك أو حاول تفسيره يكون قد أنكر ما عليه الصحابة

والمسلمين وخرج على ما عليه الأمة الإسلامية .

(١) آية رقم ٢٤٠ البقرة

(٢) آية رقم ٤٦٤ البقرة

(٣) هو من مات وليس له والد ولا ولد (٤) آية رقم ١٧٦

يقول الشيخ محمد ابوزهرة في كتابه المعجزة الكبرى !

” ان الايات المكية كانت توضع في السور المكية والمدنية كذلك توضع

في السور المدنية الا بعض ايات مدنية وضعت في سور مكية - ونبه

اليها . . ثم يقول :

على ذلك انعقد الاجماع وكانت العرضة الاخيرة التي قرأ فيها النبي صلى

الله عليه وسلم على جبريل بترتيب الايات ذلك الترتيب . ومن انكر او حاول

تفسيره فقد انكر ما عرف من الدين بالضرورة وخرج عن اطار الاسلام وحاول

التغيير والتبديل .

فتلك الدعوات المنحرفة التي تدعو الى ترتيب القرآن على حسب النزول

او على حسب الموضوعات هي خروج على الاسلام بينه بعض الذين

لا يرجون للاسلام وقارا . اذ يجمعون القرآن عشرين . ويخالفون التنزيل

ويحارضون الوحشي وذلك خروج عن الاسلام ” (١)

اقول : بعد هذا الذي ذكرناه بشأن ترتيب الايات وبعد ما بينت

بالدليل اجماع الامة على ان ترتيبها تم بتوقيف من النبي صلى الله عليه

وسلم وانه لا مجال للرأى فيه ننتقل الى الموضوع الثانى وهو ترتيب السور

فنقول :

بعد اجماع الامة الذى تقدم على ان ترتيب الايات قد تم بتوقيف النبي صلى

الله عليه وسلم اختلفوا في ترتيب السور هل هو بأمر من رسول الله صلى الله

عليه وسلم ام باجتهاد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ام ان جزءا منه

توقيفى والاخر اجتهادى ؟

(١) من كتاب المعجزة الكبرى ص ٤٧

قال السيوطي في كتاب اسرار ترتيب القرآن تحقيق الأستاذ عبد القادر

احمد عطا :

قال : ان الامام مالكا والقاضي ابوبكر - هو - الباقلاني - فسي

احد قوله - وابن فارس قالوا : ان ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة

ومما استدلل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمضهم من رتبها

على حسب النزول كمصحف الامام علي كرم الله وجهه فان اوله كان اقراً .

ثم المدثر ثم " ن " ثم المزمّل ثم " تبت " ثم التكوير . وهكذا

الى آخر المكي والمدني .

وكان اول مصحف ابن مسعود رضى الله عنه اليقرة ثم النساء

ثم آل عمران على اختلاف شديد . وكذا مصحف أبي وغيره " (١)

فهذا الرأي قد جعل ترتيب السور كلها باجتهاد من الصحابة .

والرأي الثاني اسنده السيوطي لابن عطية حيث قال :

قال ابن عطية : ان كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياة

النبي صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصل . وان ما سوى

ذلك يمكن ان يكون قد فوض الأمر فيه الى الأمة بعده "

فهذا الرأي الذي قاله ابن عطية قد فصل في الأمر حيث جعل بعضا

من السور مرتبا ترتيبا توفيقيا كالسبع الطوال والحواميم والمفصل . والبعض

الآخر قد فوض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر فيه للأمة بعده . . .

أما الرأي الثالث : فيقول : ان ترتيب السور على ما هي عليه الان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء القاضي ابي بكر الباقلاني في احد قوليه كما تقدم •

قال القرطبي في كتابه الجامع لاحكام القرآن :

ذكر ابي بكر الانباري في كتاب الرد : " ان الله تعالى انزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرق على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة وكانت السورة تنزل في امر يحدث والاية جوابا لمستخير يسأل ويوقف جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والاية فانساق السور كانساق الايات والحروف فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين • فمن اخر سورة مقدمة او قدم اخرى مؤخرة فهو كمن افسد نظم الايات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول :
ضموا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن • وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الايات " (١)

ويقول الكرمانى في كتابه اسرار التكرار في القرآن :

ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ وهو على هذا الترتيب وكان يحرض النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ما اجتمع لديه منه وعرضه صلى الله عليه وسلم في السنة التي توفي فيها مرتين •• " (٢)

(١) تفسير الجامع لاحكام القرآن ج١ ص ٦٠ ط دار القلم

(٢) اسرار التكرار ص ٢٣ ط دار الاعتصام

وذكر السير طي قولاً لابن الحصار جاء فيه :

” ترتيب السور ووضع الآيات في موضعها إنما كان بالوحي ” (١)

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن ترتيب السور على هذا من رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأورد الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند ج ٣

١٢٤ عن وائلة بن الأسقع .

ورواه البيهقي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٥٨ وعزاه للدبراني

عن وائلة وأبي أمامه وهو : أعطيت مكان التوراة السبع الطوال . وأعطيت

مكان الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل .

فهذا الحديث يدل على أن ترتيب السور مأخوذ عن النبي صلى الله

عليه وسلم وأنه من هذا الوقت هكذا ” (٢) وإلى هذا الرأي الأخير أميل وهو
ما ترجح لدى .

أما أسماء السور : فقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول

سورة كذا وكذا : ففي صحيح مسلم عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول :

اقروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقروا الزهراوين

البقرة وآل عمران . فأنهما ياتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غابتان أو

كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما .

اقروا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطالة ”

قال الخازن : قال معاوية بن سلام — بلشني أن البطالة السحرة

(١) أسرار ترتيب القرآن ص

(٢) أسرار الترتيب ص ٧٠

الزهرابين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر - غمامتان او غمامتان :
قال اهل اللغة : النمامة والغمابة كل شيء اظلم الانسان فوق رأسه
من سحابة وغيرها • والمعنى : ثوابهما يأتي كغمامتين •

فرقان من طير : صواف • الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة •
وهي التي تصف اجنحتها عند الطير •

قلت : في هذا الحديث دليل على جواز قول تسمية السورة بالبقرة وآل
عمران وكذا باقي السور وانه لا كراهة في ذلك • وقد كرهه بعض
المقدمين • وقالوا السورة التي يذكر فيها البقرة •

قال الخازن :

والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به كما في صحيح
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة
البقرة ” وقال لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة • وفيها آية
هي سيدة آي القرآن : آية الكرسي •

وفي تفسير روح المحاني للامام الالوسي قال : سورة البقرة هذا
هو الاسم المشهور • وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه هذا مقام
الذي انزلت عليه سورة البقرة • قال وهو محارض لما روي من منع ذلك •
وتعين ان يقال : السورة التي يذكر فيها البقرة • وكذا في سور القرآن كله •
ثم قال ويمكن ان يوقف بانه كان مكروها في بدء الاسلام

لاستيزاء الكفار ثم بعد سطوح نوره نسخ النسي فشاح من غير نكير * (١)
قلت : وقد تسمى السورة باكثر من اسم يقول الزركشى في البرهان :
ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به . ولا شك ان العرب تراعى
في الكثير من المسميات اخذ اسمائها من نادر او مستغرب يكون في الشيء
من خلق او صفة تخصه

وعلى ذلك جرت اسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا
الاسم لقريظة ذكرو قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها .
وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من احكام
النساء

فان قيل قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وابراهيم ولوط وشعيب
وموسى عليهم السلام فلم تختص باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها
له وقصة نوح فيها اطول واربع ؟ قيل : تكررت هذه القصص في سورة
الاعراف وسورة هود والشعراء باربع مما وردت في غيرها . ولم يتكرر
في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام . كتكرره
في هذه السورة . فانه تكرر فيها عند ذكرو قصته في اربعة مواضع . والتكرار
من اقوى الاسباب التي ذكرنا .

وان قيل : قد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع
فيها وذلك اكثر من تكرار اسم هود . قيل : لما جردت لذكر
نوح وقصته سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت

أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته
وقصة غيره . وإن تكرر اسمه فيها . أما هود فكانت أولى
السور بأن تسمى باسمه عليه السلام » (١)

قلت هذا ما ظهر لنا من السور وأسمائها والله الموفق .

(١) البرهان ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١

المبحث الخامس

في بيان الايات المدنية وفي السور المكية والايات المكية

في السور المدنية

قد تقدم في المبحث الرابع بيان السور المكية والمدنية وبيان السور

المختلف في زمان نزولها وقد حشرت الخلاف ورجحت بالادلة ما يمكن
ترجيحه . وظهر لي من خلال البحث أن هناك ايات مدنية في سور
مكية واخرى مكية في سور مدنية . ذلك انه لا يقصد بوصف السورة مكية
او مدنية أنها باجمعها . كذلك . بل قد يكون قس المكية ايات مدنية
وفي المدنية ايات مكية . لكن هذا الوصف يحث الكثرة الكاشرة
فالحكم للاغلب باعتبار المجموع لا باعتبار الجوع في السورة . وهذا يمكن
ملاحظته في المصحف الشريف فاننا نجد قولهم سورة كذا مكية الا اية
كذا وكذا او مدنية الا ثلاث ايات منها . واذن فالوصف يكون السورة مكية
او مدنية انما هو على الغالب الا تم باعتبار المجموع لا باعتبار الجميع .
وان تحديد ان هذه الاية مكية او مدنية لا يتم الا بمعرفة سبب نزولها . وهذا اعنى
سبب النزول لا يتم كما يقول الواحدى :

الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الاسباب وبحثوا

عن علمها " (1)

وقد تحريت في هذا البحث الرواية الصحيحة في اثبات الايات في سورها

التي تنسب اليها . وهناك بيان لهذه الايات في المصحف العثماني . فكثيرا ما

(1) اسباب النزول للواحدى ج 4 ط دار الكتب العلمية بيروت

ذكر فيه ان سورة كذا مكية الا الايات كذا وكذا . وسورة كذا مدنية الا اية كذا .
ولقد اخذ عن المصحف العثماني كثير ممن كتبوا في هذا الشأن .

وبرجوعى الى كتب الحديث والسير والتفسير وعلم القرآن وجدت

ان كثيرا ما ورد في المصحف العثماني بموزة الدليل . كما ان الاستاذ

محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله صاحب المعجم المفهرس لافاظ القرآن

الكريم قد سار على نهج المصحف العثماني ولذا فان الاعتماد عليه

في معرفة ان الاية مكية او مدنية قد يوقع في الخطأ . فلا بد من الرجوع

الى كتب الحديث والتفسير وكتب علم القرآن والسير .

ولقد استفدت من كتاب اسباب النزول للواحدى النيسابورى كما استفدت

من البرهان في علم القرآن للزركشى فقد افرد لها مبحثا في الجزء الاول .

وكذلك كتاب الشيخ جلال الدين السيوطى لباب النقول في اسباب

النزول . وكتاب تاريخ نزول القرآن للزنجاني وقبل ذلك ايضا فقد رجعت

الى كتاب نظم الدرر في بيان الايات والسور للبقاعي بالاضافة الى كتب التفسير

كتفسير ابن كثير وغيره .

السور المكية

سورة الفاتحة :

كلها مكية ولم يستثنى منها شىء على حسب ما بينت في المبحث

السابق .

سورة الانعام :

جاء في المصحف العثماني أنها مكية الا الايات : ٢٠ ، ٢٣ ، ٩١ ،

١١٤ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، فمدنيات ، وبالتتبع وجدت ان ابن

كثير في تفسيره : ان هذه السورة مكية النزول باجمعيها وذكر عدة روايات
فيها :

(١) ما اورده الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون الف ملك
يجأرون بالتسبيح .^(١)

(٢) وفيها رواية اسماء بنت يزيد : قالت :

نزلت سورة الانعام على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا اخذة بزمام ناقة
النبي صلى الله عليه وسلم ان كادت من ثقلها لتكسر عظم الناقة .

(٣) وفيها رواية السدي عن جابر بن عبد الله قال :

لما نزلت سورة الانعام سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال شيخ
هذه السورة من الملائكة ما سد الافق ثم قال صحيح على شرط مسلم .

(٤) وعن نافح عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نزلت علي سورة الانعام جملة واحدة وشيخها سبعون الفا من الملائكة لهم
زجل بالتسبيح والتحميد رواه الطبراني

اما من قال ان بها ايات مدنية فقد عني بذلك قوله

تعالى :

* وما قدروا الله حق قدره ان قالوا ما انزل الله على بشر من شيء . قل

من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها

وتخفون كثيرا . وعلتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في

خوضهم يلعبون *^(٢)

(١) يجأرون : يتضرعون بالدعاء الى الله تعالى .

(٢) اية ٩١ الانعام

قال ابن كثير في تفسيره : قال ابن عباس ومجاهد وعبدالله بن كثير نزلت في قريش واختار ذلك من جبريل الطبري . وقيل - نزلت - في طائفة من اليهود .

يقول ابن كثير والأول أصح - أي كونها مكة - نزلت في قريش . واليهود لا ينكرون انزال الكتب من السماء وقريش والحرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر كما قال تعالى :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا نُنزِّلُ الْكِتَابَ إِلَّا فِي قُرْآنٍ مُبِينٍ وَإِنَّا نَزَّلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلْكَةٌ يَمْسُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٢)

فهذه الايات تكشف طبيعة قريش في انكار الرسالات السماوية . وعلى ذلك تكون هذه الآية كغيرها مكة تنكر على قريش عدم تعظيمها لله حق التعظيم وانكار الرسالات السماوية بقولهم ما انزل الله على بشر من شيء ؟ فكان الرد عليهم :

﴿ مِنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾

وقال القرطبي : قال العلماء هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجج وان تصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بنى المتكلمون اصول الدين " (٣)

(١) آية رقم ٢ سورة يونس

(٢) الايتان من سورة الاسراء ٩٤-٩٥ (٣) تفسير القرطبي ج ٥ ص

قلت : كونها أصل في محاجة المشركين فهذا صحيح أما قوله :
وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة فغير مسلم ، لأن الموضوع الواحد قد يفرق
في أكثر من سورة لحكمة قد تعرف بعضها وقد تغيب عنا ، ويكفي في
كون سورة الانعام نزلت جملة واحدة ما ذكرنا من روايات .

ثم أن ابن جرير الطبري قد ذكر عدة أقوال مختلفة وقال : وأولى

هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : شركى قريش ،
وذلك ان ذلك في سياق الخبر عنهم أولا ، فان يكن ذلك أيضا خيرا عنهم
اشبه من ان يكون خيرا عن اليهود . ولما يجسر لهم ذكر يكون هذا به مقصلا .
مع ما في الخبر عن اخبر الله عنه في هذه الآية انكاره ان يكون الله انزل على
بشر شيئا من الكتب . وليس ذلك مما تدین به اليهود . بل المحروف من
دين اليهود الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود " . . . ثم يقول :

ولكني أظن ان الذين تأولوا ذلك خيرا عن اليهود . وجدوا

قوله :

* قل من انزل الكتب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا . وعلتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم *
فوجهوا تأويل ذلك الى انه لأهل التوراة . فقرؤوه على وجه الخطاب لهم .
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا . وعلتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم .
فجعلوا ابتداء الآية خيرا عنهم اذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم -
ثم يقول ابن جرير بعد ذلك :

والأصوب في القراءة في قوله : يجعلونه قراطيس تبدونها ويخفون

كثيرا . ان يكون بالياء لا بالتاء . على معنى ان اليهود يجعلونه قراطيس
ببدونها ويخفون كثيرا . ويكون الخطاب بقوله قل : من انزل الكتاب ؟ لمشركي
قريش . وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد ان شاء الله في تأويل ذلك .

وكذلك كان يقرأ " ١٠١ هـ وورد ابن جرير في ذلك رواية يقول :

حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد عن ايوب عن مجاهد
أنه كان يقرأ هذا الحرف يجعلونه قراطيس تبدونها ويخفون كثيرا . (١)

قلت : ما تقدم من الأدلة التي بينها ابن جرير الطبري ومناقشته للقراءة

وتوجيه كل من القراءتين فإنه يميل إلى أن الآية مكية وبالتالي كل

سورة الأنعام مكية .

وفي التفسير الكبير لفخر الدين الرازي نجده يعرض لهذه الآية

الكريمة التي اشكلت على كثير من العلماء وبعد أن أورد عدة آراء وصف
البحث فيها بأنه " بحث صعب " .

ثم أورد اعتراض من قال أن هذه الآية يبعد أن تكون نزلت بشأن

قريش ، ذلك أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء . فكيف يمكن

الزامهم بنبوة موسى ؟

قال الرازي : بقى أن يقال : كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء

عليهم . فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى عليهم ؟ وأيضا فما بعد هذه

الآية لا يليق بكفار قريش . وإنما يليق باليهود وهو قوله :

* تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا

آباءكم من قبل * فمن المعلم بالضرورة أن هذه الأحوال لا تليق إلا باليهود .

وهو قول من يقول : أن أول الآية خطاب مع الكفار وآخرها خطاب مع

اليهود - فاسد - لأنه يوجب تفكيك نظم الآية وفساد تركيبها وذلك لا

يليق بأحسن الكلام فضلا عن كلام رب العالمين . وبعد أن قرر هذا الأشكال

اجاب بقوله :

أما السؤال الأهل : فيمكن دفعه بأن كفار قريش كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا يسمعون من الثريقين على سبيل المثال ينكرون ظهور المعجزات القاهرة على يد موسى عليه السلام ، مثل انقلاب العصا ثعبانا وخلق البحر وظلال الجبل وغيرها . والكفار كانوا يطمنون في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بسبب انهم كانوا يطلبون منه امثال هذه المعجزات . وكانوا يقولون لوجئنا بامثال هذه المعجزات لآمننا بك جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى عليه السلام . واذا كان الامر كذلك لم يبعد ايزاد نبوة موسى عليه السلام الزاما عليهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء .

واما الثاني فجوابه : ان كفار قريش واليهود والنصارى لما كانوا مشاركين في انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لم يبعد ان يكون الكلام الواحد واردا على سبيل ان يكون بعضه خطابا مع كفار مكة وبعضه يكون مع اليهود والنصارى " (١)

قلت : لم يكن القرشيون في مكة بمعزل عن اهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد كانت السفارات بينهم متواصلة واستفسارات كفار قريش لليهود كثيرة فلا يستبعد معرفتهم برسالة موسى ولا عيسى ولا غرابسة اذ انهم استكفوا بهذا الجواب المفحم حين انكروا ان يكون الله تعالى قد انزل الكتاب على بشر - فأجيبوا بقوله تعالى :

* من انزل الكتاب الذي جاء به موسى ؟ *

(١) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٦٢ ، ٧٦ ط اولي المطبعة البهية مصر

وفي كتاب نظم الدرر في تناسب الايات والسور للإمام المفسر برهان الدين البقاعي نجده في تفسير هذه الاية يقول :

﴿ وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ﴾
أى اليهود والايمة مدنية وقريش في قبولهم لقولهم • ويمكن ان تكون
مكية ويكون قولهم هذا حين ارسلت اليهم قريش تسألهم عنه صلى الله
عليه وسلم في امر رسالته واحتجاجه عليهم بارسال موسى عليه السلام وانزال
التوراة عليه " (١)

قلت : البقاعي رحمه الله لم يرجح رأيا على آخر انما اثبت صلة
قريش باليهود واستفسارهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراف
منهم برسالة موسى وهذا يؤيد ان الخطاب كان لهم حينئذ سوء لولا عن
من انزل الكتاب الذى جاء به موسى ؟

وقال صاحب تفسير المنار بعد ان اورد ما ذكره ابن جرير الطبري
واورد آراء الامام الرازي المتقدمة قال : والذى يتجه عليه قولنا : أن الاية
نزلت في ضمن السورة بمكة كما قرأها ابن كثير وابوعمر ومحتجة على مشركى
مكة الذين انكروا الوحى استبعادا لخطاب الله للبشر باعترافهم بكتاب موسى
وارسالهم الوفد الى احبار اليهود • واعترافهم بأنهم اهل الكتاب الاول
العالمين باخبار الانبياء • فهو تما لى يقول لرسوله صلى الله عليه
وسلم " قل " لهؤلاء الذين ما قدروا الله حق قدره من قومك اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شيء - كقولهم - ابعث الله بشرا رسولا " من انزل

(١) نظم الدرر في تناسب الايات والسور للبقاعي طدار المعارف العشانية

الكتب الذى جاء به موسى نوراً " انقضت به ظلمات الكفر والشرك الذى ورثه بتواسرائيل عن المصريين . " وهدى " للناس أى الذين انزل عليهم اخرجوا من الضلال بما فيه من الاحكام والشرايع التى انشأتهم خلقا جديدا فكانوا معتمدين بالحق مقيمين للمعدل الى ان اختلفوا فيه ونسوا حظا مما ذكروا به فصاروا باتباع الأهواء يجعلونه قرطيس بيدونها عند الحاجة اذا استغنى الحبر من احبارهم في مسألة له هوى فى اظهار حكم الله فيها كتب ذلك الحكم فى قرطاس وهو ما يكتب فيه من ورق أو جلد أو غيرها . فأظهروه للمستفتين ولخصومه . ويخفون كثيرا من أحكام الكتاب واخبره اذا كان لهم هوى فى اخفائها - وذلك ان الكتاب كان بأيديهم ولم يكن فى ايد العامة من نسخه شىء وهذا الاخفاء للنصوص فى الوقائع غيرها ما نسبه متقدموا اليهود من الكتاب بضياعه عند تحرير القدس واجلائهم الى الحراق المشار اليه بقوله تعالى :

✽ فنسوا حظا مما ذكروا به ✽ ثم يقول :

والظاهر أن هذه الآية كانت تقرا هكذا بمكة وكذا بالمدينة الى أن اخفى احبار اليهود حكم الرجم بالمدينة . واخفوا ما هو اعظم من ذلك وهو البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وكتمان صفاته عن العامة وتحريفها الى معانى اخرى للخاصة والى ان قال بعضهم ما انزل الله على بشر من شىء كما قال المشركون من قبلهم - ان صحت الروايات فى ذلك - فلما كان ذلك كله كان غير مستبعد ولا مخل بالسياق أن يلفت الله تعالى رسوله ان يقرأ هذه الجمل فى المدينة على مسمع اليهود وغيرهم بالخطاب لهم فيقول :

وتجعلونه قرطيس بيدونها وتخفون كثيرا . مع عدم نسخ القراءة

الأولى . وهذا الاحتمال المؤيد بما ذكر من الوقائع يتجسده تفسير

القرآنيين بخير تكلف بما يزيل كل اشكال عرض للمفسرين في تفسيرهما . (١)
قلت : ان الذى جاء به صاحب تفسير المنار هو ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ بالرواية الاولى باليساء في مكة وبالثانية " بالتاء " وهو
في المدينة بعد الهجرة والروايتان ثابتتان . وهو متجه حميد
لتوجيه القرآنيين .

ويقول سيد قطب رحمه الله في كتاب في ظلال القرآن :

بعد أن ذكر الروايات المتقدمة . وذكر قول من قال ان الاية
مدنية . قال : الرواية الاولى محتملة بسبب ان فيها ذكر الكتاب
الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس . ومواجهة لليهود في قوله
تعالى :

* تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا *

ثم قال : وان كان هناك روايات اخر عن مجاهد وعن ابن عباس
ان الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شيء هم مشركو مكة ولا ان الاية
مكية . ثم ذكر القراءة الاخرى التي ذكرها ابن جرير الطبري والذي تقدم
ذكرها وبناء على ذلك قال :

لهذا كله نحن نميل الى اعتبار الروايات المدالقة التي تتصل على ان
السورة نزلت بجحظتها في مكة في ليلة واحدة وقد وردت عن ابن عباس وعن
اسماء بنت يزيد . وفي الرواية عن اسماء تحديد للرواية بحادث مصاحب على
النحو التالي :

قال سفيان الثوري عن ليث عن شهر ابن حوشب عن اسماء بنت يزيد

قالت :

(١) تفسير المنار ج ٧ ص ٦١٧

نزلت سورة الانعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة وأنا اخذة بزمام
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم . ان كادت من ثقلها لتكسر عظم الناقة .
اما الرواية عن ابن عباس فقد رواها الطبراني قال : حدثنا علي
بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن مزيال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد
عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال : نزلت سورة الانعام بمكة
ليلة جملة واحدة حولها سبعون الف ملك يجأرون حولها بالتسبيح .
هاتان الروايتان اوثق من الاقوال التي جاء فيها ان بعض الايات مدنية .
والواقع ان سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقه يوقع في
القلب ان هذه السورة نهر يدفق أو سيل يندفع بلا حواجز ولا فواصل .
وان بناءها ذاته ليصدق تماما هذه الروايات او على الأقل ليرجحها
ترجيحا قويا . (١)

اقول بعد هذا الذي اوردته من الروايات المختلفة واقوال المفسرين
وبعد بيان القراءة التي ذكرها ابن جرير الطبري وتوجيهها وما ذكره
البقاعي والشيخ رشيد رضا واخيرا رأي الاستاذ سيد قطب فاني أميل إلى
ترجيح ان هذه السورة الكريمة مكة كلها والله اعلم .

سورة الاعراف :

مكة استثنى فيها في المصحف المثناني الايات من ١٦٣-١٧٠ اي من

قوله تعالى :

(١) في ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٢-١٠٣

* واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله والذين يسكنون
بالكتب واتاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المحسنين *
ولم أجد لهذا الاستثناء أى سند من أى رواية تؤيد ذلك غير ما ذكره
سيد قطب في تفسير هذه الآية غير أنه قال :

* واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر . . *

يعدل السياق هنا عن اسلوب الحكاية عن ماضى بنى اسرائيل الى
اسلوب المواجهة لذاريمم التي كانت تواجهه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المدينة .

والآيات من هنا الى قوله تعالى : * واذا فتقنا الجبل فوقهم *

آيات مدنية . نزلت في المدينة لمواجهة اليهود فيها وضمت الى هذه
السورة المكية في هذا الموضع تكلمة للحديث عما ورد فيها من قصة بنى
اسرائيل مع نبيهم موسى . يامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم - أن يسأل
اليهود عن هذه الواقعة المملومة لهم في تاريخ اسلافهم وهو يواجههم
بهذا التاريخ بوصفهم امة متصلة الأجيال ويذكرهم بمصائبهم القديم
وما جرهم على فريق منهم من المسخ في الدنيا "

وهذا الاتجاه في المواجهة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين

يهود المدينة يجعلنى أميل الى كونها مدنيات .

سورة هود :

مكية غير الاية الكر يمة :

* أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكر للذاكرين *

قال الواحدى في اسباب النزول : اخبرنا الاستاذ ابو منصور البغدادى
قال اخبرنا ابو عمرو بن مطر قال حدثنا ابراهيم ابن على قال حدثنا يحيى
بن يحيى قال حدثنا ابو الاحوص عن سماك عن ابراهيم عن علقمة والاسود
عن عبد الله . قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا
رسول الله انى علجت امرأة في اقصى المدينة وانى اصبحت ما دون ان انبىا .
وأنا هذا فاقض فيى ما شئت .

قال : فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك فلم يرد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الرجل - فاتبعه رجلا ودعاه فتلا عليه
هذه الاية .

فقال رجل يا رسول الله هذا له خاصة قال لا بل للناس كافة " (٤)

رواه مسلم عن يحيى والبخارى عن طريق يزيد ابن زريع .

ورواية البخارى المشار اليها هي : قال : حدثنا مسدد حدثنا يزيد
هو ابن زريع حدثنا سليمان التيمى عن ابي عثمان عن ابن مسعود
رضى الله عنه ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فأنزلك عليه :

* اتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين *

قال الربيع : التي هذه ؟ قال : لمن عمل بها من أمي (١)

فهذا يدل ان هذه الآية مدنية النزول .

سورة يوسف :

جاء في المصحف أنها مكية الا الايات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ و ٧ قال

السيوطي في الاتقان :

استثنى منها ثلاث ايات في اولها حكاه ابو حيان وهو واه جدا لا

يلتفت اليه (٢)

والايات المشار اليها هي قوله تعالى : * السر تلك آيات الكتب

الجبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك احسن

القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كشفت من قبله لمن النافلين *

واضافة الى ما ذكره الامام السيوطي يعني ان ما ذكره ابو حيان

واه جدا لا يلتفت اليه يقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تفسيره لسورة

يوسف :

هي مكية واياتها احدى عشر آية فقط . وما قيل من ان الثلاث

الاول منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه ويخل بنظم

الكلام . وبعد ان ذكر رأي السيوطي الذي اورده قيل قليل قال : ومن

المجائب ان يذكر هذا الاستثناء في المصحف المصري ويزاد عليه الآية

السابعة " تفسير المنار ج ٢ ص ٢

(١) البخاري ج ٦ ص ٩٤ وفي مسلم ج ٤ ص ٢١١٦

(٢) الاتقان ج ١ ص ١٥

كما وجدت الاستاذ سيد قطب يقول :

هذه الايات هي مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من المبدأ في

قصة يوسف عليه السلام و نص الاية التالية في السياق هو :

* اذ قال يوسف لابيه يا ابي انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس

والقمر رأيتهم لى ساجدين *

ثم تمضى القصة بعد ذلك في طريقها الى النهاية . فالتقديم

لهذه القصة بقول الله تعالى :

* نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان

كنت من قبله لمن الخافلين *

يبدو هو التقديم الطبيعى المصاحب لنزول القصة .

وكذلك هذه الاحرف المقطعة " الر " وتقرير انها ايات الكتب

الصين . ثم تقرير ان الله أنزل هذا الكتاب قرآنا عربيا . هو كذلك

من جو القرآن المكي . ومواجهة المشركين في مكة بحرية القرآن الذى كانوا

يدعون ان أعجميا يحلمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقرير انه وحى

من الله كان النبي صلى الله عليه وسلم من الخافلين عن اتجاهه وموضوعاته . ثم

ان هذا التقديم يتناسب مع التعقيب على القصة في نهايتها وهو قول الله

تعالى :

* ذلك من انباء الفيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا

امرهم وهم يحكرون *

فإنك حكمة بين التقدمة للقصة والتعقيب عليها ظاهر منها

نزل التقدمة مع القصة والتعقيب .

أما الآية السابقة فالسياق لا يستقيم بدونها أصلاً ولا يتأتى أن تكون السورة قد نزلت في مكة وهي ليست من سياقها ثم اضيفت إليها في المدينة ، ذلك أن في الآية الثامنة ضميراً يعود على يوسف وأخوته في هذه الآية السابقة - بحيث لا يستقيم نزول الآية الثامنة دون أن تكون محمياً الآية السابعة . وهذا نصها :

* لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين *

ما يقطع بأن الآيتين نزلتا معاً في سياق السورة الموصول . والسورة كلها لحمية واحدة عليها الطابع المكي واضح في موضوعها وفي جوهها وفي ظلالها وفي اتجاهها * (١) . .

قلت : أكتفى بهذا في بيان أن سورة يوسف كلها مكية ولا سند لاستثناء ما استثنى منها من آيات .

سورة إبراهيم :

مكية الآيتين منها هما قوله تعالى :

* ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ؟ *

قال ابن جرير الطبري :

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال أخبرني محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال : نزلت هذه الآية في الذين

قتلوا من قريش : * ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
دار البوار * حينئذ يصلونها ويكفر القرار . . . *

وذكر القصة من طريق اخر في نفس الصفحة السابقة : قال حدثنا
القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال مجاهد
واحلوا قومهم دار البوار : قال اصحاب بدر .

وقال ايضا : حدثني المشي قال حدثني عمرو بن عون قال
اخبرنا هشيم عن جويسر عن الضحاك قال هم كفار قريش من قتل بيدر
قلت : من هنا يتضح لنا أن هاتين الايتين من هذه السورة المكية
قد نزلتا بالمدينة لان غزوة بدر انما وقعت في السنة الثانية من هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم .

سورة الحجر :

كلها مكية وقد اختلف في الاية الكريمة فيها وهي قوله

تمالي :

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * (٣)

فقد قال بعضهم بأنها مدنية . ولقد ورد هذا الاستثناء للاية

ايضا في المصحف .

وقد بسطت البحث فيها عند الكلام على سورة الفاتحة في

البحث الرابع ولقد رجحت بالادلة انها مكية وبالتالي فالسورة كلها

مكية .

(١) تفسير ابن جرير ج ٨ ص ١٤٨

(٢) ص ١٤٧ ج ١٨ (٣) اية رقم ٨٧

سورة النحل :

هذه السورة مكية الا ثلاث آيات في آخرها هي قوله تعالى :
* وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهي وخير للصابرين
واصبروا صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون *

فقد ورد انها نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
عقب وقعة أحد .

قال ابن جرير في جامع البيان في الجزء الرابع عشر :

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض
اصحابه عن عداء بن يسار قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية
الا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أحد حيث قتل
حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرونا عليهم
لتمثلت بثلاثين رجلا منهم . فلما سمع المسلمون بذلك قالوا والله لئن
ظهرونا عليهم لتمثلت بهم مائة لم يمثلها احد من العرب بأحد قط
فانزل الله :

* وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهي وخير للصابرين
الى آخر السورة * (١)

وجاء في سنن الترمذي كتاب التفسير :

قال : حدثنا أبو عمار . حدثنا الفضل بن موسى عن عيسى ابن
عبيد عن الربيع بن انس عن ابي العالية قال : حدثني ابي بن كعب قال : لما

(١) تفسير ابن جرير ج ١٤ ص ١٣٢ ط بولاق

كان يوم أحد أصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة
(١) فيهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لثريسين
عليهم . قال فلما كان يوم فتح مكة . فانزل الله :

* وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به وان صبرتم لمؤخس

للمصابرين *

فقال رجل : لا قریش بعد اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفوا عن القوم الا ارحمة .

قال الترمذی : حديث حسن غريب من حديث ابي بن كعب .

قلت : فرواية ابن جرير ان الاية نزلت عقب احد وعلى هذا من

جمهور المفسرين . وفي رواية الترمذی أنها نزلت يوم فتح مكة . وسواء

كان يوم أحد نزولها ام يوم فتح مكة فهي في كلا الحالتين مدنية . وعليه

تكون سورة النحل مكية باستثناء هاتين الايتين

سورة الاسراء :

هذه السورة مكية النزول وقد ذكرت بعض الروايات ان فيها آيات مكية .

من ذلك ما جاء في المصحف . وما اعتمد عليه كثير من كتب في هذا

الشان كالزنجاني في تاريخ القرآن ومحمد فؤاد عبد الباقي في المحجج

المفهرس لالفاظ القرآن الكريم . فمن تلك الايات التي استثنى كونها مدنية

قوله تعالى :

(١) ألى لنزولها في التمثيل بقتلهم . . .

(٢) سنن الترمذی ج ٥ ص ٣٠٠

* وأتى ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * (١)
ولم أجده ما يؤيد ان هذه الآية مدنية الا ما اورده ابن كثير في تفسيره
وانكره حيث قال : * وآت ذا القربى حقه *

قال الحافظ ابوبكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا ابو يحيى
التميمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابي سعيد قال : لما
نزلت : * وآت ذا القربى حقه * دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطمة فاعطاها فدك ثم قال - أى البزار - لا تعلم من حدث به عن
فضيل بن مرزوق الا أبا يحيى التميمي وحيد بن حماد بن الخوار
وهذا الحديث مشكل لوصح اسناده لأن الآية مكية * وفدك انما
فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟
فيرواذا حديث مفكر والاشبه انه من وضع الرافضة والله اعلم " (٢)

قلت : مما تقدم يتبين لنا ان الآية الكريمة تبعا لسورتها
مكية النزول وانما جاءت هذه الآية الكريمة ضمن عدد من الايات
التي تحمل القواعد العامة ^{التي} أرسيت في المجتمع المكي ، كما وضحت
ذلك في المبحث السادس من هذا الباب .

ومن هذه الايات التي قيل انها مدنية هذه الايات الكريمة :

* وان كادوا ليفتنوك عن الذى اوحينا اليه لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا ولو ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا *
الى قوله تعالى :

(١) آية ٢٦

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦

* وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * (١)

قال ابن كثير قيل نزلت في اليهود اذا اشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكنى الشام بلاد الانبياء وترك سكنى المدينة . ثم قال ابن كثير :

وهذا القول ضعيف . لأن هذه الآية مكية . وسكنى المدينة بعد ذلك . وقيل نزلت في تبوك وفي صحته نظر .

روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار الصطاردى عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنيم أن اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا ابا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام ارض المحشر وارض الانبياء . فصدق ما قالوا فغزوا غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل بحمصا ختمت السورة :

* وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها * الى قوله

* تحويلا *

فأمره الله بالرجوع الى المدينة . وقال فيها محياك ومماتك ومنها

تبعث " . قال ابن كثير :

وفي هذا الاسناد نظرا والأظهر ان هذا ليس بصحيح . فان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يغزو تبوك عن قول اليهود وانما غزا امثالا لقوله تعالى :

* يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار * (١)

وقوله تعالى :

* قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم

الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا

الجزية عن يد وهم صغرون * (٢)

وغزاها ليقص وينتقم من قتل اهل مؤتة من اصحابه (٣)

قلت : ان هذه الرواية التي اوردها البيهقي تحمل عوامل فسادها

بين طياتها . ان معنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى اوامر الدعوة

من اليهود وهذا عين الفساد . كيف وهو الذي اخبره الله تعالى بنوايا

اليهود وتدبيرهم ضد الاسلام وبنى الاسلام . قال تعالى :

* لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين

اشركوا * (٤)

وهو المخاطب من قبل الله تعالى بشأن اهل الكتاب عامة :

* ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم *

كما أنه خوطب بالنهي الصريح بعدم اطلاقهم :

* يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما

حكيمًا * (٥)

أما آية الاسراء التي معنا فأصح ما ورد في سبب نزولها هو ما أورده ال

السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول حين قال : قوله تعالى :

(١) آية ١٢٣ من سورة التوبة (٢) آية ٢٩ من سورة التوبة

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٥٣ (٤) آية ٨٢ من سورة المائدة

(٥) آية رقم ١

* وان كادوليفتنونك * اخرج ابن مردويه وابن ابي حاتم من

طريق اسحق عن محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال :

خرج امية بن خلف وابوجهمل بن هشام ورجال من قريش

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد تمسح بالهتنا وندخل

معك في دينك . وكذا يحب اسلام قومه فرق لهم فأنزل الله :

* وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك * الى * نصيرا *

قال السيوطي : قلت هذا اصح ما ورد في سبب نزولها .

اقول : مما تقدم يتبين لنا ان هذه الايات مكية تبعا لسورتها

اذ انه لم ير يد قول من قال انها مدنية نص صحيح بل ان النص الصحيح

جاء بين انما مكية .

آية الروح :

ومن هذه الايات التي ورد استثناءها من هذه السورة آية الروح

وهي قوله تعالى :

* ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتهم

من العلم الا قليلا * (٢)

فقد جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب التفسير باب

* ويسألونك عن الروح * .

قال حدثنا عمرو بن غياث حدثنا أبي قال حدثنا الاعشى قال حدثني

ابراهيم عن علقمة عن عبدالله - أي ابن مسعود - قال بينما أنا مع النبي

(١) اسباب النزول ص ١٣٨

(٢) آية رقم ٨٥

صلى الله عليه وسلم في حرث - وهو متكى على عسيب - اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض - سلوه عن الروح - فقال ما رابكم اليه - ما حاجتكم اليه - وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا سلوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يروا عليهم شيئا فعلمت انه يوحى اليه - فقامى فلما نزل الوحي قال :

* ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا *

قال ابن حجر : ولايت مردويه من وجه آخر عن الاعشى " في حرث للانصار " وهذا يدل على ان نزول الآية وقع بالمدينة - لكن روى الترمذي من طريق داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت : قريش لليهود اعداونا شيئا نسأل هذا الرجل - فقللوا : سلوه عن الروح - فسألوه فانزل الله تعالى :

* ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي *

قال : ورجالهم رجال مسلم - وهو عند ابن اسحق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه - ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك " (١)

قلت : ووجدت ابن كثير ايضا يجمع بين الحديثين اى سبب النزول الذى ورد بشأن سؤال مشركى مكة لليهود ثم سوء اليهم بعد توجيه اليهود لهم للرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٤٠١

(٢) آية ٢٨

والسبب الذي ذكر بشأن سؤال اليهود للرسول في المدينة بتعدد النزول ٠٠٠ وعلى ذلك فالاية مكية تكرر نزولها في المدينة .

سورة الكهف :

مكية الا قوله تعالى :

* واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً * (١)

ومن قوله تعالى :

(٢) * ويسئلونك عن ذي القرنين * الى قوله * وكانوا لا يستطيعون سمعاً *

استثنت هذه الايات في المصحف على اعتبار انها مدنيتك وسار على
نسخ المصحف الزنجاني في كتابه تاريخ القرآن والاستاذ محمد فؤاد عبد
الباقي في المعجم المفهرس لافاظ القرآن .

وبرجوعى الى كتب التفسير وكتب اسباب النزول وجدت ان

الامام فخر الدين الرازى في مفاتيح الغيب يقول :

” اعلم أن من هذه الاية : * اتل ما اوحى اليك من كتاب
ربك * الى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة وذلك أن اكابر
قريش احتجوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن نؤمن
بك فاطرد من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك . والله تعالى نهاه
عن ذلك ورضعه عنه واطناب في جملة هذه الايات في بيان ان الذي اقترحوه

(١) اية ٢٨

(٢) الايات من ٨٣ - ١٠١

والتمسوه مغلوب فاسد واقتراح باطل . ثم انه تعالى جعل الاصل في هذا الباب شيئاً واحداً . وهوان يواظب على تلاوة الكتب الذي أوحاه اليه وعلى العمل به والا يلتفت الى اقتراح المقترحين وتحنت المتمنتين ثم يقول :

ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الانعام . . . وهو قوله :

* ولا تطارد الذين يدعون ربهم بالغفلة والعمى * (١)

ففي تلك الآية نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي

هذه أمره بمجالستهم والمصاهرة معهم " (٢) ١٠ هـ

قلت : ويؤيد ما ذهب اليه الرازي رحمه الله ما أخرجه مسلم في

صحيحه في الجزء الرابع كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي

وقاص رضي الله عنه . قال : حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن

عن سفيان عن المقدم بن شريح عن ابيه عن سعد فسي نزلت ولا تطارد

الذين يدعون ربهم بالغفلة والعمى * (٣)

وفي رواية أخرى قال :

حدثنا ابوبكر بن ابي شعبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي عن

اسرائيل عن المقدم بن شريح عن ابيه عن سعد قال : كنا مع النبي صلى الله

عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء لا

يجترؤن علينا . قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من ذهبل وبسالل

ورجالان لست اسميهما + فوقع في نفس رسول الله ما شاء أن يقع فحدث نفسه

فانزل الله عز وجل :

(١) آية رقم ٥٢

(٢) التفسير الكبير ج ١١ ص ١١٥

(٣) ص ١٨٧٨

* ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه * (١)

ويقول الاستاذ الدكتور محمد محمد ابوشهبة في كتابه " السيرة

النبوية في ضوء القرآن والسنة " :

" ٠٠ ثم سعى رؤساء المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

ينحى هؤلاء الضعفاء والأعبد عن مجلسه كي يجلسوا اليه . فقالوا :

لو طردت عنا هؤلاء الاعبد فانه يؤذينا ارواح جبابهم جلسنا اليك وحادثناك

فقال عليه الصلاة والسلام " ما أنا بطارد المؤمنين "

فقالوا : فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك اذا شئت

قال " نعم " طمعا في ايمانهم فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا

على ذلك غاية الحرص حتى هم الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكتب لهم

بذلك كتابا فانزل الله عتابا هذه الايات التي تدل على منزلة هؤلاء الفقراء

والاعبد وجاههم عند ربهم قال سبحانه :

* واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون

من الظالمين * فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيهم عانقهم وقال :

" أهلا بمن عاتبني الله فيهم " وكان اذا جلس معهم يدنووا منهم

حتى تمس ركبته ركبهم فاذا اراد القيام قام عندهم وتركهم . فانزل الله

سبحانه قوله :

* واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا

واتبع هواه وكان امره فرطا * (٢)

(١) ج ٤ ص ١٨٧٨

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٣٣٦

قلت : فهذه الاحاديث والآراء التي سقناها تبين ان هذه الايات تبعاً لسورتها مكة النزول ولا حجة كمن قال ان هذه الايات نزلت في شأن المير لفة قلوبهم في المدينة .

اما قوله تعالى * ويسألونك عن ذي القرنين * الآية هذه الايات جاء في المصحف المشطاني أنها مدنيات ولم أجسد سندا لذلك من رواية صحيحة بل وجدت ابن كثير يقول : وقد اورد ابن جرير ههنا والأموى في مشاربه حديثا اسنده وهو ضعيف عن عقبه بن عامر ان نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فاخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما اخبرهم به انه كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك الى السماء وذهب به الى السدود أي اقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب . . ثم قال ابن كثير :

وفيه دأول ونكاره ورفسه لا يصح واكثر ما فيه من اخبار بنسى اسرائيل (١)

واصح ما جاء في سبب نزول هذه الايات هو ما ذكره ابن اسحق واثبت ابن كثير في تفسيره عند تفسيره سورة الكهف حيث قال :

ذكر ابن اسحق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال : . . حدثني شيخ من اهل مصر قدم علينا منذ بضع واربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبه بن ابي معيط السبي احبار يهود المدينة فقالوا ليهودهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم يقوله

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠٠

فاتمهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء - فخرجنا
حتى اتينا المدينة . فسألوا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفوا له أمره وبعض قوله وقالوا : انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا
عن صاحبنا هذا - قال . فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن .
فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل والا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم .
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم . فانهم قد
كان لهم حديث عجيب .
وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه .
وسلوه عن الروح ما هو ؟
فان اخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فانه
رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم .
فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد
جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقد امرنا احبار اليهود ان نسأله
عن أمور فاخبروهم بها فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
يا محمد اخبرنا فسالوه عما أمرهم به فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم " اخبركم غدا عما سألتكم " ولم يستثنى فأنصرفوا عنه
ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك
وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة . وقالوا وعدنا
محمد غدا واليوم خمس عشرة قد اصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سأله
عنه . وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق
عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة
اصحاب الكهف . فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر
الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح ﴿ (١) الآية

في هذه الرواية تبين ان هذه الايات جوابا لسؤال القرشيين الذين تلقوه من

اليهود في المدينة وجاءوا به الى قومهم في مكة حيث وجهوه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

وطيه فالآيات مكيات واذا فسورة الكهف كلها مكية .

سورة مريم :

قد تقدم على انهما من السور المكية غير ان بعضهم استثنى منها

قوله تعالى :

﴿ اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا

مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم

آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴿ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴿ (٣)

— كما هو مبين في المصحف المثنائي — على انهما مدنيان . في

تبصير لهذا الرأي لعلي اجد ما يؤيد ذلك من اثر صحيح لكني وجدت

في كتاب الاثنان في علم القرآن أن الامام السيوطي رحمه الله يقول :

استثنى منها آية السجدة وقوله ﴿ وان منكم الا واردها ﴿ وهذه

وهي ليس لها دليل (٤)

(١) تفسير ابن محمد ج ٣ ص ٧١ - ٧٢ (٢) آية رقم ٥٨

(٣) آية رقم ٧١ (٤) ج ١ ص ١٥

قلت : أمهل الى أن هاتين الايتين مكتتان تبعاً للسورة التي نسبها
اليها . ولانى لم أجد ما يؤيد كونهما مدينيتان . وعليه فان سورة
مريم كلها مكة . .
سورة طه :

استثنى فيها قوله تعالى :

* ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * (١)

قال الواحدى النيسابورى في كتاب اسباب النزول :

قوله عز وجل : * ولا تمدن عينيك * الآية : اخبرنا احمد بن
محمد بن ابراهيم الثملى قال اخبرنا شبيب بن محمد البيهقى قال اخبرني
مكس بن عبدان قال حدثنا الأزهري قال حدثنا روح بن موسى بن عبيده
الرندي قال اخبرني يزيد بن عبدالله بن فضيل عن أبى رافع مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم :

ان ضمنا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم قد عانى فارسى
الى رجل من اليهود يبيع طعاماً يقول لك محمد رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - نزل بنا ضيف ولم يلق عندنا بعض الذى تصلحه فبعضى كذا وكذا
من الدقيق أو سلفنى الى هلال رجب فقال اليهودى : لا ابيحه ولا اسلفه
الا برهن . قال فرجعت اليه فاخبرته . قال والله انى لامين فى السماء
امين فى الأرض . ولو سلفنى أو باعنى لا ديت اليه اذهب بدرعى
ونزلت هذه الآية تحزينة له عن الدنيا :

* ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم * الآية

وذكر هذا الحديث ايضا السيوطى في لب لباب النقول في اسباب النزول

حين قال :

قوله تعالى * ولا تمدن عينيك * الاية اخرج ابن ابي شيبة وابن مردويه والبخاري وابويطي عن رافع : قال اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا فارسلى الى رجل من اليهود ان اسلفنى دقيقا الى هلال رجب . فقال الابرهمن . فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته . فقال اما والله انى لأمين في السماء امين في الأرض . فلم اخرج من عنده حتى نزلت هذه الاية : * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم *

قلت : فسورة طه مكية باستثناء هذه الاية كما هو متقدم .

سورة الحج :

تقدم في البحث السابق ان هذه السورة قد اختلف فيها هل هى

مكية ام مدنية . واننى من خلال بحثى قد رجحت انها مكية ولكن

بها آيات مدنيات فيها قوله تعالى :

* ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خيرا طمأن به وان اصابته

فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين * (٢)

وذلك لما اخرج به البخارى رضى الله عنه عن عباس رضى الله عنه قال : كان

الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين

صالح . وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٠٥-٢٠٦

(٢) اية رقم ١١

ومنها قوله تعالى :

﴿ هَذَانِ خِصْمَانِ اِخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَمَتْ لَهُمْ
ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهِرُ فِيهِمَا بَطُونَ سِيمٍ وَالْجَارِدُ الْمِيمُ
مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٢)

وذلك لما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي ذر رضى
الله عنه انه كان يتشم فيها ان هذه الآية :

﴿ هَذَانِ خِصْمَانِ اِخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ ﴾

نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر (٢) .

وأخرجه أيضا بطريق آخر عن علي بن أبي طالب رضى الله
عنه : قال اني اول من يجشوا بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة .

قال قيس : قيس بن عباد - وفيهم نزلت ﴿ هَذَانِ خِصْمَانِ اِخْتَصَمَا

فِي رَبِّهِمْ ﴾ قال هم الذين بارزوا يوم بدر . علي وحمزة وعبيدة -
وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة (٤)

ومن هذه الايات أيضا : قوله تعالى :

﴿ اِذْ لِلَّذِينَ يَقَاتُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

أَقْدَرٌ ﴾ (٥)

(١) ج ٦ ص ١٢٣ (٢) الايات من ١٩-٢٢

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٤

(٥) الايات ٣٩-٤١

فقد قال الترمذي في سننه : حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا وأبي واسحق
بن يوسف الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم البطيين عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
قال ابوبكر : اخرجوا نبيهم ليهلكن فأنزل الله :

﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾

(١)

فقال ابوبكر لقد علمت انه سيكون قتال • قال الترمذي حديث حسن

فهذه الايات من سورة الحج مدنيات وبقاى السورة على الراجح مكى •

سورة الفرقان :

تقدم انها مكية - ولكن استثنى منها قوله تبارك وتعالى :

﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله عفورا

رحيما ﴾ (٢)

كما هو في المصحف وسار على نهج المصحف الزنجاني في تاريخ

القرآن والاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس لافاظ القرآن

الكريم • ولم أجد أثرا يؤيد ذلك بل وجدت الرواية الصحيحة تؤيد ان

هاتين الايتين مكيات • فقد اخرج البخارى في صحيحه (٢) قال :

حدثنا ابراهيم بن موسى اخبرنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم

قال اخبرني القاسم بن ابي بزة انه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا

متعمدا من توبة ؟ فقراءت عليه :

﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ فقال سعيد قراءتها

على ابن عباس كما قراءتها علي فقال هذه آية مكية نسختها آية مدنيّة

(١) ج ٥ ص ٢٢٥ (٢) الايات من ٦٨-٧٠

(٢) ج ٦ ص ١٢٨

• التي في سورة النساء •

قلت : يعنى بالايمة المدنية التي في سورة النساء :

* ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما * (١)

وجاء بلفظ آخر : قال حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيبان عن

منصور عن سعيد بن جبير قال : قال : ابن ابيزى سئل ابن عباس عن

قوله تعالى :

* ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقوله :

* ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق * حتى بلغ الأمان من تاب ..

فسأله • فقال لما نزلت قال اهل مكة : فقد عدلنا بالله وقتلنا

النفس التي حرم الله الا بالحق واتينا الفواحش • فانزل الله الأمان من تاب وآمن

وعمل عملا صالحا * الى قوله * غفورا رحيمًا * •

وايضا ورد من طريق آخر في البخارى قال :

حدثنا عبدان • اخبرنا ابي عن شعبة عن منصور عن سعيد بن

جبير قال امرني عبد الرحمن بن ابيزى ان اسأل ابن عباس عن هاتين

الآيتين :

* ومن يقتل مؤمنا متعمدا * فسأله فقال لم ينسخها شيء •

و* من الذين لا يدعون مع الله الها اخرا * قال نزلت في اهل

الشرك (٦)

قلت : فهذه الآثار تثبت ان هاتين الآيتين نزلتا بمكة تبعا للسورة

وانا فان سورة الفرقان مكية كلها من غير استثناء فيها •

سورة الشعراء :

قد مرّ أن سورة الشعراء من السور المكية غير أن المصحف العثماني قد استثنى الآية الكريمة :

* أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل * (١) وكذلك

قوله تعالى :

* والشعراء يتبعهم الغاؤون * (٢) إلى آخر السورة .

بالنسبة للآية الأولى : * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني

إسرائيل * فأن لم اعثر على قول واحد صحيح من صحابي أو تابعي

يشير إلى ذلك . ثم نظرت فوجدت أن هذه الآية الكريمة من هذه السورة فمن آيات تتكلم عن القرآن الكريم قال الله تعالى :

* وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك

لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنه لفي زبر الأولين

أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل . ولم نزلناه على بعض
الاعجميين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين *

فإننا لا نستطيع من غير سند صحيح أن نقلح هذا النص من

جوه الذي نزل فيه بل تبقى تبعا للسورة التي هو فيها وهي
مكية .

أما قوله تعالى :

* والشعراء يتبعهم الغاؤون * إلى آخر السورة فوجدت أن

المسيوطي في أسباب النزول قد ذكر رواية عن ابن عباس وأخرى عن عروة

بن الزبير تشير إلى أن هذه الآيات مدنيات قال رحمه الله :

اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق الصوفي عن ابن عباس قال :
تراجى رجلا ن علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار
والاخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم
السفهاء فأنزل الله :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ الايات .

ثم قال : واخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة نحوه . واخرج - اي ابن ابي
حاتم - عن عروة قال :

لما نزلت " والشعراء " الاية الى قوله ﴿ ما لا يفعلون ﴾

قال : عبد الله بن رواحة قد علم الله اني منهم فأنزل الله ﴿ الا
الذين آمنوا ﴾ الى آخر السورة . (١)

وجاء في تفسير الطبري عن ابي الحسن البراد قال لما نزلت

" والشعراء " الاية . جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن
ثابت فقالوا يا رسول الله : والله لقد انزل هذه الاية وهو يحلم اننا شعراء .
هلكننا . فأنزل الله ﴿ الا الذين آمنوا ﴾ الاية . فدعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم . (٢)

قلت : هذه الروايات التي تقدمت بشأن سبب نزول هذه الايات تؤيد

انها مدنيات مستثناة من هذه السورة المكية .

(١) اسباب النزول ١٦٤

(٢) تفسير ابن جرير ج ٥ ص

سورة القصص :

هذه السورة الكريمة قد تقدم أنها مكية • سوى آيات منها فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون • وإذا يلقى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ان كنا من قبله مسلمين • أولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • وإذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ (١)

وذكروا انها نزلت في اهل الكتاب وهي مستثناة في الصحف المضمنين • كما ذهب الى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان : وانها نزلت في اهل الكتاب قال : حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى • وحدثني الحارث قال حدثنا الحسن قال حدثنا ورقاء جميعا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد :

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله - الى قوله - لا نبتغي الجاهلين ﴾ في نسخة اهل الكتاب

وقال في رواية اخرى بنفس الصفحة : قال ابن جريج اخبرني عمرو بن دينار ان يحيى بن جعدة اخبره علي بن رفاعه - يعني رفاعة القرظي - قال خرج عشرة رهط من اهل الكتاب منهم ابو رفاعة - يعني اياه - النبي صلى الله عليه وسلم قآموا فآؤوا فآؤوا فنزلت ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ - قبل القرآن -

وذكر النيسابورى في كتابه غرائب القرآن و رغائب الفرقان قال :
قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة
يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به • من جملتهم سلمان وعبدالله
ابن سالم - وقال : قال مقاتل : نزلت في اربعين من مسلمي اهل الانجيل
اثنتان وثلاثون جاءوا مع جعفر من ارض الحبشة في السفينة وثمانية جاءوا من
الشام (١)

ثم أورد حديث رفاعة القرظى المتقدم وعقب عليه بقوله :
والتحقيق ان كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلا في الآية
لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب •

قلت : من الروايات المختلفة التي تقدمت يبحث لنا أن هذه الايات
مدنية النزول • وهي مستثناة من سورة القصص المكية •

سورة الصنكبيوت :

هي مكية باستثناء آيات من صدرها اى من اولها حتى قوله :
﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ (٢) فقد ذكر
بأشياء مدنية • قال السيوطى في اسباب النزول :
أخرج ابن أبى حاتم عن الشعبي ﴿ ألم احسب الناس ﴾ الآية
قال نزلت في اناس كانوا بمكة قد اقرؤا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم حتى تهاجروا • فخرجوا
مؤمنين الى المدينة فتبسمهم المشركون فردوهم فنزلت هذه الآية • فكتبوا

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج ٥

(٢) الايات ١ - ١١

اليهم انه قد نزل فيكم كذا وكذا - فقالوا نخرج فان اتبعنا احد قتلناه .
فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمضيه من قتل ومضيه من نجا . . .
قال السيوطي ايضا - واخرج : اي ابن حاتم - عن قتادة قال
انزلت * ألم أحسب الناس * في اناس من اهل مكة خرجوا يريدون النبي
صلى الله عليه وسلم فعرض لهم المشركون فرجعوا فكتب اليهم اخوانهم بما
نزل فيهم فخرجوا فقتل من قتل وخلص من خلس . فنزل فيهم
* والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمح المحسنين *
ويذكر اخرون ان هذه الايات نزلت في شأن عمار بن ياسر ان كان
يحبذ في الاسلام . وهذا معناه - ان صح مكة من جملة السورة
المكية . ذكر ذلك الطبري حيث قال :

حدثنا القاسم قال حدثنا الحسيني قال حدثني حجاج عن ابن جريج
قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول نزلت في عمار بن ياسر ان كان
يحبذ في الاسلام . لكن الطبري نفسه اورد الحديث الذي ذكره السيوطي
والخاص بأن هذه الايات نزلت (١) في شأن الذين عذبوا وضموا من
اللاحق باخوانهم في المدينة .

ما تقدم فان سورة العنكبوت مكية باستثناء صدرها .

سورة الروم :

مكية . غير ان هناك استثناء لاية منها وهي قوله تعالى :

(١) تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٨٣

﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ (١)

كما ورد ذلك في المصحف • ولم أقف على اثر يسند هذا الرأي • مما
جماني أرجح بأن هذه الآية تبعا لسورتها مكية •

سورة لقمان :

هذه السورة مكية اجماعا كما تقدم لكن ورد في المصحف العثماني

وكما في تفسير الطبري ورد استثناء لآية الكريمة وهي قوله تبارك
وتعالى :

﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر

ما نفدت كلمات الله - الى قوله - وان الله بما تعملون خبير ﴾ (١)

ولم أجد من الروايات التي ذكرت ما يجعلني اطمئن لذلك • فقد

جاء في تفسير جامع البيان للطبري قوله :

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن

بعض اصحابه عن عطاء بن يسار قال لما نزلت بيكة :

﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٢) يعني اليهود فلما هاجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا

انك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا . . . ؟ افضنيتنا أم قومك ؟ قال

كلا قد عرفت • قالوا : فانك تتلو ﴿ انا اوتينا التوراة وفيها تبیان كل شیء ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل • وقد اتاكم الله

ما ان عاتم به انتفعتم فانزل الله :

﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة اقلام . . ﴾ الايات •

(١) الايات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

(٢) آية رقم ٨٥

فهذه الرواية لا اعتمدها عليها لانها عن محمد بن اسحق عن
بعض اصحابه فمن هم بعض اصحابه حتى نعرفهم؟ ثم ان كانت العلة هي
سؤال اخبار يهود المدينة فاني قد بينت حينما تعرضت لآية الروح (١)
بان النبي صلى الله عليه وسلم قد اجاب يهود المدينة بما نزل الله عليه في
مكة وقد يكون هذا من قبيل ما نكر نزوله هذا على فرض صحة
هذه الرواية . وعليه فاني اميل الى ان هذه السورة كلها مكية بلا
استثناء .

سورة السجدة :

هي مكية كما تقدم واستثنى فيها قوله تعالى :

* تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم يتفقون - الى قوله - وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون *

فقد ذكر ابن جرير الطبري رواية عن انس بن مالك جاء فيها : حدثني
محمد بن خلف قال حدثنا يزيد بن حبان قال حدثنا الحارث بن وجيه
الراسي قال حدثنا مالك بن دينار عن انس بن مالك :

ان هذه الآية نزلت في رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
يصلون فيما بين المغرب والمساء * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * (٣)

وقال الواحدى في اسباب النزول : اخبرنا ابواسحق المقرئ قال

(١)

(٢) الايات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(٣) ج ٢٠ ص ٦٣

اخبرني أبو الحسين محمد الدينوي قال اخبرنا موسى بن محمد قال اخبرنا
الحسين بن طويه قال اخبرنا اسماعيل بن عيسى قال اخبرنا المسيب عن
سميد عن قتادة عن انس بن مالك قال فينا نزلت معاشر الانصار :

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية

كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى المشاء مع النبي صلى الله
عليه وسلم ، ويؤيده ذلك ما رواه الترمذي في سننه حيث قال : حدثنا عبد الله
بن ابي زياد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الاوسى عن سليمان بن بلال
عن يحيى بن سميد عن انس بن مالك : ان هذه الآية :

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾

(٢)

نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى المئمة - اي صلاة المشاء

قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه

الا من هذا الوجه .

قلت : وعلى ذلك فان سورة السجدة مكية باستثناء الايات المتقدمة .

سورة سبأ :

مكية اجماعا كما تقدم وفي المصحف المثاني استثناء لقوله تعالى :

﴿ ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق

ويهدى الى صراط العزيز الحميد ﴾ (٣)

كما ذهب الى ذلك الزنجاني في تاريخ القرآن . وبالبحث عما يثبت ذلك

لم أجده في كتب التفسير واسباب النزول والسير اثر لذلك فسير ما ذكره ابن

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٣٥

(٢) سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٤٦ (٣) اية رقم ٦

جرير الطبري في تفسيره للاية الكريمة حاملا معناها الى اهل الكتاب فقال :
وعنى بالذين اوتوا العلم مسلمة اهل الكتاب كعبدالله بن سلام وخطائه
الذين قرءوا كتب الله التي انزلت قبل الفرقان . فقال تعالى ذكره :
وليرى هؤلاء الذين اوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي
انزل اليك يا محمد من ربك هو الحق .

اقول : ان هذا لا يكفي لاثبات كون الاية مدنية اذ يجوز أن
يكون المعنى بالذين اوتوا الكتب هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ولقد ذكر ابن جرير نفسه ذلك حيث قال :

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : ويرى
بالذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق : قال اصحاب محمد
قوله : يهدي الى صراط العزيز الحميد : ويرشد من اتبعه وعمل بما
فيه الى سبيل الله العزيز في انتقامه من اعدائه الحميد عند خلقه فأياديه
عندهم ونعمه لديهم . (١)

قلت اني ارى ان الاية تبعا لسورتها مكية .

سورة يس :

هذه السورة الكريمة مكية واستثني منها في المصحف قوله تعالى :
* واذ قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * (٢)
ولم أجد لذلك أثرا يوء يده . بل الذي وجدته ولم يذكر في المصحف العثماني :

(١) تفسير جامع البيان ج ٢٠ ص ٤٤

(٢) اية رقم ٤٥

﴿ انا نحن نحيسى الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم وكل شئ ﴾

احصيناه في امام مبین ﴿ (١)

فقد روى الترمذى في سننه قال : حدثنا محمد بن وزير الواسطى حدثنا اسحق بن يوسف الازرق عن سفیان الثورى عن ابى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية :

﴿ انا نحن نحيسى الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم ﴾

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فام ينتقلوا .

قال الترمذى حديث حسن غريب من حديث الثورى و ابوسفيان وهو طريق السعدي . فهذه الآية بناء على هذه الرواية عند ابى سعيد الخدرى مدنية النزول . اما ما ذكره في شأن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى :

﴿ واذنا قبل لهم ﴾ فلا أجد ما يؤيد ما زعموا وعلى ذلك

فسورة يسى مكية الا قوله تعالى :

﴿ انا نحن نحيسى الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم ﴾ فمدنية .

سورة الزمر :

هي مكية في قول الجميع ولقد استثنى منها قوله تعالى :

﴿ أولم يحلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ان في ذلك لايات

لقوم يحفلون . قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة

الله ان الله يتغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وانبيهاوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم الحذاب ثم لا تنصرون ﴿ (١)

ولم أجد ما يؤيد ان هذه الايات مدنية بل ان الذي وجدته في سبب نزول هذه الايات يؤيد كذا انها نزلت بمكة تبعا لسورتها . فقد اخرج البخاري في صحيحه حيث قال : حدثني ابراهيم بن موسى اخبرنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم قال يعلى ان سعيد بن جبسر اخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه الحق لو تخيرنا ان لما عملنا كفارة فنزل :

﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴾ (٢) ونزل :

﴿ قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يخفر الذنوب جميعا ﴾ (٣)

اقول : هذه الرواية صريحة في ان هذه الايات نزلت في شأن

المشركين ولم يكن في المدينة شرك ؟ وانما كان اهل الكتاب واهل النفاق .

ولقد تقدم في هذا المبحث في سورة الفرقان النص الذي اورده البخاري

والخاص بنزول هذه الايات بمكة .

وعلى ذلك فسورة الزمر مكية اجماعا بلا استثناء .

(١) الايات ٥٢ ٥٣٦ ٥٤٦

(٢) اية رقم ٦٨ سورة الفرقان

(٣) ج ٩ ص ١٥٧

سورة غافر

هي سورة مكية الا قوله تبارك وتعالى :

* ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم
الاكبر ما هم بيالفيه فاستمذ بالله انه هو السميع البصير • لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون * (١)

فقد جاء في المصحف المثاني انهما مدينتان • ووجدت السيوطي في
لباب النقول في اسباب النزول يذكر ذلك واورد رواية عن ابي العالبيه اسندها
الى ابن ابي حاتم قال واخرج ساي ابن ابي حاتم عن ابي العالبيه
قال :

جاءت اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا الدجال فقالوا
يكون منا في اخر الزمان فعظموا امره وقالوا يصنع كذا فانزل الله :
* ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم
الاكبر ما هو بيالفيه فاستمذ بالله *

فأمر نبيه ان يتعوذ من الدجال • ثم قال السيوطي : قوله تعالى :

* لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس *

قال من خلق الدجال • واخرج ابن ابي حاتم عن كعب الاحبار في قوله :
* ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان * قال هم اليهود فنزلت
فيما ينتظرونه من امر الدجال (٢) هكذا اوردته السيوطي • لكن ابن كثير
رحمه الله عندما فسر هاتين الايتين ذكر هذا الحديث الذي اوردته السيوطي

(١) آية رقم ٥٦ - ٥٧

(٢) لباب النقول في اسباب النزول ص ١٨٦ - ١٨٧

وقال فيه : وهذا قول غريب وفيه تحسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه . (١)

وفي تفسير التسهيل لعلم التنزيل وجدت ان محمد بن احمد الجري الكلبى يقول : عند تفسيره لسورة غافر :

مكية الايتين وأشار الى الايتين المتقدمتين . وعندما جاء الى تفسيرهما قال :

* ان الذين يجادلون * يعنى كفار قریش . ولم يشر ابدا الى ما ذكره في مقدمة السورة من ان الايتين مدنيتان " (٢)

وابن جرير الطبرى رحمه الله عند تفسيره لهما يقول : يقول تعالى ذكره مخبر عن قبيلى : المؤمن من آل فرعون : * ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم * فقوله الذين : مردودا على من في قوله من هو مسرف . وتأويل الكلام :

كذلك يضل الله اهل الاسراف والخلو في ضلالهم بكفرهم بالله واجترائهم على صاحبيه . المرتابين في اخبار رسله . الذين يخاصمون في حججه التي اتت بهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج من غير سلطان اتاهم - يقول :

بغير حجة اتتهم من عند ربهم يدفعون بها الحجج التي عند الله (٣)

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٨٤

(٢) تفسير الكلبى ج ٤ ص ١٣

(٣) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٢٢

أقول : ان هاتين الايتين مرتبطتان بما قبلهما وما بعدهما ارتباطاً

وثيقاً ولا يصح بخير دليل الحكم عليهما بانهما نزلتا بالمدينة .

ولقد رأيت النيسابوري في كتابه غرائب القرآن ورغائب الفرقان

يقول عند تفسيره لهيتين الايتين قوله : ﴿ ان الذين يجادلون ﴾

عود الى ما انجر اليه الكلام من اول السورة الى ها هنا بيان السبب

الباعث لكفار قريش على هذا الجدل وهو الكبر والحسد وحب الرياسة

وان يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا ان يكونوا تحت تصرف غيرهم .

فان النبي صلى الله عليه وسلم لا بد ان تكون الامة تحت امره ونهيه

وذلك أي المتقدم من اواميرهم وامانيهم تخيل - فاسد - لأن الغلبة

لدين الاسلام ولهذا قال :

﴿ ما هم ببالئيه ﴾

ثم أمره ان يستعيز في دفع شرورهم بالله السميع لا قوالهم البصير باحوالهم

فيجازيهم على حسب ذلك ثم انهم كانوا اكثر ما يجادلون في امر البعث .

فاحتج الله تعالى عليهم بقوله :

﴿ لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس

لا يعلمون ﴾ (١)

قلت : مما تقدم يتضح لنا ان القول باستثناء هاتين الايتين من السورة

لا يسنده دليل . وعليه فان سورة غافر مكية باجمعها .

سورة الشورى :

هذه السورة الكريمة تقدم اثباتها من السور المكية واستثنى منها
اربع ايات هي قوله تعالى :

ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا
اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له
فيها حسنا ان الله غفور شكور * أم يقولون افتري على الله كذبا فان
يشأ الله يختم على قلبك ويحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه
علم بذات الصدور * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله والكافرون لهم عذاب شديد * ولو بسط الله الرزق لعباده
لبفؤوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير *
وهذا الاستثناء قد خرجت منه الاية الكريمة :

* ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد * (٢) فلم ينسبها القول - على هذا الرأي -
بانها مدنية .

هكذا هو في المصحف المثنائي وفي الكتب التي سارت على نهجه
ولم أجد لهذا الزعم من سند الا في قوله تعالى :

* ولو بسط الله الرزق لعباده لبفؤوا في الارض ولكن ينزل بقدر
ما يشاء انه بعباده خبير بصير * (٣)

(١) الايات رقم ٢٣ - ٢٧

(٢) الاية رقم ٢٦ (٣) الاية رقم ٢٧

فقد اخرج الحاكم وصححه عن علي - قال: نزلت هذه الآية
في اصحاب المصفة *

* ولو بسخط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض *

وذلك أنهم قالوا : لو أن لنا فتحوا الدنيا •

قال السيوطي في اسباب النزول : واخرج الطبراني عن عمرو بن حريز
مثله • (١)

اما فيما يتعلق بالآيات السابقة فلم أجد ما يؤيد كونها مدنية
بلى وجدت غير ذلك فقد ذكر الطبري في تفسيره عند تعرضه لهذه الآيات
ما بين أنها نزلت في شأن قومه بمكة قال :

القول في تفسير قوله تعالى : * ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور *

يقول تعالى ذكره :

هذا الذي اخبرتم ايها الناس اني اعددت له للذين آمنوا وعملوا
الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة البشرية التي يبشر الله عباده
الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بداعته فيها • قل لا أسألكم عليه تجرا يقول :
تعالى ذكره انبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يمارونك في
الساعة من مشركي قومك لا أسألكم ايها القوم على دعايتكم على ما ادعوكم
اليه من الحق الذي جئتمكم به والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاء وعضا
من اموالكم تعطوننيها الا المودة في القربى • (٢)

(١) اسباب النزول ص ١٨٨

(٢) تفسير الطبري ج ٢٤ ص ١٥-١٦

قلت : المخاطبون هنا هم قومه من القرشيين وهو يد ذلك ما ذكره ابن جرير نفسه بنفس الصفحة حيث قال : حدثنا ابو كريب قال حدثنا اسامة قال حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس في قوله : ق

﴿ قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ﴾

قال سئل عنها ابن عباس فقال ابن جبير هم قريبي آل محمد . فقال ابن عباس عجلت . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش الا وله فيهم قرابة . قال فنزلت :

﴿ قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ﴾ قال القرابسة

التي بيني وبينكم ان تصلوها (١)

قلت : هذا واضح في ان هذه الايات مكيات تبعا لسورتها و عليه فان الذي اطمن اليه ان سورة الشورى مكية الا قوله تعالى :

﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض . . ﴾

فانها نزلت في شأن اهل صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . اما غيرها من الايات مما زعموا فاني لم أجده له سندا .

سورة الزخرف :

هي سورة مكية كما تقدم ولم أجده من المفسرين من استثنى منها آية واحدة غيرها ورد في المصحف العثماني من استثناء لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ (٢)

وهذه الآية الكريمة واردة في سياق قصة فرعون مع قومه • وقد بدأت
القصة بقول الله تبارك وتعالى :

* ونادى فرعون قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري
من تحتى أفلا تبصرون • ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يسيبن
فلولا لقي عليه اسورة من ذهب اوجاء معه الملكة مقترنين فاستخف
قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين • فلما أسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعيين * (١)

فلا نستطيع من غير دليل ان نقول انها مدنية وعلى ذلك فالزخرف
مكية باجمعيها •

سورة الجاثية :

مكية واستثنى منها في المصحف المثانى قوله تبارك وتعالى :
* قل للذين آمنوا يَغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما
بما كانوا يكسبون * (٢)

وذكر الواحدى في اسباب النزول انها نزلت في شأن عمر بن الخطاب
وعبدالله بن أبى وذلك انهم نزلوا في غزاة بنى المصطلق على بشر يقال لها
المريبع • فارسل عبدالله غلامه ليستقى الماء فأبطأ عليه فلما اتاه قال : ما
حبسك ؟ قال غلام عمر قعد على قف (٣) فما ترك أحدا يستقى حتى
ملاً قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر وقرب مولاة • فقال عبدالله
ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل : سمن كلبك يأكلك • فبلغ قوله عمر رضى
الله عنه فامثل بسيفه يريد التوجه اليه • فانزل الله تعالى هذه
الآية • (٤)

(١) الايات رقم ٥٠ الى ٥٥ (٢) آية رقم ١٤

(٣) (٤) اسباب النزول للواحدى ص ٤٥٣

هكذا ذكر الواحدى هذه القصة وجعلها سببا لنزول الاية المذكورة . لكن
برجوعى الى كتب التفسير وجدت ان ابن جرير الطبرى يعتبر هذه الاية
من الايات المكية التى نسخت حكما بعد الاذن بالقتال : قال :

القول فى تأويل قوله تعالى :

* قل للذين آمنوا ينفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما

كانوا يكسبون *

يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين
صدقوا الله واتبعوك ينفروا للذين لا يخافون بأس الله وقوائمه وبقمه اذا هم
نالوهم بالاذى والمكروه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ليجزى الله
هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا فى
الدنيا يكسبون . ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن
المشركين اذا اذوه وكانوا يستهزئون به ويكذبونه فأمره الله عز وجل
أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ . ثم ذكر اجماع المفسرين
على ذلك فقال : وانما قلنا هي منسوخة لاجماع اهل التأويل على ان ذلك
كذلك » (١)

(٢)

وقال الجصاص فى أحكام القرآن : حدثنا عبدالله بن محمد قال حدثنا

الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى :

* قل للذين آمنوا ينفروا للذين لا يرجون أيام الله *

قال نسخها قوله تعالى :

* فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم *

(١) ج ٢٤ ص ٨٦-٨٧

(٢) هو :

قلت : مما تقدم يظهر ان الآية الكريمة تبعا لسورتها مكية .

سورة الاحقاف :

هذه السورة مكية كما تقدم وهي تمالج في جملتها موضوع العقيدة وما يتصل بها كما هو دأب السور المكية . وقد ورد استثناء لبعض آياتها كما هو في المصحف المثناني . فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى :

* قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فلا من واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين * (٢)
وقوله تبارك وتعالى :

* ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبنت اليك واني من المسلمين * (٣)
وقوله تعالى :

* فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسول ولا تستمجل لهم كأنهم يسمون يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فيمهل يهلك الا القاسم الفاسقون * (٤)

فهذه الايات قيل أنها مدنية ولنظر الان في صحة هذا القول ، فبالنسبة

للآية الأولى :

(١) احكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٨٦ - ٨٧

(٢) اية رقم (١٠) (٣) اية رقم ١٥

(٤) اية رقم ٣٥

* قل رأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله * الاية

قيل انها نزلت في شأن عبد الله بن سلام . ذكر ذلك ابن جرير
وأورد رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عبي قال حدثني
أبي عن ابيه عن ابن عباس قوله : * قل رأيتم ان كان من عند الله *
الاية قال :

كان رجل من اهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال انما
نجدته في التوراة وكان افضل رجل مضيم واعلمهم بالكتاب . فخاصه اليهود
النبي صلى الله عليه وسلم . فقال اترضون ان يحكم بيني وبينكم عبد الله
بن سلام ؟ اتوه منون ؟ قالوا : نعم . فارسل الى عبد الله بن سلام .
فقال اتشهد انى رسول الله مكتوبا في التوراة والانجيل ؟ قال : نعم .
فاعرضه / اليهود ^{عنه} . واسلم عبد الله بن سلام . فهو الذى قال الله جل
شأنه :

* وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم *

ثم يقول فأمن عبد الله بن سلام " (١)

ولكن وجدت عدة روايات تنقض هذه الرواية وتبين ان هذه الاية نزلت
بمكة وليس بالمدينة . فمن ذلك ما اورده الطبرى نفسه حيث قال :

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الأعلى قال سئل داود عن

قوله : * قل رأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم . . . * الاية

قال داود قال عامر قال مسروق : والله ما نزلت في عبد الله بن سلام
ما نزلت الا بمكة وما اسلم عبد الله الا بالمدينة ولكنها خصومة خاصم محمد
صلى الله عليه وسلم بها قومه قال فنزلت :

﴿ قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ﴾

قال فالتوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم فأمنوا
و بالتوراة وبرسولهم وكفرتم " (١)

قلت : قوله : فالتوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد صلى الله
عليه وسلم : يحنى ان التوراة كتاب منزل من الله وموسى عليه السلام
مرسل من الله "

وفي رواية أخرى يقول الطبري :

حدثنا ابو كريب قال حدثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن
هند عند الشامي قال : اناس يزعمون ان شاهدا من بني اسرائيل
على مثله عبد الله بن سلام . وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة وقد
اخبرني مسروق ان آل حم انما نزلت بمكة . وانما كانت حاجة
الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه فقال :

﴿ أرايتم ان كان من عند الله - يحنى القرآن - وكفرتم به وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله ﴾ فأمن موسى ومحمد عليهما السلام على
الفرقان . . " (٢)

قلت : هاتان الروايتان يؤيد بعضهما بعضا بالاضافة الى

(١) المصدر السابق

(٢) تفسير ابن جرير ج ٢٤ ص ٦

موضوع الايات السابقة لها واللاحقة يؤيد ان هذه الاية الكريمة
مكية غير مدنية ومن هنا فاني ارجح ان هذه الاية تبعا لسورتها
مكية .

أما الاية الثانية وهي قوله :

* ووصينا الانسان بوالديه احسانا * الاية

فلم أجد ما يؤيد ذلك - أي كونها مدنية وهذه الاية تحمل وصية الله
تعالى للأنبياء بالاحسان الى الآباء ومعظم هذا جاء في سور مكية .
كسورة الاسراء (١) - ولقمان (٢) ولم أجد نصا يؤيد كونها
مدنية فاني ارى انها تبعا لسورتها مكية .

وكذلك الاية الكريمة :

* فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل * الاية

فلم أجد لها سندا ولو ضعيفا يؤيد كونها مدنية . مما جعلني اميل الى
ان هذه السورة الكريمة كلها مكية .

سورة ق :

تقدم ان سورة ق من السور المكية اجماعا وقد ورد في المصحف

المثاني استثناء لقوله تبارك وتعالى :

* ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب * (٣)

وبالبحث وجدت ان ذلك مذكور ذكره الواحدى في اسباب النزول وانها

نزلت في شأن سؤال مسألة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : قال الواحدى :
قوله عز وجل :

(١) آية رقم ٢٢ (٢) آية رقم ١٤

(٣) آية رقم ٣٨

* ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب *
قال الحسن وقتادة قالت اليهود ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام
واستراح يوم السابع وهو يوم السبت ويسمونه يوم الراحة . فانزل الله
تعالى هذه الاية :

* ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام * الاية
وقال : اخبرنا احمد بن محمد التميمي قال اخبرنا عبد الله بن محمد بن
جعفر الحافظ قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال اخبرنا قتادة
بن السري قال اخبرنا ابوبكر بن عياش عن ابن سعد البقال عن عكرمة
عن ابن عباس : ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالت عن خلق
السموات والأرض فقال : خلق الله الارض يوم الأحد والاثين وخلق الجبال
يوم الثلاثاء وخلق السموات يوم الاربعاء والخميس وخلق يوم الجمعة النجوم
والشمس والقمر .

قالت اليهود ثم ماذا يا محمد ؟ قال : * ثم استوى على العرش *
قالوا قد أصبت لو اتهمت ثم استراح فنضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا فنزلت :

* ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من
لغوب *

وبمثل ما أورده الواحدي قال الطبري (٢) وقال السيوطي في لباب النقول
في اسباب النزول :

اخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس : ان اليهود

(١) اسباب النزول للواحدي ص ٢٦٦

(٢) تفسير الطبري ج ٢٤ ص ١١١

اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والأثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والمداين والعمران والخراب وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشجر والقمر والطفكة الى ثلاث ساطات يقين منه * فخلق في اول ساعة الاجال حتى يموت من مات * وفي الثانية التي الأفة على كل شىء مما ينفع به الناس * وفي الثالثة خلق آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة *

ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟

قال : ثم استوى على الصرش * قالوا قد اصبحت لو اتممت ثم استراح *

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت :

﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من

لغوب ﴾ * * * *

قلت : وحديث الخلق هذا ذكره مسلم في باب بدىء الخلق (١) ولم

يربده بسؤال اليهود *

ومما تقدم من الروايات في اسباب نزول الآية الكريمة تبين ان سورة

تي مكية باستثناء الآية المتقدمة فالها مدنية *

(١) اسباب النزول للواحدى ص ١٩٩-٢٠٠

صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٤٩ - ٢١٥٠

سورة النجم :

كعبة استثنى فيها قوله تبارك وتعالى :

* والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللصم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الأرض واذا انتم اجنحة في بطون امماتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى * (١)

كما هو في المصحف العثماني . ولقد وجدت الواحدى ذكر لها سببا

للنزول حيث قال :

أخبرنا ابو الشيخ الحافظ قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن الحسين قال اخبرنا احمد بن سعد قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحارث الانصارى قال : كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبى صغير هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود . ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقى اوسعيد . فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية :

* هو اعلم بكم اذ انشأكم من الأرض واذا انتم اجنحة في بطون امماتكم * (٢) الى آخرها

وارد ذلك أيضا السيوطى حيث قال :

اخرج الطبرانى وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ثابت بن الحارث الانصارى . قال كانت اليهود تقول : اذا هلك لهم صبى صغير هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا ويعلم انه شقى اوسعيد .

فأنزل الله عند ذلك هذه الآية . (١)

* هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض *

قلت هذه الآثار الواردة بشأن هذه الآية تدل على أنها مدنية النزول
وعليه فسورة النجم مكية باستثناء هذه الآية - مدنية .

سورة القمر :

هذه السورة مكية كما تقدم في الرواية التي ذكرتها في بحث
السور المتفق على مكيتها . ولقد جاء في المصحف العثماني استثناء لبعض
آياتها هي قوله تعالى :

* أم يقولون نحن جميع منتصر سيزعم الجمع ويولون الدبر . يسئل

الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * (٢)

ولكن الذي رُفقت عليه ان هذه الآيات تبعا لسورتها مكية قد نزلت
في شأن مشركي مكة .
يقول ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله
عندهم : انهم ان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " اكفاركم
معرض قريش خير من اولئك الذين احللت بهم نفقتي من قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وآل فرعون فهم يأملون أن ينجوا من عذابى ونفقتى
على كفرهم وتكذيبهم رسولى . يقول انما انتم فى كفركم بالله وتكذيبكم
رسوله كيمثى هذه الأمم التي وضفت لكم أمرهم وعقوبة الله
بكم نازلة على كفركم به . كالذى نزل بهم ان لم تتوبوا وتنبهوا .

(١) اسباب النزول للسيوطي ص ٢٠١

(٢) الآيات ٤٤ ٤٥ ٤٦

قلت : ان ابن جرير رحمه الله في فهمه لهذه الايات وتفسيره لها انها في شأن مشركى مكة وايد ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : حدثنا ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن نور عن معمر عن ايوب قال لا أعلمه الا عن عكرمة أن عمر قال : لما نزلت * سيهزم الجمع * جمعت أقول اى جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول : * سيهزم الجمع ويولون الدبر * (١)

قلت : يوء يد ما ذهب اليه ابن جرير ما اخرجه البخارى عن عائشة حين قال : حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جرير اخبرهم قال اخبرنى يوسف بن مهران قال انى عند عائشة ام المؤمنين . قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانسى لجارية العبل الساعه موعدهم والساعه ادهى وأمر * (٢)

فهذا النص يوضح زمان نزول هذه الايات وهو بمكة قبل هجرة

النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فان سورة القمر مكتبة كلها .

سورة الواقعة :

هى مكة اجماعا واستثنى فيها قوله تبارك وتعالى :

* افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون * (٣)

(١) تفسير ابن جرير ج ٢٧ ص ٦٤

(٢) البخارى كتاب التفسير ج ٥ ص ١٢٩

(٣) آية رقم ٨١ ، ٨٢

فقد أخرج مسلم في صحيحه قال : حدثني عباس بن عبد العظيم السخيري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثنا ابو رميل قال حدثني ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اصبح من الناس شاكر ومشير كافر . قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا . قال فنزلت هذه الآية :

* فلا أقسم بمواقع النجوم * حتى بلغ * وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون *

قلت : وهذه الحادثة وقعت بالحديبية وهي بعد الهجرة النبوية . وفلك لما أخرجه مسلم نفسه حيث قال في نفس الصفحة :

حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن صالح بن كيسان عن عبد الله بن عتبة عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر السماء - أي بعد المطر - كانت من الليل . فلما انصرف اقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب . (١)

فهذان الحديثان يدلان على أن هذه الآية مدنية النزول ولم يوجد هذا الاستثناء في المصحف المثاني بل اعتمد سورة الواقعة كلها مكية .

سورة ن والقلم :

تقدم ان هذه السورة الكريمة مكتوبة اجماعا • وقد استثنى فيها قوله

تعالى :

* انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقموا لنصرتها مصبحون *

الى قوله * ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يحلمون * (١)

ومن قوله :

* فاصبر لحكم ربك * الى قوله * فجعله من الصالحين * (٢)

وهذا الاستثناء لم أجد له سندا سوى ما ذكره السيوطي في اسباب النزول

حيث قال :

أخرج ابن ابي حاتم عن ابن جريج ان ابا جهل قال يوم

بدر : خذوهم أخذا فاربعوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحدا " فمزلت

* انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة * يقول : في قدرتهم عليهم كما

اقتدرا اصحاب الجنة في الجنة " (٣) ١٠١ هـ

أقول : هذا ما ذكر السيوطي • ولكن ينظر لي والله أعلم - ان

المبتلين هم مشركي مكة والى هذا اشار ابن جرير الطبري حيث قال :

" يعنى قوله تعالى ذكره : * انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة * أى

مشركي قريش يقول امتحناهم فاخبرناهم كما بلونا اصحاب الجنة " (٤)

أما المرحوم سيد قطب فقد قال عند تفسيره لهذه الايات :

فليعلم المشركون أهل مكة انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة •

(٢) الايات ٤٨ الى ٥٠

(١) الايات من ١٧-٣٣

(٣) في اسباب النزول ص ٢١٩

(٤) ج ٢٨ ص ١٩

ولينظروا ماذا وراء الابتلاء ثم ليحذروا ما هو اكبر من ابتلاء الدنيا وعذاب الدنيا • ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون • وكذلك يسوق الى قريش هذه التجربة من واقع البيئته بما هو متداول بينهم من القصص فيربطه بين سنته في الضالين وسنته في الحاضرين • ويلمس قلوبهم باقرب الأساليب الى واقع حياتهم • وفي الوقت ذاته يشعر المؤمن بأن ما يرون على المشركين من كبراء قريش • من اثار النعمة والثروة إنما هو ابتلاء من الله له عواقبه وله نتائجه» (١)

أقول : هذا المتجه في تفسير هذه الآية الكريمة يثبت أن القصة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجو الدعوة الاسلامية في عهدها المكي • وإلى ذلك أميل وأرجح ان هذه الآية تبعا لسورتها مكية النزول •

أما قوله تبارك وتعالى :

﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ الى قوله تعالى ﴿ فاجتبه ربك فجعله من الصالحين ﴾ فاني لم أجد اشرا واحدا يدل على كونها نزلت بالمدينة ثم لانا ألفنا هذا اللون من التوجيه الرباني في أسلوب القرآن في عهده المكي - فالامر بالصبر وتحمل أذى المشركين • وضرب المثل بالرسول السابقين كل ذلك يجعلنا نرجح أن هذه الايات مرتبطة بجو سورتها وهو جو العهد المكي - فالسورة مكية بلا استثناء •

(١) في ظلال القرآن المجلد الثامن ص ٢٣٦

سورة الزمل :

هذه ^{السورة} مكية كما تقدم وقد استثنى فيها آيتان هما قوله

تعالى :

* واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا • وذرنى والمكذبين
أولي النعمة واميلهم قليلا * (١)

كما استثنى فيها أيضا قوله تعالى :

* ان ربك يعلم أنك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه *

الى آخر السورة •

فأما الايتان المتقدمتان فلم أجد ما يؤيد كونهما مدنيتين بل ان

الدليل قائم على ان هاتين الايتين مكيتان تبعا لسورتتهما •

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسيره لهاتين الايتين :

قوله : * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا * يقول تعالى لنبيه

محمد صلى الله عليه وسلم :

اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك وعلى أذاهم واهجرهم

في الله هجرا جميلا واليهجر الجميل هو اليهجر في ذات الله كما قال عز وجل

* واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في

حديث غيره * انتهى ما قاله ابن جرير وهو يرى أن الخطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه من مشركي مكة و ليهجرهم في ذات الله

تعالى هجرا جميلا •••

(١) الايتان رقم ١٠ و ١١ (٢) اية رقم ٢٠ آية رقم ٦٨ سورة الانعام

(٣) ج ٢٨ ص ٨٤

يقول الاستاذ سيد قلب عند تفسيره لهما :

وعلى أية حال فاننا نجد التوجيه الى الصبر بعد التوجيه الى القيام
والذكر . وهما كثيرا ما يقترنان في صدد تزويد القلب بزيادة هذه الدعوة
في طريقها الشاق الطويل سواء طريقها في مسارب الضمير او طريقها
في جهاد المناوئين وكلاهما شاق عسير نجد التوجيه الى
الصبر * فاصبر على ما يقولون * مما يفيض ويخيف . * واهجرهم هجرا
جميلا * لا عتاب معه ولا غضب ولا مشادة .

وكانت هذه هي خطة الدعوة في مكة وبخاصة في أوائلها
كانت مجرد خطاب للقلوب والضمائر ومجرد بلاغ هادئ ومجرد بيان
مثير (١)

قلت : ما تقدم يتبين لنا أن هاتين الايتين تبعا لسورتهم
مكيتان .

واما ما ورد في قوله تبارك وتعالى :

* ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل * الى آخر
الاية هي أنها مدنية كما هو في المصحف . فلم أجد ما يؤيد
ذلك بل ان الذي وجدته لينص على أنها هذه الاية مكية .

فقد أخرج مسلم في صحيحة تحت باب جامع صلاة الليل
ومن نام عنه أو مرض .

قال : حدثنا محمد بن المثنى المنزى - حدثنا محمد بن عدى عن

(١) تفسير في شلال القرآن المجلد الثامن ص ٣٤٨ - ٣٤٩

سعيد عن قتادة عن زرارة أن سعد بن هشام ابن عامر أراد ان يخرزو في
سبيل الله فقدم المدينة فاراد ان يبيع عقاراله بها فيجمله في السلاح
والكراخ - اسم الخيل - ويجاهد الروم حتى يموت -

فلما قدم المدينة لقي اناسا من أهل المدينة فخبروه عن ذلك
واخبروه أن رهبا ستة ارادوا ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فنهياهم
نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال :

" أليس لكم في أسوة " فلما حدثوه بذلك راجع امراته وكان
دلقها واشهد على رجعتها • فأتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فقال ابن عباس ألا ادلك على أعلم أهل الأرض يوتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : من ؟

قال : عائشة • فأتها فاسألها • ثم اتتني فاخبرني بردها
عليك • - أي جوابها -

فاندلقت اليها • فأتيت على حكم بن أفلح - فاستحلفته اليها -
أي دالب منه مرافقته في الذهاب اليها -

فقال : ما انا بقاربها - يعني لا أريد قربها • لأنسى
نريستها أن تقول في هاتين الشيمتين شيئا - أراد بذلك الحروب
التي دارت بين شيعة علي واصحاب الجمل - فأتت فنهيا الاطيها •
قال فاقسمت عليه فجاء • فاندلقتنا الي عائشة فاستأذنا عليها
فأذنت لنا • فدخلنا عليها • فقالت : أحكم ؟ - فصرفته - فقال : نعم

فقالت : من محك ؟

قال : سعد بن هشام •

قالت : من هشام ؟

قال : ابن عامر • فترحمت عليه وقالت خيرا •

قال قتادة :

وكان أصيب يوم أحد فقلت : يا أم المؤمنين انبئيني عن خلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : ألسنت تقرأ القرآن ؟

قلت : بلى قالت : فان خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن

— معناه العمل به والوقوف عند حدوده — ••

قال : فهمت أن اقوم ولا أسأل احدا عن شيء حتى أموت •

ثم بدالى فقلت :

انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقلت : ألسنت تقرأ يا أيها المزمل ؟

قلت : بلى •

قالت تخان الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة • فقام

نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا • وامسك الله خاتمها —

يعنى * ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل * الآية التي

عشر شهرا في السماء حتى انزل الله في آخر هذه السورة التخفيف • فصار

قيام الليل تطوعا بعد الفريضة • الى آخر الحديث (١)

قلت : معلوم ان سورة المزمل من أوائل سور القرآن نزولا بمكة

اعني صدر هذه السورة • وقول عائشة رضی الله عنها : وامسك

الله خاتمها اثني عشر شهرا يسدل على انها ايضا مكينة
النزول تبعا لسورتها • وهذا يدعوني الى القول بأن سورة المزمل
كلها مكية بلا استثناء فيها •

سورة المرسلات :

مكية اجماعا واستثنى منها قوله تعالى :

* واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * (١) كما هو موضح في

المصحف •

ومع ان السورة كلها مكية وهذه الاية المعنية تتكلم في شأن المكذبين

الذين ذكرهم الله تعالى بقوله :

* كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين • واذا

قيل لهم اركعوا لا يركعون • ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده

يؤمنون *

فاني لم أجد ما يؤيد الى انها مدنية النزول • واذا فالاية تبعا

لسورتها مكية •

سورة الماعون :

هذه السورة الكريمة صدرها مكي اي الثلاث آيات الأولى منها

والباقي مدني • فقوله تعالى :

* أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام

المسكين * فهذا مكي وما بقى من السورة فمدني •

فقد ذكر الواحدى في اسباب النزول : سبب نزولها حيث قال : قوله

تعالى :

* أرايت الذى يكذب بالدين *

قال مقاتل والكلبى نزلت في العاص بن وائل السهمى - وقال ابن

جريس كان ابوسفيان ابن حرب ينحركل اسبوع جزورين - فأتاه يتيم

فسأله شيئا فقرعه بحصا . فانزل الله تعالى :

* أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم * (١)

أما آخر السورة فقد قال السيوطى في لباب النقول في اسباب النزول :

اخرج ابن المنذر عن طريقتى من ابى طلحة عن ابن عباس في قوله

* فويل للمصلين *

قال : نزلت في المنافقين كلنا يراؤون المؤمنين بصلاتهم اذا

ما حضروا ويتركونها اذا غابوا وينمونها العارضة . (٢)

ولقد رأيت الأستاذ سيد قطب رحمه الله يعالج هذا الموضوع

علاجا طيبا . يقول :

• هذه السورة مكية في بعض الروايات ومدنية في بعض الروايات .

• الثلاث آيات الأولى مكية والباقيات مدنية . وهذه الأخيرة هي الأرجح .

• وان كانت السورة كلها وحدة متماسكة ذات اتجاه واحد لتقرير حقيقة

كلية من حقائق هذه العقيدة مما يكاد يميل بنا الى اعتبارها مدنية

كلها . • اذ الموضوع الذى تمالجه هو من موضوعات القرآن المدنى .

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٣٠٦

(٢) ص ٢٣٥

وهو في جملة هيمت الى النفاق والرياء مما لم يكن معروفنا في الجماعة
الاسلامية في مكة .

ولكن قبول الروايات القائلة بأنها مكية مدنية لا يتنوع لا احتمال
تنزيل الايات الا ربح الاخيرة في المدينة والحاقيها بالايات الثلاثة الاولى
لمناسبة التشابه والاتصال في الموضوع . (١)

اقول : اعتمادا على الروايات المتقدمة وما قاله المرحوم سيد قطب
فاننى ارجح ان السورة مكية الصدر ومدنية في باقى آياتها -
وبهذا خلصت من بيان الايات المدنية في السور المكية . وتكلمة
للموضوع نبين الايات المكية في السور المدنية فنقول :

الآيات المكية في السور المدنية

وقبل الشروع في بيان الايات المكية في السور المدنية أحب أن
اذكر بانى قد رجحت عند تصريفي للمكى والمدنى الأخذ
باعتبار زمان النزول . ولذا فان آية النساء :

* ان الله يأمركم أن تؤء دوا الأمانات الى أهلها * (٢)

رغم أنها نزلت بمكة عام الفتح الا انى اعتبرها مدنية لأنها
نزلت بعد الهجرة وكذلك آية المائدة :

* اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى * (٣)

(٢) آية رقم ٥٨

(١) المجلد الثامن ص ٦٧٨

(٣) الآية ٣

فهي على ما اخترته من المصطلحات مدنية بالرغم من انها نزلت بمضى
في حجة الوداع .

ذكرت هذا حتى لا يلتبس على القارئ حين لا يجدنى قد تعرضت ل
لهذه الايات ضمن هذا البحث . وعليه فان :

سورة البقرة - آل عمران - والنساء - والمائدة
مدنيات بلا استثناء .

أما سورة الانفال فهي مدنية ولقد استثنى فيها قوله تبارك
وتعالى :

* واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين * الى قوله تعالى :

* ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون * والذين كفروا الى
جهم يحشرون * (١) كما جاء ذلك في المصحف الشريف .

وقد ذكر ذلك من المفسرين ابن جرير الطبري حيث قال :

هذه مكة . قال ابن جريج قال مجاهد هذه مكة (٢) .

قلت : ما ذكره ابن جرير الطبري لم يصل عندي الى حد

القناعة لأنى لم أجد ما يعضد هذا القول .

وعليه فانى أرى ان الايات تبعا لسورتها مدنية .

(١) الايات من ٣٠ - ٣٦

(٢) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٥١

كذلك استثنى من سورة الانفال قوله تعالى :

﴿واذا تتلى عليهم آيتنا قالوا قد سمعنا لونها لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين﴾ (١)

فانها نزلت في النضر بن الحارث : هو الذي كان يجلس لقصص

الاساطير ويقول في القرآن انه اساطير الاولين ولو شئنا لقلنا مثله .

قال ابن جرير : كان النضر بن الحارث يختلف تا جرا الى فارس

فيهربا لعباد وهم يقرءون الانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد

محمد صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه وهو يركع ويسجد فقال النضر

قد سمعنا ، لونها لقلنا مثل هذا للذي سمع من العباد .

فنزلت :

﴿ واذا تتلى عليهم آيتنا قالوا قد سمعنا لونها لقلنا مثل هذا ﴾ .

قال : فقص ربنا ما كانوا قالوا - بمكة (٢)

قوله تعالى :

﴿ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا

حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ﴾ (٣)

قال الواحدى : قال اهل التفسير : نزلت في النضر بن الحارث

وهو الذي قال : ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء (٤)

وقد يكون القائل النضر أو غيره من رؤوس الشرك في مكة . ذلك أنه

وردت رواية أخرى : أنها نزلت في أبي جهل وأنه هو

(٢) ج ١ ص ١٥١

(١) آية رقم ٣١

(٣) آية ٣٣ (٤) اسباب النزول للواحدى ص ١٥٨

القائل : ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء • فقد قال الواحدى :

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر قال : أخبرنا محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم قال حدثنا محمد بن يعقوب الشيباني قال حدثنا احمد
بن النضر بن عبد الوهاب قال حدثنا عبيد الله ابن معاذ قال حدثنا
أبى قال حدثنا شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادة أنه سمع
أنس بن مالك يقول :

قال ابو جهيل : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بمذاب أليم •
فنزل :

* وما كان الله ليمذبهم وائت فيهم وما كان الله ليمذبهم وهم
يستغفرون * (١)

قلت : يظهر لى أن قوله تعالى :

* اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء *

هي قول المشركين سواء كان ذلك القائل هو النضر بن الحارث أو ابو جهيل
أو معهما غيرهما فان الله تعالى قد ذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم مذكرا اياه بما كان عليه القوم ، ولا يبعد أن يكون هذا التذكير
بقولهم قد نزل في المدينة •

أما قوله تعالى :

* وما كان الله ليمذبهم وائت فيهم * فهو رد على مقاتلهم التي قالوها
عن عمى وعناد وهذه تكون قد حدثت وقت قولهم في مكة

فسورة الانفال مدنية باستثناء قوله تعالى :

﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم

يستنفرون ﴾

وقد كدت اعتقد هذا المعتقد لما وجدت ذكر بعض المفسرين

له • غير أني وجدت في سنن الترمذي كتاب التفسير • يقول :

حدثنا سفيان بن وكيع • حدثنا بن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم

بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه •

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انزل الله علي أمانيين

لأمتي •

﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم

يستنفرون ﴾

إذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة " (١)

قال الترمذي : هذا حديث غريب واسماعيل بن مهاجر يضعف

في الحديث •

وبناء على ما تقدم فاني أرى ان هذه الايات التي دار حولها الحديث

بأنها مكية لا يبعد أن تكون مدنية وقد قص الله تعالى على نبيه ما كان

عليه التوم في مكة مذكرا اياه بحالهم •

وان هذه الايات تبعا لسورتها مدنية هذا ما أميل اليه لعدم وجود

دليل قاطع يبرهن على مكية هذه الايات •

سورة التوبة :

ورد انهما مدينة اجماعا كما تقدم • ووجدت استثناء للآيتين الاخيرتين

فيهما قوله تعالى :

* لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم • فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه

توكلت وهو رب العرش العظيم * (١)

هذا وبالبحث عن دليل يوءد ذلك لم أجده مما جعلني اعتبر

هاتين الآيتين تبعا لسورتيهما مدنيتان •

لكنني وجدت أن قوله تبارك وتعالى :

* ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا

أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم * (٢)

قد نزل بمكة في شأن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لجمعه

ابي طالب •

فقد جاء في صحيح البخارى كتاب التفسير قوله :

حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق اخبرنا محمد عن الزهري عن ابن

المسيب أن ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم

وعنده ابو جهيل فقال : أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها

عند الله • فقال ابو جهيل وعبد الله بن ابي أمية يا ابا طالب ترغب عن ملية

عبد المطلب • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استغفرن لك ما لم أنهه

عني فنزلت * ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى

قربي من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم * (٣)

فهذه الرواية تدل على أن هذه الآية مكية النزول - وقد ذكر أيضا ذلك السيوطي في باب النقل (١) في أسباب النزول ولم يذكر ذلك الاستثناء لهذه الآية في المصحف، هذا ما ظهر لي من وجود آيات مكيات في سور مدنية .

ان وجود آية أو آيات مكية في سور مدنية ووجود آية أو آيات مدنية في سور مكية هو ضرب من الاعجاز ، حيث ان التالي لكتاب الله تعالى لا يجد تناقرا في السورة مع عناصرها المتعددة المختلفة نزولا . ولا يحس بفارق بين الايات رغم تباعد زمان النزول .

فلولم يكن القرآن من عند الله لكان الامر غير ذلك وصدق الله العظيم القائل :

* افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا * (٢)

(١) ص ١٢٦

(٢) آية رقم ٨٣ من سورة النساء .

المبحث السادس

التشريع في العهد المكي

هل في العهد المكي تشريع ؟

كثيرا ما طرح هذا السؤال عند العلماء وهم يكتبون في تاريخ التشريع أو يفسرون كتاب الله تعالى وبخاصة عندما يواجهون آيات مكية تتكلم صراحة أو ضمنا عن احكام تشريعية . وذلك أن الحكومة الاسلامية بمناها شامل ما قامت الا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة . وصحب ذلك القدرة على تنفيذ الأحكام .

ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمكة بمكة المكرمة - بعد

البعثة - ثلاثة عشرة عاما يدعو الى الله تعالى .

وكان سلاحه الذي يتحرك به ومن خلاله هو القرآن الكريم

- وأكرم به من سلاح - ينزل عليه فيدعوه - ويحمل ما استعصى

من مشكلات الحياة اليومية التي يحياها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن

شيءه من المؤمنيين . وكان في كل هذه المدة مركزا جهوده وجهود من

معه على ترسيخ العقيدة الاسلامية ومبادئها وما يتصل بها من سلوك

واخلاق وذلك لبناء الجماعة المسلمة التي قامت على اكتافها - فيما

بعد - الدولة الاسلامية .

اخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة فمكث

ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة الى المدينة فمكث بها عشر

سنتين ثم توفى صلى الله عليه وسلم " (١)

وفي صحيح مسلم - كتاب الفضائل قال :

حدثنا اسحق بن ابراهيم وهارون بن عبد الله عن روح ابن عباد -
حدثنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس : ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكث بكة ثلاث عشرة سنة وتوفى وهو ابن
ثلاث وستين . (٢)

وكانت الجماعة المسلمة تعيش وسط جو مشحون بالشرك والوثنية
فكان القرآن ينزل داعيا الى وحدانية الله تعالى ، والابتعاد عن
الشرك والمشركاة .

فاذا كان المراد بالتشريع في هذا العهد التشريع التفصيلي
للمبادات والمعاملات وشئون الحرب والسلم وكيان الاسرة وما يتعلق
بها فهذا ما لم يتوفر له الجو في العهد المكي ، واما ان كان
المراد بالتشريع ارساء قواعد الاخلاق والسلوك ووضع الاسس العامة
فهذا موجود في تلك الحقبة من تاريخ الدعوة الاسلامية .

يقول الشيخ محمد الخضري :

آيات المكي ليس فيها شيء من التشريع التفصيلي بل معظم
ما جاء فيها يرجع الى المقصد الاول من الدين وهو توحيد الله

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٥٦

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٨٢٦

سبحانه وتعالى واقامة البراهين على وجوده والتحذير من عذابه
ووصف يوم الدين وأهواله ونعيمه والحث على مكارم الاخلاق التي
بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكملها . ثم ضرب الامثال بما اصاب
الأمم الماضية حينما خالفت ما دعاها اليه انبياءها . أما
التشريع التفصيلي فمعظمه وارد في الايات المدنية " (١)

أقول : ان الاستجابة للأوامر والنواهي الالهية تتطلب ايماننا
بالله تعالى وبرسوله الذي أرسله وبالقرآن الذي انزل عليه . والقوم
في هذه الفترة يشركون بالله ويكذبون رسوله ومن ثم لا يصدقون
بالقرآن الذي ينزل عليه .

ولذلك كانت المجادلات والاسئلة التمهيزية تصدر عنهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من وقت لآخر : فمن ذلك ما قصه علينا الله
تبارك وتعالى في سورة الاسراء :

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا او تكون
لك جنة من نخيل وعناب فتفجر الانهار خلالها تفيجيرا أو تسقط
السماء كما زعمت كسفا أو تاتي بالله والملئكة قليلا أو يكون
لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ (٢)

جاء في حاشية الجمل (٣) على الجالين :

(١) تاريخ التشريع ص ١٤

(٢) اية رقم ٩٣

(٣) هو الشيخ سليمان بن عمر المجيلي الشافعي الشهير بالجمل ت ١٢٠٤ هـ

قال عبدالله بن أمية وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة لا
او من بك ابدًا حتى تتخذ سلما الى السماء ترفى فيه وأنا ننظر اليك
حتى تأتينا • فتأتى بنسخة مشورة معك وينفر من الملكة يشهدون
لك بما تقول • فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم حزينا لما
رأى من تباعدهم عن الهدى فانزل الله عز وجل تسلية لرسوله
* وقالوا لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا • • * (١)

قلت : ان هذه الايات تبرز في وضوح عجز هؤلاء القوم وقصور
ادراكهم عن الارتفاع الى مستوى الرسالة السماوية • وتدل على تعنت سادج
منهم وتبجح في حق الله تعالى بلا أدب ولا تحرج • فلو كانوا
حقا يطلبون ما يتنصرون حتى يوءموا لالتمسوا ذلك في القرآن الكريم
وهو المعجزة الخارقة الباقية التي لم يستطيعوا ان يأتوا بمثليها •
ولن يستطيعوا ذلك • • • ولو تدبروا قليلا لما علقوا ايمانهم بتحقيق
تلك المقترحات • وغاب عنهم ان الرسول بشر • وان الخوارق ليست
من صنعه وليس من شأنه ان يطلبها من ربه ولا أن يقترح عليه
ولا يتزبد فيما كلف به • بل يخضع عند حدود البشرية وأدب
الرسالة - فيضعه ذلك من ان يقترح على الله عز وجل :

* قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا *

هذه صورة من الجو الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم
بمكة يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة • مركزا الجهد في تشييت

عقيدة التوحيد ولهذا كان المحور الذي تدور حوله الدعوة هو
العقيدة وما يتصل بها .

يقول الشيخ محمد ابوزهرة رحمه الله :

لم يكن في الايات المكية أحكام للمعاملات وان كان فيها اشارات
للمحرمات كالخمرة والربا فقد قال تعالى مشيرا الى ان الخمرة أمر
غير حسن :

* ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا ورزقا حسنا ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون * (١)

فان هذا النص الكريم يشير الى ان الخمرة ليست امرا حسنا
لأنه سبحانه وتعالى جعلها مقابلة للامر الحسن ولا يقابل الحسن
الا القبيح ، وأعلى الأقل الأمر غير الحسن .

ولقد جاء أيضا في سورة الروم ما يشير الى أن الربا امر غير
مستحسن فقد قال تعالى في سورة الروم :

* وما أوتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله
وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون * (٢)

ثم يقول الشيخ ابوزهرة :

وان عدم وجود معاملات في مكة سببه أن الدولة التي كانت قائمة
كانت دولة شرك (٣) وان من المستحيل أن تمنع أحكام المعاملات الاسلامية

(١) اية رقم ٧ سورة النحل (٢) اية رقم ٣٩ سورة الروم

(٣) يعنى بذلك ان السلطة القائمة كانت سلطة جاهلية فتسميتها دولة
تسمية مجازية

في ظلها •

وكان الاتجاه الاول الى اخراجها من الشرك وادخالها في التوحيد
أولا • ثم بعد ذلك تكون الدولة الاسلامية المنقذة • ولكن المحرمات
كانت ثابتة من أول تشريع الاسلام وان كان مسكوتا عنها فلم تكن
موضع اباحة بل كانت موضع سكوت وعفو كما يقول علماء الاصول :
حتى اذا كان المنع الصريح في المدينة كان معه العقاب • وهكذا
كلما كان مسكوتا عنه لم يكن موضع اباحة " (١)

قلت : ان ما ورد ذكره من المحرمات في الصيد المكي على
سبيل المثال : ما ذبح من غير ذكر اسم الله عليه • فقد جاء في
سورة الانعام :

* فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين وما لكم
الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما
اضطرتتم اليه • وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك
هو أعلم بالمعتدين • وذروا ظاهر الاثم وما طنه ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يفترون • ولا تأكلوا مما لم يذكر له اسم الله
عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الي اولها ثم لهم ليجادلوكم وان
اطعتموهم انكم لمشركون * (٢)

فهذه الايات مكيات وقد جاءت بتشريع واضح يبين ما يباح
أكله وما نهى عن الأكل منه • فقد أباحت الأكل من الذبيحة

(١) كتاب المعجزة الكبرى ص ٢٤-٢٥

(٢) الايات رقم ١١٢ ١١١٥ من سورة الانعام

التي ذكر اسم الله عليها حيث تزكيتها ونهيت عن أكل ما لم يذكر
اسم الله عليها • كما كان يفعل كفار قريش • وقد كانوا يقولون :
تاكلون مما تذبحون - ولا ناكل مما يذبح الله - يعنون بذلك
الميتة •

وهذا التشريع مرتبط بأمر العقيدة لأن التحريم والتحليل
من الله سبحانه وتعالى وبأمره وحده ولذا حذر عباده من التسلط على
هذا الحق :

﴿ ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
لتفتروا على الله الكذب ﴾ (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الايات :

هذه اباحة من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح
ما ذكر عليه اسم الله • ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه/ كما
يستبيحه كفار قريش من اكل الميتات واكل ما ذبح على النصب (٢)
وغيرها ثم ندب الى الاكل مما ذكر اسم الله عليه فقال :

﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم
ما حرم عليكم ﴾ (٣)

(١) آية رقم ١١٦ سورة النحل

(٢) النصب بوزن الصرب ما نصب فمبد من دون الله •

(٣) آية رقم ١١٩

ومما ورد في سبب نزول هذه الايات ما اخرجہ الترمذی حيث

قال :

حدثنا محمد بن موسى البصرى الحرشى قال حدثنا زياد بن عبد
الله البكائى حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن عبد الله
بن عباس قال : أتى اناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول
الله أتاكل ما نقتل ولا تأكل ما يقتل الله • فانزل الله :

* فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين السى
قوله وان اطعموهم انكم مشركون * (١)

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب •

وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس
ايضا - وروى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله
عليه وسلم مرسلًا • فهذا حكم تشريعى في آيات مكية • وذلك لما
قدمنا من أن له صلة لا تنفك عن العقيدة •

يقول القرطبى فى الجامع لاحكام القرآن فى تفسير قوله تعالى :

* وان اطعموهم انكم لمشركون * :

فدلت الآية على ان من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى
صار به مشركاً • وقد حرم الله تعالى الميتة نصاً فاذا قيل تحليلها
من غيره فقد اشرك •

قال ابن العربي :

انما يكون المؤمن من بطاعة المشرك مشركاً اذا اطاعه فى الاعتقاد

أما إذا اطاعه وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو
عاصي . . . » (١) ١٠١ هـ

ويؤيد ذلك قوله تعالى :

﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوا لهم أولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون ﴾ (٢)

فان من اتخذ كافرا ولما ليس بموؤ من اذا اعتقد اعتقاد ذلك
الكافر - وهذا ما أشار اليه القرطبي نفسه حين قال :

على أن من اتخذ كافرا ولما فليس بموؤ من اذا اعتقد اعتقاده ورضى
انعماله » (٣)

فالتشريح في هذه الفترة تشريح ذو صلة مباشرة بالمقيدة .
والاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الايات
قال :

ولما كانت هذه النصوص تواجه قضية حاضرة اذ ذاك في البيئة
حين كان المشركون يمتنعون من ذبائح أهلها الله ويحلون ذبائح حرمها
الله ويزعمون ان هذا هو شرع الله . فان السياق يفصل في أمر
هؤلاء المشترعين المفترين على الله فيقرر أنهم انما يشرعون
بأهوائهم بخير علم ولا اتباع - ويضلون الناس بما يشرعونهم
لهم من عند انفسهم .

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٧ ص ٢٧-٢٨

(٢) آية رقم ٨١ سورة المائدة

(٣) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٥٤

ويعتدون على الوهية الله وحاكيتهم بمزاوتهم لخصائص الالوهية
وهم عبيد . " (١) ا.هـ

فرضية الصلاة :

ومن التشريعات التي نزلت في المهدي المكي : فرضية الصلاة .

فقد أجمعت الأمة على انها فرضت بمكة في ليلة الاسراء والمعراج . جاء

في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر : في باب المعراج -
وذكر حديث المعراج الطويل وجاء فيه :

ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم . فرجعت فمررت على

موسى فقال بم أمرت ؟ قال امرت بخمسين صلاة كل يوم . قال ان

امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم . واني والله قد جريت الناس قبلك

وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فما سألته

التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشرة . فرجعت الى موسى فقال مثله

فرجعت فوضع عنى عشرة + فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع

عنى عشرة . فرجعت الى موسى فقال مثله . فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل

يوم - . فرجعت فقال مثله . فرجعت فأمرت بخمسين صلوات كل يوم فرجعت

الى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت أمرت بخمسين صلوات كل يوم . قال ان امتك

لا تستطيع خمسين صلوات كل يوم واني قد جريت الناس قبلك وعالجت

بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف

(١) في ظلال القرآن الكريم ج ٨ ص ٣٦٩

لأنتك • قال سألت ربي حتى استحيت - ولكنى أرض وأسلم •
قال فلما جاوزت نادى مناد " أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى " (١)

فهذا الحديث قد بين زمان فرضية الصلاة وهو ليلة الاسراء والمعراج
قبل الهجرة النبوية • والقرآن الكريم في عهده المكي قد تكلم كثيرا في
الأمر بالصلاة وأكد ذلك في العهد المدني • فحينما ننظر الى السور
المكية نجدها قد بسطت الكلام في هذا الموضوع • وما ذلك
الا لأهمية الصلاة ولا غرابة في ذلك فهي الركن الثاني من اركان الاسلام
الخمسة • وهي بعد الشهادتين والصلة بين العبد وربيه فمن ذلك
ما جاء في سورة الاسراء :

* اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر
ان قرآن الفجر كان مشهودا * (٢)

وهي أمر باقامة الصلوات المكتوبات وعلى ذلك جمهور المفسرين •
ودلوك الشمس هو زوالها • وغسق الليل ظلامه • وقد أخذ من هذا
الظهير والعصر والمنرب والمشاء •

أما صلاة الصبح فقد أخذت من قوله تعالى :

* وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا *

وبينت ذلك السنة النبوية المطهرة • ففي صحيح البخارى

كتاب التفسير :

* ان قرآن الفجر كان مشهودا * قال مجاهد صلاة الفجر •

(١) فتح البارى ج ٧ ص ٢٠٢

(٢) آية رقم ٧٨

قال حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الوزاق اخبرنا معمر عن
الزهري عن ابي سلمة وابن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال :

فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع
ملكته الليل وملكته النهار في صلاة الصبح .

يقول أبو هريرة : اقرؤا ان شئتم * وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا * (١)

والشوكاني في فتح القدير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة
يقول :

لما ذكر سبحانه الالهيات والمعاد والجزاء ارد فيها بذكر
أشرف الطاعات وهي الصلاة فقال :

* اقم الصلاة لدلوك الشمس *

وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية المراد بها المفروضة (٢)

قلت : ويفهم من الآية الكريمة أن الأمر فيها للنبي صلى
الله عليه وسلم ولأئمة . لكن رأيت الأستاذ سيد قطب رحمه الله
يفهم فيها أنها خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يقول في
الجزء الخامس عشر :

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٠٨

(٢) فتح القدير ج ٣ ص ٢٥٠

والأمر هنا للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة . أما الصلوات المكتوبة فلها أوقاتها التي تواترت بها احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

أقول : بما تقدم بيانه في صدر هذا الموضوع وتفسير أبى هريرة رضى الله عنه للآية المذكورة فانى أميل الى أن المراد منها هي الصلوات المفروضة .

ومن ذلك ما جاء في سورة ابراهيم :

* قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال * (٢)

وفي سورة طه :

* وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والمعاقبة للتقوى * (٣)

وفي سورة العنكبوت :

* اتل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون * (٤)

وفي سورة الانعام :

وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون * (٥)

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٣ (٢) آية رقم ٣١

(٣) آية رقم ١٣٢ (٤) آية رقم ٤٥

(٥) آية رقم ٧٢

هذه أمثلة لما ورد في السور المكية من الأمر بالصلاة • وإنما سقت هذا التأكيد ما اجمع على فرضيته في مكة قبل الهجرة ولقد بينت السنة النبوية المطهرة كل ما يتعلق بالصلاة من أحكام •

الزكاة :

لقد ذكرت في صدر هذا البحث أن السفرة المكية اهتمت باعداد الفرد والجماعة واخذهم بالتربية من كل جانب من جوانب الحياة • وذلك بتصحيح العقيدة وتسليم المرء نفسه لله تبارك وتعالى •

ولما كان المال يشكل جانبا حيا في حياة الانسان • وأنه يتوقف عليه التعامل بين الناس وبالتالي فهو عصب الحياة • كان حيب الانسان له حبا جما • وهذه المكانة للمال جعلته شقيق الروح • لذلك نجد كثيرا من الايات المكية تناولت كيفية تعامل المسلم مع المال • لأن الدارس لتاريخ الدعوة الاسلامية في عهدها المكي يجد ان الكثرة الغالبة من المؤمنين هم من رقيت الحال من الناحية المادية • ولما كان الأمر كذلك فانا نجد كثيرا من الايات تحض على اطعام المساكين وعلى دفع المال لهم وفي ذلك ما فيه من التعاون على البر والتقوى •

ففي سورة المدثر مثلا وهي من أوائل اسور القرآن نزولا نجد

قوله تعالى :

✳ كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى

أثانا البقيس * (١)

فكان عدم اطعامهم المساكين سببا من أسباب هلاكهم *

وفي سورة الحاقة ، نجد مشهد الذي لم يفتن عنه ماله لأنه

لم يوظفه الحمل الخير والفلاح فكان ان اورده مورد الهلاك :

* وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتي كتابه

ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماله هلك

عني سلطانيه * خذوه فخلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها

سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على

اطعام المسكين * (٢)

وهؤلاء المتقون المضمون في الجنة من ابرز صفاتهم أنهم جعلوا

من مالهم حقا للسائل والمحروم يقول الله تعالى في سورة الذاريات :

* وفي أموالهم حق للسائل والمحروم * (٣)

وأعيد هذا النص في سورة المعارج قال تعالى :

* الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم

حق معلوم للسائل والمحروم * (٤)

وفي سورة الاسراء :

* وآتى ذاك القريبى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذرا

تبذرا * (٥)

(١) آية رقم ٢٨-٢٧ سورة المؤمن (٢) آية رقم ٢٤-٣٤ - الحاقة

(٣) آية رقم ١٩ (٤) آية رقم ٢٢-٢٥ (٥) آية رقم ٢٦

وفى سورة الروم :

* فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجهه الله * (١)

بهذه الآيات ومثيلاتها غرس القرآن الكريم في عمده المكى روح البذل والعطاء في نفوس المؤمنين .

وقد اختلف العلماء في تاريخ تشريع الزكاة هل كانت بمكة أو بالمدينة ؟

فقال قوم فرضت بمكة مستدلين بآية الانعام وهي قوله تعالى :

* وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة كلوا من ثمره اذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين * (٢)

فقوله تعالى * وأتوا حقه يوم حصاده * أمر باخراج الزكاة .

ففى كتاب الجامع لأحكام القرآن لابي عبد الله القرطبي نجده يقول :

اختلف الناس حول تفسير هذا الحق ما هو ؟ فقال أنس بن مالك وابن عباس وطاوس والحسن وابن زيد وابن الحنفية والضحاك وسعيد بن المسيب هي الزكاة المفروضة . رواه ابن ابي وهب وابن القاسم عن مالك فى تفسير الزكاة وبه قال بعض اصحاب الشافعى . . . ثم قال القرطبي :

وقال على بن الحسين وعطاء والحكم وحماد وسعيد بن جبير ومجاهد هو :

حق في المال سوى الزكاة امر الله به ندباً .

وروي عن ابن عمر ومحمد بن الحنفية ايضاً ورواه ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر القرطبي قولاً ثالثاً فقال :
هو منسوخ بآية الزكاة لأن هذه السورة مكية وآية الزكاة لم تنزل
الا بالمدينة :

* خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بيها *

وقوله :

* وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * (١)

أقول : يظهر لي والله أعلم أن أصل فرضية الزكاة كان بمكة
لكن الزكاة ذات المقادير بتقسيماتها ومكان اخراجها هذه لم تكن
الا في المدينة .

وابن كثير في تفسيره لصدر سورة المؤمن يقول : عند قول
الله تعالى :

* والذين هم للزكاة فاعلون *

الأكثرون على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية
مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة .

ثم يقول : والظاهر أن التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب
والمقادير الخاصة . والا فالظاهر ان أصل الزكاة كان واجبا بمكة
قال تعالى : في سورة الانعام وهي مكية :
* وآتوا حقه يوم حصاده *

(١) تفسير القرطبي ج٧ ص ٩٩ - ١٠٠

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك
والدنس كقوله :

﴿ قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها ﴾ (١)

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب الزكاة موقفاً بين الآيات
القرآنية التي تأمر بأداء الزكاة والتي اجتمعت على أنها نزلت بمكة قبل
الهجرة وبين قول من قال أنها فرضت بعد الهجرة مستدلاً بآيات
التوبة وغيرها من الآيات المدنية . يقول القرضاوي :

إذا كان إيتاء الزكاة من الأوصاف الأساسية للمؤمنين والمفلحين .
وتركيها من الأوصاف اللازمة للمشركين فدل ذلك على الوجوب . إذ
التحلى بصفات المؤمن والخروج عن خصائص المشركين أمر واجب لا
نزاع فيه .

يضاف إلى ذلك الأمر في قوله تعالى :

﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾

لكن المعروف في تاريخ التشريع الإسلامي أن الزكاة فرضت في
المدينة . فكيف يتفق هذا وذكر القرآن لها في آيات كثيرة من
سور مكية ؟ يجيب القرضاوي :

إن الزكاة التي ذكرت في القرآن المكي لم تكن هي بعينها
التي شرعت في المدينة وحددت نصابها ومقاديرها وأرسل السعاة
لجبايتها وصرفها وأصبحت الدولة مسئولة عن تنظيمها والزكاة في
مكة كانت زكاة مطلقاً من القيود والحدود كانت موكولة لأماكن

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(١)
الأفراد وأريحيتهم وشعورهم بواجب الأخوة نحو إخوانهم من المؤمنين .
مما تقدم يظهر أن أصل فرض الزكاة كان بمكة أما تحديد الزكاة
ذات المقادير وتحديد من تؤخذ منهم ومن تصرف إليهم فهذه لم تفرض
إلا بعد الهجرة النبوية وفي الفترة المكية نجد اهتماما كبيرا بتربية
الأخلاق وقواعد السلوك وأن هذا الجانب قد شغل مساحة كبيرة في
السور والآيات المكية . وذلك لا ريب إلا بالأخلاق بالعقيدة .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز وهو يتكلم عن دستور الأخلاق
في الإسلام :

” ومن المعلوم أن القرآن الذي يقوم في هذا النظم بالدور الرئيسي
لم يجرى إلى الناس كتابا جملة واحدة على نحو ما نراه اليوم
فقد ظهر بعكس ذلك نجوما متفاوتة في كمها خلال نصف وعشرين
عاما تنقسم إلى مرحلتين متساويتين تقريبا :

المرحلة المكية

والمرحلة المدنية

ومن اليسير ملاحظة أن الآيات التي نزلت في المرحلة الأولى كان موضوعها
الأساس دعم الإيمان وتثبيت المبادئ والقواعد العامة للسلوك وأن ما
سوى تعاليم الصلاة والمعاش - وهو تطبيق هذه القواعد العملية على حلول
المشكلات الخاصة الأخلاقية والشرعية كان كله تقريبا مقصورا على المرحلة
الثانية

ومن هذا الوجه نستطيع أن نقول :

ان المرحلة المكبية كانت في مجموعها نوعا من الاعداد ولكن التطبيقات المقدرة والمحددة لهذه القواعد العامة قد توزعت بصورة متفاوتة على عشر سنوات .

لذلك نستطيع القول بأن كل أمر جديد كان ينشئ في مجال التكليف تقدا بالنسبة الى الحالة السابقة ونقطة انطلاق بالنسبة الى الحالة اللاحقة . . . ثم يقول :

انه ليكفي أن نلاحظ هذه المجموعة من الاوامر المنفصلة بعضها عن بعض بمراحل متفاوتة طولا وقصرا لكي نقف على ان منها ترويا بلخ الذروة في قيمته وذلك بغض النظر عن اسباب النزول التي تفسر وتصوغ اقرار كل واجب جديد . حسبنا ان تخيل ما كان يمكن ان يحدث لو أن هذه الكثرة من الواجبات المتعلقة بجميع جوانب الحياة قد فرضت مرة واحدة وبصورة شاملة . أما وهي قد وزعت على هذا النحو فان النفوس جميعا قد تهيئتها بارتياح كامل حتى كأنها كانت تزداد قوة واستعدادا كلما كانت تمارس واجبا منها " ١٠ هـ (١)

قلت : وهذا ضرب من الاعجاز التشريعي لأنه صادر عن أحكم الحاكمين وهو الذي عجز كفار قريش عن ادراك الحكمة في تنزيل القرآن منجما ولم ينزل جملة واحدة . . .

(١) دستور الاخلاق في القرآن ص ٨٦ ط دار البحوث العلمية بيروت

كما كان ذلك بالنسبة للكتب السماوية الاخرى ، وقد اثاروها شبهة

كما حكى الله تعالى عنهم :

﴿ وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ؟ ﴾

فكان الجواب :

ورتلناه ترتيلا
﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ (١)

وفي هذه النثرة وضمت اللجنة الاولى لنظام الأسرة باعتبارها القاعدة الاساسية للمجتمع . فحيث لم يكن تشريع تفصيلي لنظام الاسرة كالزواج والطلاق وحقوق الزوجية وواجباتها وحقوق الابناء وما يتعلق بذلك فقد عرض لهذا الموضوع من الجانب الذي يمس العقيدة وبحض الانسان على التفكير والتأمل في حكمة الله البالغة التي ربطت بين نفسين حتى لتكاد تجعلهما نفسا واحده . وجعل ذلك آية من آيات الله التي يجب التفكير فيها لانه الطريق الصحيح للايمان بالله يقول الله عز وجل في سورة الروم :

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل

بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ﴾ (٢)

اما تفصيل ذلك مثل الحقوق والواجبات فقد تم في العهد المدني

حتى انا نجد سورا باكملها تناقش تلك القضايا مثل ذلك سورة النساء

والطلاق كما نجد ذلك مبسوطا في سورة البقرة والنور والاحزاب

والمجادلة وكلها سور مدنية .

(١) آية رقم ٣٦ سورة الفرقان

(٢) آية رقم ٢١

وفي العهد المكي أمر الله بالعدل والاحسان وصله القربى
بين الناس ونهى عن الوقوع في الفحشاء والمنكر • وبغى الناس
بعضهم على بعض ولتدبر آية سورة النحل :

* ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون * (١)

كما أمر بالوفاء بالعهد وعدم نقضه بغية الغدر بالطرف
الاخر والحال أن الله شهيد على عقد العهد بين طرفيه :

(٢) * ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا *

فهذه الايات البينات قد تناولت على مختلف معانيها مبادئ ثابتة

لا تتغير بتغير الزمان والمكان • لانها اساس المجتمع السليم • العدل •

الاحسان وصله القربى والنهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن •

لان ذلك النهى عنه ما ظهر في مجتمع الا كان وبالا عليه

ودمارا •

ولقد ذكر الله كثيرا من صور الهلاك الذى حدث بسبب ما ارتكبه

الناس من المنكرات :

* ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من

كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذا قتها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا

يصنعون * (٣)

(١) آية رقم ٩٠

(٢) آية رقم ١١٢ سورة النحل

(٣) آية رقم ٩١

وفي سورة الاسراء يقول الله جل وعلا :

﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ (١)

كذلك أمرت آيات سورة النحل : بالوفاء بالعهد الذي هو أساس الثقة والطمأنينة بين الناس افرادا وجماعات .

حق الوالدين :

كذلك وفي هذه الفترة من التوجيه الالهي بالقيام بحق الوالدين والاخلاص لهما وطاعتهما في المعروف . لأنهما اللذان تسببا في وجود الولد - المراد به هنا الذكر والانثى - ونلاحظ هذه الوصايا الالهية في عدة سور مكية : منها الاسراء ولقمان والأحقاف .

ففي سورة الاسراء :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (٢)

فقد جاء الأمر هنا بالقيام بحق الوالدين عقب الامر بتوحيد الله وحصر العبادة له وحده جل وعلا . وما ذلك الا لمكانة الوالدين عند الله تعالى .

(١) آية رقم ١٦

(٢) الايات رقم ٢٣ و ٢٤

وفي سورة لقمان يقول عز وجل :

* ووصينا الانسان بوالديه احسانا وهو على هدى ونور . فاحسبوا انهم
في علمين ان اشكرلى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على ان
تشرى بي ما ليس لك به علم . فلاتطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا . واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم
تعملون * (١)

تحض هاتان الآيتان على بر الوالدين وتذكر بما تلاقيه الأم
من التعب والمشقة حالة الحمل واثاء الطلق وما يتبع ذلك من رضاعة
وعناية وسهر على راحة المولود . فكان لا بد من حفظ الجليل
لهما .

ولما كانت طاعة الوالدين واجبة فقد حدد القرآن الكريم
المساحة تكون فيها لهما طاعة الوالدين فلاتتعداها . وهى
الطاعة في المعروف . اما ان خرجت عن هذا النطاق الى معصية
الله والشرك به . فلا . لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(وأمر تعالى بشكرهما بعد شكره مباشرة كما أمر بالاحسان
اليهما بعد ما نهى عن عبادة غيره معه جل وعلا في سورة
الاسراء الآتفة الذكر . والشكر لهما يكون ببرهما والقيام بشئونهما حال
حياتهما كما يكون بالدعاء وعمل كل خير لهما بعد موتهما .

يقول الشيخ الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين في تعليقه على

قوله تعالى :

* أن اشكر لي ولوالديك * الآية .

قال : قال سفهان بن عيينه من صلى الصلوات الخمس فقد شكر
الله تعالى . ومن دعا للوالدين في الصلوات الخمس فقد شكر
للوالدين (١)

كذلك ذكر الاحسان الى الوالدين في سورة الاحقاف :

يقول الله تبارك وتعالى :

* ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون . اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون .
وصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي انى تبنت اليك
وانى من المسلمين * (٢)

فهذه الايات البنات وضعت اساسا اخلاقية عامة مرتبطة

ارتباطا وثيقا بالمعقبة/ اذا استقر الامر وقامت الدولة الاسلامية كانت

التشريعات الفرعية التي تحفظ وتنظم شؤون الاسرة . وترى حقوق

الوالدين والاولاد - كما ذكر ذلك مفصلا في سورة البقرة والنساء والنور (٥)

(١) تفسير الجلالين حاشية الجمل ج ٣ ص ٤٠٥

(٢) الايات رقم ١٢-١٥ (٣) اية رقم ٣٣

(٤) الايات من ٧-١٣ (٥) الاية رقم ٥٨-٥٩

الباب الثاني

في

المقصد الأول من مقاصد سور المكية وهو
إثبات التوحيد وإبطال الشرك وأدلة ذلك

الباب الثاني

في المقصد الأول من مقاصد السور والآيات المكية

وهوايات توحيد الله
وابطال الشرك وأدلة ذلك
وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

في الدعوة إلى توحيد الله تعالى

ان من أهم الموضوعات التي قصدت السور المكية إلى معالجتها • هو موضوع
توحيد الله تعالى ونفي الشرك والشركاء •

فقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ،
في مجتمع جاهلي بمدت الشقة بينه وبين الوحي الالهي ان لم
تكن انقطعت تماما • فعبد المخلوق دون الخالق ، وأهمل العقل
فاتبع الناس ما وجدوا عليه الآباء والاجداد في انحراف العقيدة وطمس
الفطرة السليمة • فقالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم :

* انا وجدنا آباءنا على أمة (١) وانا على آثارهم مهتدون *

(١) أي على دين - واصل الامة الطريقة التي تؤم - أي تقصد •

” وللم حجة عندهم على صحة اتباعهم • عقلية ولا نقلية • وإنما
جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجيلة ” (١)

فامتلاً المسجد الحرام بالأصنام ، حتى لا تكاد تخلو دار من دورهم
الا وسما صنم يعبد من دون الله (٢) • فاقتضت حكمة الله تعالى : أن ينزل
القرآن الكريم في هذه - الفترة - اعنى الفترة المكية • لعلاج هذه
القضية الهامة التي تمثل الاساس الذى يقوم عليه البنيان • اى قضية
المقيدة وتصفيتها من الشوائب • وإخلاصها لله وحده • من غير شريك
ولا وسيط • لأنه اذا صحت للمقيدة وكل ايمان الفرد سهل عليه بعد
ذلك • تقبل الاحكام الشرعية والاذعان لها •

يبين كل ذلك الحديث الصحيح الذى رواه الامام البخارى بسنده
عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، قال : حدثنا ابراهيم
بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال :
وأخبرنى يوسف بن ماهك قال : انى عند عائشة أم المؤمنين
ان جاءها عراقى فقال اى الكفن خير ؟

قالت : ويحك وما يضرك ؟

قال : يا أم المؤمنين ارينى مصحفك •

قالت : لم ؟

قال : لعلى اولف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف •

(١) تفسير البيضاوى ج ٥ ص ٥٩

(٢) انظر المبحث الاول من الباب الثالث

قالت : وما يضرك آيه قرأت قبل ؟ انما نزل أول ما نزل منه سورة من
الفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال
والحرام .

ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر . لقالوا لا ندع الخمر ابدا .

ولو نزل لا تزنوا . لقالوا لا ندع الزنا ابدا .

لقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم : (وانى لجارية الصب)

* بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * (١)

وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وأنا عنده . . . قال فاخرجت له

المصحف فأطمت عليه اى السورة " (٢)

فيذا الحديث الشريف يبين أن القرآن في عهده الأول انما عالج

قضية العقيدة حتى اذا عرف الناس ربهم وعلوموا انه لا اله الا الله

وعادوا الى الفطرة التى فطر الله الناس عليها كان التشريع وكان تبين

الحلال والحرام (٣)

يقول الاستاذ محمد قطب في كتابه دراسات قرآنية :

لم يكن في العهد المكي الذى استغرق كله الحديث عن العقيدة

ومعظمه في الحديث عن الايمان بالله لم تكن هناك تكاليف بالمعنى الذى

جاء هناك فيما بعد في العهد المدني سواء التكاليف التعبدية فيما عدا

الصلاة او التكاليف التشريعية والتنظيمية او الجهاد بالنفس أو المال .

(١) آية رَم ٤٦ سورة القمر

(٢) ج٦ ص ٢٢٨ صحيح البخارى

(٣) راجع ص ١١٠ من الرسالة

لكن هناك الاعداد النفسى والروحى لهذه التكليف • كان هناك الوصول
بالذرة الايمانية الى مرحلة التسليم بالله والطاعة من حيث المبدأ •
الطاعة في الكبيرة والصغيرة حبا لله وخشية لله وعبادة لله " (١)
أقول :

لقد واجهه النبي صلى الله عليه وسلم • مشكلة الشرك بالله وتعدد
الأصنام التي اقامها العرب حول الكعبة وفي منازلهم يخرون لها ساجدين
من دون الله ويقدمون لها القرابين • فكان لا بد من القضاء عليها أولا واخلاص
العبادة لله وحده • نعم انهم كانوا يقرون بالله خالق السموات والأرض • ولكنهم
يعتقدون بعبادتهم لهذه الاصنام انها تقربهم الى الله زلفى • كما حكى
قولهم هذا القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ﴾ (٢)

أى من دون الله ليقربوهم اليه تعالى : ويؤيد اعترافهم بان الله
خالق السموات والأرض قوله تعالى :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله فأنسى يؤء فكون ﴾ (٣)

(١) ص ٥٩ - ٦٠

(٢) آية رقم ٣ سورة الزمر - وزلفى يعنى قريبا انظر البداية والنهاية لابن
الأثير تحقيق الاستاذ يسر محمد محمود الطناحى وظاهر احمد
الزاوى •

(٣) آية رقم ٦١ سورة العنكبوت

انه اذا الهوى واتباع النفس • ويوجهه الله تبارك وتعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بأن يسأل هؤلاء المشركين لمن الأرض ومن فيها ؟ ومن رب
السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ ومن بيده ملكوت كل شىء • ومن يجير
ولا يجار ؟ كما جاء ذلك في سورة المؤمنون :

* قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
افلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله
قل افلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون * (١)

يقول البيضاوى^(٢) في تفسيره لهذه الايات الكريمت * قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون * ان كنتم من اهل العلم أو من العالمين بذلك
فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا ال
الجلى الواضح الزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك
اخبر عن جوابهم قيل ان يجيبوا فقال جل ذكره :

* سيقولون لله *

لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر الى الاقرار بأنه خالقها

* قل افلا تذكرون * ٥١ هـ

قلت : لقد انحرفوا عن العقيدة الصحيحة باشراكهم مع الله الهية

آخريين وهذه الايات قد الزمتهم الحجة على ان الهيم هو الواحد

الأحد الذى يعرفونه بآثاره ومظاهر قدرته التى لا يمكنهم نكرانها فهى

(١) الايات من ٨٤-٨٦

(٢) هو عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى

محسوسة مشاهدة ولموسة محايشة يعيشونها في غدوهم ورواحهم
في صباحهم ومساءلهم في حركاتهم وسكناتهم ذلك من صنع الله وليس من صنع
هذه الأصنام التي يعبدونها . لقد عنى القرآن الكريم في هذه الفترة
بزلزلة هذه المعتقدات الفاسدة وهدم أركانها ولجأ في ذلك إلى أسلوب
الموازنة بين الاله الحق والآلهة المزعومة .

* أؤمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * (١)

ومن يسوى بين الاله الخالق ومن لا يخلق ؟ الذي يستحق
الالوهية هو الاله الخالق . أما من لا يخلق فلا يستحق أي مظهر
من مظاهر التقديس والعبادة . ثم تلفت الآيات الكريمة نظرهم إلى نعم
الله التي انعم بها عليهم والتي يستحيل حصرها وعدّها عليهم فلم يسبق
إمامهم أن كانوا غافلين إلا الشكر .

* وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لخبير رحيم * (٢)

ثم تخلص الآيات إلى النتيجة الحتمية التي ينبغى ألا يتشكك فيها

متشكك وهي :

(٣)

* المهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون *

فالعباداة الصحيحة ينبغى أن تتجه إلى اله واحد تلفت حوله

القلوب وتخضع له الأئدة ويخر الناس له ساجدين فتتحد مشاعرهم

وأهدافهم ومناهجهم وأغراضهم بدلا من هؤلاء الشركاء المتشاكسين . قال تعالى :

(١) آية رقم ٢٧ سورة النحل

(٢) آية ١٨ من نفس السورة

(٣) آية ٢٢ من نفس السورة

* ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون * (١)

ويستمر القرآن الكريم في النسي على هؤلاء المشركين في تمسكهم
باتخاذهم شركاء مع الله ففي سورة الانعام يوجه الله تبارك وتعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان ينكر عليهم هذا المعتقد الفاسد - فكيف
يتخذون اولياء من دون الله وهم يرون آثاره في السموات والارض وفيما خلق
بينهما من المخلوقات وما تكفل به من اطعامهما واپوائهما وهو وحده المتصرف
في هذا الكون :

* قل اغير الله اخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم
قل انى امرت ان اكون اول اسلم ولا تكونن من المشركين * (٢)

قال الخازن عند تفسيره لهذه الايات :

قل لهم يا محمد اغير الله اخذ وليا يعنى ربا ومحبودا وناصرا
ومحيئا وهو استشهاده ومعناه الانكار اى لا اخذ غير الله وليا :

* فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم * يعنى وهو يرزق

ولا يرزق .

وإحتياج

وصف الله عز وجل نفسه بالفنى عن الخلق . الخلق اليه .

لأن من كان من صفته ان يطعم الخلق لا احتياجهم اليه . وهو لا يطعم

لاستغناؤه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق . ومن

كان كذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا * (٣)

(١) آية ٢٩ الزمر (٢) آية رقم ١٤ سورة الزمزم

(٣) تفسير الخازن ج ٢ ص ١٢٢

قلت : يؤيد ذلك قوله تبارك وتعالى في سورة فاطر :

* والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١) . ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم . يوم القيامة يكفرون بشركم ولا
يفيئتك مثل خبير . يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله واللّه هو
الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد وما ذلك على اللّه
بمحزى * (٢)

وفي آيات اخرى من سورة الانعام نجد تأكيدا لا يراز قضية الوحدانية
وأنها تجب لله وحده دون سواه ذلك لأنه خالق هؤلاء الشركاء
المعبودين من دون الله بالباطل سواء كان ملكة ام بشرا ام جنا ام غير
ذلك مما عبد من دون الله .

قال تعالى :

* وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين ونساء بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون — بديع السموات والأرض انى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلكم اللّه
ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل * (٣)
ففي هذه الايات رد على المشركين الذين اشركوا مع الله غيره من
مخلوقاته في عقيدتهم وعباداتهم .

(١) قطمير هو اللقافة التي تكون على نواة التمرة .

(٢) الايات ١٣-١٤-١٥-١٦

(٣) الايات من ١٠٠ إلى ١٠٢ سورة الانعام

يقول ابن كثير في تفسيره :

هذا رد على المشركين مع الله غيره واشركوا به في عبادته ، أن
عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له في العبادة . تعالى الله عن شركهم
وكفرهم . ثم يثير ابن كثير عليه رحمة الله تساوؤا : كيف يعبدون الجن
والمعلوم انهم عبدوا الأصنام ؟ ثم قال :

فالجواب انهم ما عبدوها - أي الأصنام - الا عن طاعة الجن
وأمرهم اياهم بذلك كقوله :

* ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه
الله * وقال لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا ضلنهم ولا مئينهم
ولا آمنهم فلم يبتكن (١) آذان الأنعام ولا آمنهم فليخبرن خلق الله
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يمدهم
ويضنهم وما يمدهم الشيطان الا غرورا * (٢)

وكقوله تعالى :

* افتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا * (٣)

وقال ابراهيم عليه السلام لأبيه :

* يا ابي لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا * (٤)

(١) أي يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كان يفعله العرب قبل

الاسلام .

(٢) الآيات من ١١٧ - ١٢٠ من سورة النساء

(٣) آية رقم ٥٠ سورة الكهف (٤) آية رقم ٤٤ سورة مريم

وكقوله تعالى في سورة يس :

* ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم * (١)

وتقول الملكة يوم القيامة :

* سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم
يعلمون * (٢)

ولهذا قال تعالى :

* وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم * أى وقد خلقهم فهو
المخالق وحده لا شريك له فكيف يعبدون معه غيره ؟

وكقول ابراهيم عليه السلاة لقومه :

* اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ؟ * وخرقوا له بنين

وبنات بخير علم * فيه تشبيه على ضلال من ضل وفي وصفه تعالى
بأن له ولدا كما يزعم من قاله من اليهود في عزيز ومن قاله من النصارى
في عيسى ومن قاله من مشركى العرب في الملكة انهم بنات الله تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * (٣)

قلت : قد يقول قائل : انما ما استشهد به ابن كثير آيات مدنية في

سورة مدنية و هي قوله تبارك وتعالى :

(١) آية رقم ٦٠ ٦١ من سورة يس

(٢) آية رقم ٤١ سبأ

(٣) ج ٤ ص ٥٥٥ تفسير ابن كثير °

* ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطاننا مريدا لعنه

الله *

الى آخر الآيات •

والبحث يتعلق بمقاصد السور والايات المكية فكيف ذلك وهذه

الايات من سورة النساء وكلها مدنية ؟

أقول : ان القرآن الكريم بعهديه المكي والمدني نزل لهداية

الانسان والخروج به من الضلال الى الهدى ومن الظلام الى النور • وان

الفترة المكية فعلا تمتاز بأنها وضعت اساس العقيدة وما يتعلق بها •

ولما كانت العقيدة هي الاساس الذي يقام عليه البناء كان لا بد من متابعة

ذلك في العهد المدني فعندما نجد أمثال ذلك في السور المدنية

فانما ذلك بترسيخ هذه العقيدة وتأصيلها •

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني : في كتابه ^{مناهل العرفان} في علوم

القرآن :

ان القرآن الكريم كله قام على رعاية حال المخاطبين فتارة

يشدد وتارة يلين تبعاً لما يقتضيه حالهم سواء مشهد مكيم ومدنيهم

بدليل انك تجد بين ثنايا السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعد

وتسامح وتشديد وجذب وشد (١)

فلا غرابة أن نجد أن ما اختلفت بمناقشته السور المكية له

متابعات في السور المدنية •

فصلى سبيل المثال نجد آيات في سورة

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٠٤ ط الحلبي

البقرة (١) تتكلم في شأن العقيدة • وكذلك سورة آل عمران (٢) وغيرهما لكن ذلك غير الغالب في السور المدنية لأنها قد اقتصت بالتشريع وتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية • وحينما تجد الكلام عن العقيدة في السور المدنية فغالبا ما تكون له أسباب تقتضى ذلك •

فمثلا نجد أن آيات سورة النساء قد نزلت في شأن بشر بن أبيرق الذى ارتد عن الاسلام ولحق بللمشركين كما ذكر ذلك الترمذى في كتاب التفسير (٣) فتكون القضية من قبيل القضايا التى عالجتها السور المكية •

ثم نمضى في عرضنا لابرار قضية التوحيد فنقف مع آيات سورة الاعراف وهي كما نعلم سورة مكية اجماعا قد بسطت قضية التوحيد في عرض تاريخي للرسول وكل من عرضت قصته مع قومه كان أول ما يبدو به * أن اعبدا لله ما لكم من اله غيره * فقد قالها نوح عليه السلام كما اخبر بذلك القرآن الكريم *

* ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدا لله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم * (٤)

وقالها رسول الله هوذ عليه السلام يقول الله عز وجل :

* والى عاد اخاهم هوذا قال يا قوم اعبدا لله ما لكم من اله غيره افلا تتقون * (٥)

(١) الايات من ١٦٢-١٦٧ والاية ٢٥٥

(٢) الايات من ١-١٨ (٣) ج ٥ ص ٥٢٣ - ٥٢٤

(٤) اية رقم ٥٩ من سورة الاعراف (٥) اية ٥٨ الاعراف

وقالها صالح عليه السلام : يقول تعالى :

* والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقه الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم * (١)

وتأدى بكلمة التوحيد هذه نبى الله شعيب عليه السلام

كما قص علينا ذلك القرآن الكريم قال تعالى :

* والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • قد جاءكم بينة من ربكم فاقفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياء هم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين * (٢)

وجاء بهذه الكلمة من عند الله وبشر بها رسل الله جميعا كموسى

وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام جميعا •

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل بل جاء

بمثل ما جاء وا به من دعوة التوحيد :

* أولئك الذين هدى الله فيبداهم اقتده * (٣)

جاء ذلك عقب ذكر الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم الله

(١) آية رقم ٧٣ من سورة الاعراف

(٢) آية ٥٨ من سورة الاعراف

(٣) آية ٩٠ من سورة الأنعام

تعالى في سورة الانعام (١) . وفي هذا الاتجاه جاء قوله تعالى :

* هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تخشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحا لنكونن من الشاكرين . فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون . ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون . وان تدعوهم الى الهدى لا تسمعواكم سواء عليكم ادعوتهم ام انتم صامتون . ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايدى يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . ان ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وقرانهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون * (٢)

ان هذه الايات البينات تعكس حال هؤلاء المشركين وقد انحرفوا عن الدين الحق الذى هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها واتخذوا من دونه الشركاء . فكان توجيهه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بمواجهتهم لتسفيه هذه الالهة المزعومة وانها عاجزة عن نصره نفسها بله نصرتهم .

(١) الايات من ٨٣ - ٨٢

(٢) الايات من ١٦١ - ١٦٨

ثم كان اعلان النبي صلى الله عليه وسلم الواضح الصريح الذي لا لبس فيه ولا غموض : ان وليه وناصره هو الله وحده الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

وتكشف آيات سورة يونس هؤلاء الذين لم يفردوا الله بالوحدانية وهو المتصرف وحده في الخلق والرزق والاحياء والاماتة وما بين ذلك وما بعد ذلك . وضح انهم قد اعترفوا بأن الله هو الخالق لكنهم خلطوا هذا الاعتراف باشراكهم مع الله الهة آخرين اتخذوها زلفة تقربهم الى الله جل وعلا كما زعموا ذلك . ومن هنا كان الضلال و تنكب الصراط المستقيم .

قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليسأل هؤلاء القوم :

* قل من يرزقكم من السماء والأرض ام من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبهم الأمر فسيقولون الله فقل افلاتتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحقيق فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون * (١)

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى : عند تفسيره لقوله تعالى :

* فذلكم الله ربكم الحقيق فماذا بعد الحق الا الضلال *

(١) الايات (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) من سورة يونس

والحق واحد لا يتعدد ومتى تجاوزه وقع على الباطل وقد ضل التقدير
فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون • وكيف توجهون بعيدا عن
الحق وهو واضح تراه العيون ؟

يمثل هذا الانصراف عن الحق الواضح الذي يحترف المشركون
بمقدماته وينكرون نتائجه اللازمة ولا يقدمون بمقتضياته الواجبة
قدر الله في سنته ونواميسه ان الذين يفسقون (١) عن منصف الفطرة
السلم وسنة الخلق الماضية لا يؤمنون :

✽ وكذلك حقت كلمة ربك الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ✽

لا أنه يمنعونهم من الايمان • فهذه دلائله قائمة في الكون وهذه
مقدماته قائمة في اعتقادهم ولكن لأنهم هم يحيدون عن الطريق
الموصل الى الايمان ويجحدون المقدمات التي في ايديهم ويصرفون
انفسهم عن الدلائل المشهودة لهم ويحطون منطلق الفطرة القويم فيهم (٢)
وفي تفسير القرآن العظيم لا بن كثير يقول :

أى كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله
غيره مع أنهم يحترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذى
بحث رسله بتوحيده • فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء ممن
ساكنى النار كقوله تعالى :

✽ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ✽ (٣)

(١) أى يعمدون

(٢) في ظلال القرآن ج ١١ ص ٤١٧

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٦

ويقول الامام الالوسي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة في كتابه

تفسير روح المعاني ، يقول الالوسي رحمه الله :

* وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون *

أى حكمة على الذين فسقوا أى تمردوا في الكفر وخرجوا الى اقصى حدوده

والمراد بهم اولئك المخاطبون " (١) ٥٠١ هـ

ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يعلنها صريحة لا لبس فيها

ولا غموض أن لا تقارب بين طريقته الربانية وطريقة المشركين الوثنية :

* قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تحبذون

من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن اكون —————

المؤمنين * (٢)

اخضه وحده بالعبادة لا اشرك معه غيره . ونستمر مع التوجيهات

الالهية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

* وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع

من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين * (٣)

وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره .

يقول الشوكاني في فتح القدير :

وهو من باب التحريض لغيره صلى الله عليه وسلم . (٤)

(١) تفسير روح المعاني ج ١١ ص ١١٣

(٢) آية رقم ١٠٤ سورة يونس

(٣) الايات ١٠٥ - ١٠٦ يونس (٤) ج ٢ ص ٤٧٧

وهذا يوسف عليه السلام وهو في السجن يلتقي بسجينين فيليسن
لهما الكلام وتعرض عليهما قضية التوحيد في اسلوب تقريرى ويخلص من عرضه
بان العبادة يجب ان تكون لله وحده اما عبادة غيره فهي عمل غير صالح
ما ينبغي لمساقل ان يقع فيه .

قال تعالى في سورة يوسف :

﴿ يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خيرام الله الواحد القهار .
ما تعبدون من دونه الا اسما سميتوها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من
سلطان . ان الحكم الا لله امر الاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١)

يقول البضاوى في تفسير قوله تعالى :

﴿ ان هي الا اسما سميتوها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها

من سلطان ﴾

اي الاشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة .

والمعنى انكم سميت ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل

ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها " (٢)

ومن العبادة - بل هو صحتها وروحها - الدعاء فهو الذى يظهر

فيه صاحب الحاجة حاجته في تذلل وخضوع الى من بيده المطأ والمضغ حقيقة

لكن هؤلاء المشركين انحرفوا عن الصواب ووجهوا دعاءهم الى تلك الالهة المزعومة

(١) الاية ٢٩-٤٠ من سورة يوسف

(٢) تفسير البضاوى ج ٣

يطلبون منها قضاء الحاجات • فلا يستجاب لهم لأنهم لم يطلبوها من
جبهتها التي تستجاب فيها • قال تعالى :

* له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا
كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله وما دعا الكافر بين
الأي ضلال * (١)

قال ابن كثير : قال علي * له دعوة الحق * : التوحيد ...
وتد ورد في قوله تعالى :

* له دعوة الحق * معادن عدة : قال الشوكاني :

إضافة الدعوة إلى الحق للملائكة أي الدعوة الملائكية للحق المختصة

به التي لا محل للباطل فيها بوجه من الوجوه • كما يقال كلمة الحق •
والمعنى أنها دعوة مستجابة واقفة في موقعها لا كدعوة من دونه •
وقيل : هو الحق سبحانه • والمعنى :

ان لله سبحانه دعوة المدعو الحق وهو الذي يسمع فيجيب •

وقيل المراد بدعوة الحق ههنا كلمة التوحيد والاخلاص • والمعنى
لله من خلقه أن يوحدوه ويخلصوا له • (٢) ١٠١ هـ

قلت : هذه الأقوال جميعها لا تخرج عما ترمى إليه من الدعوة

إلى توحيد الله تعالى • وهو ما تمنيه الآية الكريمة من توجيه الخلق
إلى الالتجاء إلى خالقهم وحده فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف

(١) آية رقم ١٤ سورة الرعد

(٢) فتح القدير ج ٣ ص ٧٣

السوء • لأن الامر كله بيده ولا زاد لقضائه ولا معقب لحكمه :

* وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على

كل شيء قدير * (١)

وما دام الأمر كذلك فينبغي أن يوحد في كل الأمور الضئير

فيها والكبير ، الخفي منها والظاهر ان التجاء المخلوق الى فيسر

الخالق لا ينجي منه الا الخيبة والندم • :

* وقل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم

ولا تحويلا * (٢)

وفي تحليقه على آية سورة الرعد المتقدمة يقول الاستاذ سيد

قذاب :

والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاحق • فدعوة واحدة هي

الحق • وهي التي تحقق ، وهي التي تستجاب انما دعوة الله

والتوجه اليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه • وما عداها

باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء • ألا ترون حال الداعين لخيره من

الشركاء • انظروا هذا واحد منهم ملهوق ظمآن يمد ذراعيه ويبسط

كفيه وفمه مفتوح يلمث بالدعاء يطلب الماء ليملغ فاه فلا يبلغه وما هو

ببالفه بعد الجهد واللمهة والعناء • وكذلك دعاء الكافرين بالله

الواحد حين يدعون الشركاء •

(٣)

* وما دعاء الكافرين الا في ضلال * ا.هـ

(١) سورة الانعام اية رقم ١٧

(٢) اية رقم ٦٥ من سورة الاسراء (٣) في ظلال القرآن ج ١٣ ص ٨١

قلت : هذا مصير كل من كفر بربه واشرك معه غيره • ولقد ضرب القرآن الكريم كثيرا من هذه الأمثلة وعرض كثيرا من هذه الصور ليأخذ الانسان مضيا الصبر وتكون مشاعل نور في الليل البهيم • قال تعالى في سورة ابراهيم :

* مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد (١)

وهو مثل ضربته الله لاعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله كتبوا اعمالهم على غير اساس صحيح فانهارت وعموها وهم احوج ما كانوا اليها (٢) • نعوذ بالله من عمل لا ينفع • وهي نتيجة عمل كل من اتخذ الهه هواه وترك النور خلفه وسار في غيه وعماه • فاضله الله • لأن المتبصر بهذا الكون يرى الآيات ناطقة بوحدانية الخالق وما بسط فيه من النعم كقيلة بأن تقنع كل من كان له قلب أو قى السمع وهو شهيد •

ولهذا كان النبي الالهى من اتخاذ الهين اثنين والاعتماد على اله واحد يدام على عبادته وطاعته •

قال الله تعالى :

* لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فإياى فارهبون • وله ما فى السموات والأرض وله الدين واصبا * (٣) افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجثرون • ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرسق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * (٤)

(١) اية رقم ١٨ سورة ابراهيم (٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢٧

(٣) واصبا أى دائما (٤) الايات ٥١-٥٥ سورة النحل

* قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا يتقوا الى ذى العرش سبيلا .
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا * (١)

يقول ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى :

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين ان لله شريكا من خلقه
العابدين معه غيره . ليقرّبهم اليه زلفا لو كان الأمر كما تقولون
وان معه آلهة تمسّد لتقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون
يعبدونه . ويتقربون اليه ويبتغون عنده الوسيلة والقربى فاعبدوه انتم
وحدده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون
واسطة بينكم وبينه . فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه .
وقد نهي عن ذلك على السنة جميع رسله وانبيائه .

ثم نزه نفسه الكريمة وقال :

* سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا * (٢) ٥١

ولقد ورد فيهم آخر لهذه الآية الكريمة . انه تعالى لو كان
معه آلهة لنازعتها وصا ولته . ولكن ذلك لم يحصل ولن يحصل ولقد ذهب
الى هذا الشوكاني فقال في فتح القدير :

* لا يتقوا الى ذى العرش سبيلا * طريقا للمغالبة والممانعة

كما تفعل الملوك مع بعضهم بعض من المقاتلة والمماولة " (٣)

(١) الايات ٤٢-٤٣ من سورة الاسراء

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١

(٣) فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٠

قلت : ان ما ذهب اليه ابن كثير رحمه الله تعالى في فهم هذه

الاية من ان المراد منها :

هو تقربهم اليهم يتخذون عنده الوسيلة جائز لأن المشركين في
تعليقهم لا يتخذ الشريك لله قالوا ما نصبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفا . لكن يظهر لي - والله أعلم - ان المقام هنا مقام تحد ومنازعة
فلا يبعد ان يكون المراد هنا :

" ان كان الامر كما زعمتم لاتخذ هؤلاء سبيلا لمفالية الله تعالى

ومنازعته فتنزه الله نفسه عن ذلك وقال : * سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا * وعلى كل حال فالمراد هو نفى الشريك لله تعالى وانفراجه
بالوحدانية وهذا ما رمت اليه الاية الكريمة . . .

ونستمر مع القرآن الكريم في عهده المكي وهو يبرز هذا المقصد

ف نجد في سورة الانبياء على سبيل المثال : * وموضوعها الحقيقة وما يتعلق
بها : قوله تعالى :

* أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة

الا لله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال :

* أم اتخذوا من دونه آلهة هم ينشرون * أي لا يقدر على شيء من

ذلك ؟ فكيف جعلوها ندا لله وعبدوها معه ؟

ثم أخبر تعالى انه لو كان في الوجود غيره لفسدت السموات والارض .

فقال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا • اى في السماء والارض •
كقوله * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما
خلق ولعلا يحضيم على بعض • سبحان الله عما يصفون * (١)

وقال هيننا :

* فسبحان الله رب العرش عما يصفون *

ثم قال تعالى :

* أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل هاتوا برهانكم * اى دليلكم

على ما تقولون • هذا ذكر من معنى — يعنى القرآن — وذكر من قبلى

— يعنى الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وما تزعمون •

فكل كتاب انزل على نبي ارسل ناطق بأنه لا اله الا الله • ولكن

انتم ايها المشركون لا تعلمون الحق فانتم عنه معرضون — ثم قال تعالى :

مذكرا نبيه صلى الله عليه وسلم :

* وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا

فاعبدون * وكما قال :

* واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة

يعبدون * (٢) وقال :

* ولقد ارسلنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * (٣)

فكل نبي بعثه الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له • والفطرة شاهدة بذلك •

والمشركون لا يبرهان لهم وحجتهم داحضة (٤) عند ربهم وعليهم غضب ولهم

عذاب شديد (٥) » ٥٠١ هـ

(١) آية ١٣ من سورة المؤمنون (٢) آية رقم ٤٥ سورة الزخرف

(٣) آية رقم ٣٦ سورة النحل (٤) داحضة اى : باطله

(٥) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣٣٠-٣٣١ ط دار الشعب •

ان ما عبده من دون الله لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بل هو لا يملك
لنفسه الضر والنفع، بل هو اضعف من أن يسترد ما يسلبه منه الذباب . فكيف
يجاز لهؤلاء أن يدینوا له بالعبادة . ولهذا ضرب الله سبحانه وتعالى لهم مثلا
بذلك فقال جهل ذكره :

* يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حتى قدره ان الله لقوى عزيز * (١)

بل ان من اتخذ وليا من دون الله كمثل العنكبوت اتخذت بيتا من
نسيجها وان او هن البيوت لبیت العنكبوت . كما جاء في قوله جل وعلا :

* مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
وان او هن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * (٢)

قال الخازن : مثل الذين اتخذوا من دونه اولياء . يعنى الاصنام

يرجون نصرها ونفسها . كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تأوى اليه
وان بيتها في ظية الضعف والوهن لا يدفع عنهما ضحرا ولا بردا فكذلك
الانسان لا تعلم لعبادها نفعا ولا ضرا واورد معنا آخر لهذا المشل
فقال :

ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله
مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسيجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا

(١) اية رقم ٧٣-٧٤ سورة الحج

(٢) اية رقم ٤١-٤٢ سورة العنكبوت

بأجر وجص أو نحته من الصخر • فكما ان أوهن البيوت اذا استقرت بها بيتا
بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقرت بها دينا دينا عبادة
الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع •

* وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت * اشارة الى ضعفه • فان الريح
اذا ذهبت عليه أو لمسه لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر • فقد صح أن
أوهن البيوت لبيت العنكبوت • وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان • لو
كانوا يعلمون • اى ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه النهاية من
الوهن (١) ٠٠٠ ٠٠٠ هـ

ويقول الدكتور محمد محمود حجازى في كتابه التفسير الواضح :

ولعل السرفى اختيار لفظ الأُلياء بدل الالهية ابطال الشرك الخفى
وهو العبادة للرياء والسمة فان من يفعل ذلك يصدق عليه أنه اتخذ من
دون الله وليا (٢) •

وفى آيات آخر يأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يسأل
هؤلاء المشركين عن هذه الأصنام التى اتخذوها آلهة من دون الله •
ماذا خلقوا من الارض - ام لهم شرك فى السموات ؟ ان كان الأمر
كذلك فليأتوا بكتاب من الكتب التى سبقت القرآن توءم يد دعواهم أو اى
بقية من علم ان كانوا صادقين فيما يدعون •

* قل أرايتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم

(١) تفسير الخازن ج ٥ ص ١٩٣-١٩٤ ط مصطفى البلبى الحلبي

(٢) ج ٢٠ ص ٦٩

شرك في السموات اتئونى بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم ان كتتم
صادقين • ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم
القيامة وهم عن دعائهم غافلون * (١)

ثم اخبر تعالى بما يحصل من العداوة بين المشركين والشركاء يوم
الدين : يوم الحشر والجزاء :

* واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين *

ان قضية التوحيد هي مقصد من المقاصد الاساسية التي عالجتها
السور والايات المكية وبرزتها بمختلف الاساليب والصور وان ما اورده
لا يمثل الاقدرا يسيرا لما ورد في هذا الشأن في السور المكية • وأتوج
هذا المبحث بوسورة الاخلاص التي ورد في سبب نزولها على ما جاء في
مسند الامام أحمد قال :

حدثنا ابو سعد محمد بن ميسر الصاغانى حدثنا ابو جعفر الرازى

حدثنا الربيع بن انس عن ابي العاليفة عن ابي ابن كعب : أن المشركين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فانزل :

* قل هو الله أحد الله الصمد • لم يلد • ولم يولد ولم يكن له

كفوا أحد * (٢)

وكذا رواه الترمذى (٣) وابن جرير الطبرى (٤) عن أحمد

(١) اية رقم ٤-٥ سورة الاحقاف

(٢) مسند الامام احمد ج ٥ ص ١٣٣-١٣٤

(٣)

(٤)

ابن مبيح • وزاد ابن جرير - ومحمد بن خدّاش -

وزاد الترمذى قال :

” الصمد ” الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس شىء يولد الا سيموت
وليس شىء يموت الا سيورث • وان الله جل جلاله لا يموت ولا يورث
ولم يكن له كفوا أحد • ولم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثلـه
شىء ” (١)

اكتفى بهذا القدر وبالله التوفيق ٥٥٥

(١) تحفة الاحوذى تفسير سورة الاخلاص ج ٩ ص ٢٩٩-٣٠٠

المبحث الثاني

في مناقشة المشركين في معتقداتهم الفاسدة وابطال الشرك بالله

عرضنا في المبحث السابق موقف المشركين من قضية الوحدانية وتبين لنا أنهم لا حجة عندهم في اشراكهم مع الله الهة اخرى • وانما انقادوا في ذلك لما وجدوا عليه الاباء والاجداد •

ولما جاءهم الحق من عند الله اخذتهم العزة بالاثم فقالوا :

﴿ هذا سحر وانا به كاذبون ﴾ (١)

فظهر ان قولهم هذا لا يسنده عقل ولا نقل • ومن خلال تأملاتنا للايات القرآنية التي كشفت لنا سوء حالهم وفساد رأيهم • تبين لنا كذلك انهم يعتقدون اعتقادا فاسدا • وذلك بنسبتهم الولد الى الله تعالى : وهذا ما حملني لافراد هذا المبحث لمناقشة هذه القضية وابطال الشرك بالله في أى صورة من صورها • وهذه القربة قد قالها أهل الكتاب من يهود ونصارى كما حكى ذلك عنهم القرآن الكريم • فقد قالت اليهود ان عزيرا ابن الله وذلك كما يقول الطبري :

من أجل ان عزيرا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم اضعوها وعملوا بخير الحق • وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد اضعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع عنهم التابوت وانسأهم التوراة ونسخها من صدورهم • وارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كيداه • حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير • فكثروا ما شاء الله ان يكثروا بعدما نسخت التوراة من صدورهم • وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وصى وابتدئ ان يرد اليه الذي نسخ من صدوره من التوراة • فبينما

هو يعلى مبتهلا الى الله نزل نور من الله في جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة • فاذن في فومه فقال :

يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي - فطلق - فبدأ يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم • فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزيز يعلمهم فوجدوه مثله • فقالوا والله ما أوتى عزيز هذا الا انه ابن الله^(١) اه
فمن خلال هذه القصة تظهر الشبهة التي جعلتهم يقولون هذه التولية النكراء عزيز ابن الله

كذلك قالت النصارى المسيح ابن الله وذلك : كما يقولون : لم يكن له أى علم - وقد تكلم في المهد بشىء لم يضمنه أحد من بنى آدم قبله^(٢) وغير ذلك من خوارق العادات التي اظهرها الله على يديه • يقول سيد قطب :

وقول النصارى المسيح ابن الله وأنه ثالث ثلاثة فهو شائع مشهور وعليه جميع مذاهبيهم منذ أن حرف بولس رسالة المسيح القائمة على التوحيد كبقية الرسائل ثم اتمت تحريفها المجامع المقدسة ••

وجاء بعض مشركى العرب وقالوا الطائفة بنات الله • ولقد حكى القرآن الكريم قول أهل الكتاب هذا فقال جل جلاله :

(١) تفسير الطبرى ج ١٠ ص ٧٨

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٨

* وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأنوا همهم يضا هئون (١) قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * (٢)

يقول البيضاوى في تفسير هذه الآية :

انما قاله بعضهم من مقدمهم او من كانوا بالمدينة • والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهمالكهم على التكذيب... (٣) اهـ

قوله يضا هئون قول الذين كفروا من قبل •

المراد : أما قول مشركى العرب الذين قالوا الملكة بنات الله او اليهود على ان الضمير راجع للنصارى... بيضاوى ••

ويقول سيد قطب :

ولقد كان المفسرون يقولون عن هذه الآية : ان المقصود بها ان قولتهم بينوة أحد لله تماثل قوله المشركين العرب بينوة الملكة لله... وهذا صحيح... ولكن دلالة هذا النص القرآنى ابعده مدى •

ولم يتضح هذا المدى البعيد الا حديثا بعد دراسة عقائد الوثنيين في الهند ومصر القديمة والا غريق مما اتضح معه اصل العقائد المحرفة عند اهل الكتاب • وبخاصة النصارى • وتسربها من هذه الوثنيات الى تعاليم " بولس الرسول " أولا • ثم الى تعاليم المجامع المقدسة " (٤) اهـ

(١) المظاهرات المشابهة.

(٢) آية ٣٠ سورة التوبة

(٣) ج ٣ ص ٦٦

(٤) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٠٠

ولقد تناول القرآن الرد على هذه الاقاويل في كثير من الايات القرآنية
من ذلم قاله الحق تبارك وتعالى :

﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا (١) تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال (٢) هدا ان دعوا للرحمن
ولدا وما ينتفى للرحمن ان يتخذ ولدا . ان كل من في السموات والارض
الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلم آتية يوم القيامة
فردا ﴾ (٣)

وردت هذه الايات البيِّنات في سورة مريم بعد ان قرر الحسنى
سبحانه وتعالى عبودية عيسى عليه السلام وكونه ولد من ام هلا أب
فلا عجب في ذلك فان مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون ”

فهي رد على ما زعمه الجحيم . . يقول ابن كثير في تفسيرها :

قوله : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه . . ﴾

يكاد يكون ذلك عند سماعهم هذه المقالة من فجرة بنسى

آدم اعظاما للرب واجلالا ، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيد .

(١) ادا قرئ بفتح الهمزة وبكسرهما . قال ابن خالويه الاد والاد الصجب
وقيل المنكر العظيم . والادة الشدة وأدنى الامر وأدنى أى اثقلنى .
(٢) يتفطرن قرئ بالتاء بعد الياء . الانفطار منه فطره اذا شقه . والتفطير
من فطره اذا شققه . قرأ ابن مسعود يتصدعن . وهو من باب
التفسير .

(٣) الايات من رقم ٨٨ الى رقم ٩٥

وأنه لا اله الا هو لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا
كفى له بل هو الاحد الصمد " (١) ٥٠١ هـ

وقال الزمخشري في الكشاف :

الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله
كانوا بيت كافرين : أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا
والثاني اشراك الذين زعموهم اولادا في عبادته كما يخدم الناس انبياء
الملوك خدمة لبايئهم فيهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الايات .
من قوله تعالى :

* وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * الى قوله * وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا * - ثم اعقبه بهدم الكفر الاخر -

والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس
الا وهو ياتي الرحمن أي يأوي اليه ويلتجى الى ربوبيته عبدا منقادا
مطيعا خاشعا خاشيا " (٢) ٥٠٠ كلمهم مقلبون في ملكوته مقهورون بقهره
وهو صيرهم عليهم ومحيط بهم ويعلم امورهم وتفصيلها ووكيفيتهم وكميتهم -
ولا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس
معه من هؤلاء المشركين أحد " ٥٠١ هـ

ولقد نزه الحق جل وعلا نفسه عن هذا الزعم في كثير من الايات

يقول تبارك وتعالى في سورة البقرة :

* وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض

كل له قانتون * (٣)

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٣٨

(٢) ج٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ (٣) آية رقم ١١٦

وفي سورة يونس :

* وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون * (١)
ولا سلطان لهم ولا بينة وقولهم هذا ما هو الا تخرصا ورجمنا
بالنبي :

* كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * (٢)

ومع هذا الكذب على الله تعالى فقد زاد بعض مشركى العرب فى كذبهم وافرائهم على الله فجعلوا لله البنات ولهم البنون . وذلك ناتج عن استنكافهم من البيت ونظرتهم اليها وتأفدئهم منها - كما زعموا ان بينه وبين الجنة نسبة ٠٠٠ فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يستفتى هؤلاء المتقولون على الله بالكذب من أين لهم اصدار هذا الحكم :

* فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون *

وانه يحاصر اسطورتهم فى كل مساربيها ويحاجهم بمنطقهم
ومنطق بيتهم التي يعيشون فيها وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات
ويحورون ولادة الانشى محنة ، ويمدون ولادة الانشى مخلوقا اقل من
الذكر ثم هم الذين يدعون أن الملكة اناثا وانهم بنات الله . " (٣)

(١) آية رقم ٦٨

(٢) آية رقم ٥ سورة الكهف

(٣) فى ظلال القرآن ج٧ ص ٢١

يقول الزمخشري في الكشاف :

فاستفتيهم معطوف على او مثله في أول السورة وان تباعدت بينهما
المسافة (١) . أمر الله رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم
سأل الكلام موصولا بحضه ببعض ثم أمره باستفتاءهم عن وجه القسمة
الفيزي التي قسموها حيث جعلوا لله الانثى ولانفسهم الذكور في
قولهم الملكة بنات الله مع كراهيتهم الشديدة لهن ووأدهم لهن واستنكافهم
من ذكرهن ٠٠٠ ثم يقول ولقد ارتكبوا ثلاثة انواع من الكفر :

احدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام .

الثاني تفضيل انفسهم على ربهم حيث جعلوا أوضاع الجنسين له
وارفعها لهم كما قال :

* واذا بشر احدكم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم . أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * (٢)

والثالث : انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث

انسؤهم .

ولو قيل لا قليم وأدناهم فيك انوثة أو شكلك شكل النساء
للبيس لقاءه جلد النمر ولانقلبت حاملته (٣) وذلك في اهاجيجهم بين
مكشوف . . . (٤) أ. هـ

(١) يقصد بذلك : فاستفتيهم اهم اشد خلقا امن خلقنا انا خلقناهم من طين لازب

آية رقم ٢

(٢) آية رقم ١٧ من سورة الزخرف (٣) هملاق العين بياض أجانها
أى يفعل ذلك غضبا مما وصف به
(٤) تفسير الزمخشري ج ٣ ص ٣٥٤

فكيف اذا يحكمون ولم يشهدوا خلق الملائكة ولم يكن لهم سند ولا دليل

على هذا الحكم المزعوم .

وزادوا على هذه الاسطورة اسطورة اخرى وهي اسطورة الصلة بينه

سبحانه وبين الجنة :

* وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا . ولقد علمت الجنة انهم

لمحضرون * (١)

فكما زعموا ان الملائكة بنات الله - زادوا في زعمهم بأن الجنة قد

ولدتهم له . وذلك هو النسب والقربا . والجنة تعلم أنها خلق من خلق

الله وانها محضرة يوم القيامة باذن الله وما هكذا تكون المحاملة والصرير .

وهنا الحق سبحانه ذاته عن هذا الاذك القيا فت :

(٢)

* سبحان الله عما يصفون * اهـ

فظهر مما تقدم بطلان معتقدتهم هذا وفساده وان الحق تبارك وتعالى

ضزه عما يصفوه به . وأنه غنى عن صاحبة والولد . وليس كمثل شىء وهو

السميع البصير . وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فسبحان الله

وتعالى عما يصفون .

(١) اية رقم ١٥٨ سورة الصافات

(٢) في ظلال القرآن ج١ ص ٧٢

المبحث الثالث

في لفت النظر الى الايات الكونية وما فيها من البراهين
والادلة على توحيد الله

ان التأمل في القرآن الكريم وخاصة في الفترة المكية يجد أنه لفت
نظر الانسان الى الكون وما فيه من ايات عجيبة تدل على قدرة الخالق جل
وعلا . وانه قد ساق هذه الايات الكونية ليحول الانسان ببصره وعقله
ليدرك من خلالها ان لها ربا أوجدها وديرأمرها . وان السموات والارض
ما خلقتا الا بالحق . وأن الله قد سخر ما في السموات من شمس وقمر ونجوم
وما أجد على الارض من بحار وانهار وجبال واشجار وغير ذلك ، كله
قد سخره للانسان واعطاه العقل ليهتدى به الى حكمة الباري . ولهذا
كان الاكثار من ذكر العلم والفكر والعقل في القرآن الكريم ظاهرة تستلفت
النظر بشكل بارز .

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

- * ان في ذلك لايت لقوم يعقلون * (١)
- * ان في ذلك لاية لقوم يحلمون * (٢)
- * ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون * (٣)
- * ان في ذلك لايات للمالئين * (٤)

(١) اية رقم ٤ سورة الرعد

(٢) اية رقم ٥٢ سورة النمل (٣) اية رقم ١١ سورة النحل

(٤) اية رقم ٢٢ سورة الروم

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والارض ﴾ (١)

ومن ثم فان الناظر في القرآن يدرك ان الاسلام يعرض على العاقل أن يفكر ويعرض عليه ان يتعلم وان العلم والفكر جزءان من شخصية المسلم في الوقت اللذان هما عند غير المسلم شهوة يتسلى بها أبواب معاش يرتزق منه . او هواية عند بعض الافراد . واذ يعرض الاسلام العلم فلأن بالعلم يعرف ان الاسلام حق :

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك ﴾ (٢)

ولقد نعى القرآن على من أهملوا عقولهم وقرع عيهم ووبخهم أشد التوبيخ وجعل جهنم مثواهم فقال في سورة الاعراف :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بسل هم اضل اولئك هم الغافلون ﴾ (٣)

وسنورد في هذا المبحث بعضا من الايات القرآنية التي تكشف لنا حنايا من هذا الكون من سماء وارض وما بينهما وتسخير كل ذلك للانسان ليصرف خالقه وليشكر نعمه التي لا تحصى .

يقول تبارك وتعالى في سورة ابراهيم :

﴿ الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم . وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الانهار

(١) اية رقم ١٠١ سورة يونس

(٢) كتاب الله جل جلاله ، سعيد حوى ، ص ١٥ (٣) الاية ١٧٩

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما
سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار ﴿ (١)

جاء في ظلال القرآن الكريم قوله :

ان من معجزات هذا الكتاب أنه يربط كل مشاهد الكون وكل خلجات
النفس الى عقيدة التوحيد • ويحول كل ومضة في صفحة الكون أوفى
ضمير الانسان الى دليل أو إحاء • وهكذا يستحيل الكون بكل ما فيه
وبكل من فيه معرضا لايات الله تبده في يد القدرة وتتجلى آثارها
في كل مشهد فيه ومنظر • وفي كل صورة فيه وظل •••

والمشهد الهائل الحافل المبروض هنا لا يادى الله وآلائه بالقياس الى
الانسان • خط السماوات والأرض • يتبعه خط الماء النازل من السماء
والشوات النابتة من الأرض بهذا الماء • فخط البحر تجرى فيه الفلك ، والانهار
تجرى بالارزاق • ثم تعود الريشة الى لوحة السماء بخط جديد - خط
الشمس والقمر - فخط آخر في لوحة الأرض متصل بالشمس والقمر • خط الليل
والنهار ثم الخط الشامل الأخير الذى يلون الصفحة كلها ويزينها :
(٢) ﴿ واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ • هـ

فهذه الايات الناطقة بوحدانية الله جل وعلا • وكمال قدرته يبرون
عليها ليلا ونهارا وهم عنها معرضون • وكذلك يكثر الكلام حول خلق
السماوات والأرض بصور شتى حتى يتنبه الغافلون • وتستيقظ قلوبهم :

(١) آية ٣٢ - ٣٤

(٢) في ظلال القرآن الكريم المجلد الخامس ص ١٦٦-١٦٧

(١)

* أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون • وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون • وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون * (٢)

يلفت الله النظر الى بديء خلق السموات والارض وانهما كانتا رتقا
مصمتتين متلاصقتين - أو ان السماوات كانت لا تمطر ففتقها الله
بالمطر والارض كانت لا تثبت ففتقها الله بالنبات • ومهما قيل في ذلك فان
علم ذلك عند الله فانه لم يشهد أحدا من خلقه على خلق السموات والارض
بل ولا خلق انفسهم •

يقول الاستاذ سيد قطب :

وقد يشر القرآن احيانا الى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقرها

هنا :

* ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما *

(١) رتقا وفي قراءة رتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول - أي

كانتا مدنوقتين ٠٠٠ ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض

لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينهما

ففتقها الله وفرج بينهما او فتحها بالمطر والنبات بعدما كانتا

مصمتين " - ج ٢ ص ٥٧٠ رازي

(٢) آية رقم ٣٠ - ٣٣ سورة الانبياء

ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن • وإن كنا لا
نعرف كيف كان فتق السموات والأرض • أو فتق السموات عن الأرض وتقبل النظريات
الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجلة التي قررها القرآن • ولكننا
لا نجري بالنص القرآني وراء نظرية فلكية • ولا نطلب تصديقا للقرآن في
نظريات البشر وهو حقيقة مستيقنة • وقصارى ما يقال ان النظرية الفلكية
القائمة اليوم (١) لا تمارض المفهوم الاجمالي لهذا النص القرآن السابق
عليها باجبال...» (١) اهـ

هذه العلامات تساق للانسان ليعرف عن طريقها قدرة الخالق البارى وانه
لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء • فما باله يتكبر ويتجبر وهو
المخلوق من ماء مهين كان ينبغي أن يسلك طريق الخير والهداية
ولكنه غافل لاه الا من رحم ربك • ولو نظر لعرف :

﴿ افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى
لكل عبد متيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد
والنخل باسقات لها طلع النضيد • رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك
الخرج ﴾ (٢)

(١) وملخص هذه النظرية : هو ان المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية
والموئ لفة من الشمس وتوابحها ومنها الأرض والقمر كانت سويا ثم انفصلت
واخذت اشكالها الكروية • وان الأرض كانت قطعة من الشمس ثم
انفصلت عنها وبردت • أ.هـ

(٢) الايات ٦-١١ سورة ق

هذه مثلا هو قدرته جلا جلاله شاهدة ناطقة • ولكنهم اغفلوا • •
فلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بناها الله تعالى فهي قد بنيت باحكام
ورفعت بدقة كاملة وقدرة واسعة • • •
وكيف زينها بنجوم الناظرين • وليس لها فروج ولا عيوب • فهو
الله الذي :

* خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير • ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير • • • (١)
سبحانك يا رب أنت القادر وغيرك العاجز :

وهذه الارض أفلم ينظروا اليها كيف بسطها وألقى فيها رواسي
شامخات وأنبت فيها نباتا حسنا من كل صنف • يأخذ بالأولباب ويستمرى
القلوب ويسر الناظرين •

* فلينظر الانسان الى طعامه انا صبينا الماء صبا ثم شققنا الارض
شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقنبا • وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفكية
وأبا متاعا لكم ولانعمكم * (٢)
ونستمر مع القرآن الكريم وهو يعرض مزيدا من صفات الكون على الناس
حتى يتيقنوا أن وراءها مدبر حكيم وقادر عليم هو الله الذي لا اله الا هو فهذه
آيات سورة الفاشية ناطقة بذلك لكل عاقل متدبر :

(١) الاية رقم ٣ من سورة الطك

(٢) سورة عبس الايات ٢٤-٣٦

* أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت * (١)

فهذه الأبل قد خلقت خلقاً عجيباً دالاً على تقدير مقدر شاهدها بتدبير مدبر ، حين خلقها للنهوض بالاثقال وجرها إلى البلاد الشاحطه فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من قادها بأزمته :

* وذلكلناها لهم فمشياً ركوبهم ومنها يأكلون • ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون * (٢) لا تعارض ضعيفا ولا تمنع صغيرا • وبأراها طوال الأعناق لتنوء بالاثقال (٣)

ويقول الأستاذ سيد قطب في تعليقه على هذه الآيات البيئات :

تجمع هذه الآيات الأربعة القصار أطراف بيعة الصربي المخاطب بهذا القرآن أول مرة كما تضم أطراف الخلائق الباروة في الكون كله ، حين تتضمن السماء والأرض والجبال ، والجمال " ممثلة لسائر الحيوان " • على مزينة خاصة بالأبل في خلقها بصفة عامة وفي قيمتها للصربي بصفة خاصة • ان هذه المشاهد معروضة للنظر الانساني حينما كانت السماء والأرض والجبال والبحيوان • وأيا كان حظه من العلم والحضارة فهذه داخله في عالمه وأدراكه ، موحية له بما وراءها حين يوجه نظره • وقلبه إلى دلالاتها •

(١) ١٢ - ٢٠

(٢) ٧٢ - ٧٣ سورة يس

(٣) انظر الكشاف ج ٤ ص ٢٤٧

والمعجزة كاملة في كل منها وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها • وهي
وجدها كافية لأن توحى بحقيقة العقيدة الالهية - عقيدة التوحيد
••••• ويقول رحمه الله :

وتوجيه القلب الى السماء يتكرر في القرآن وأولى الناس بأن يتوجهوا
الى السماء هم سكان الصحراء • حيث للسماء طعم ومذاق وانقياع
وايحاء • كانما ليست السماء الا هناك في الصحراء • السماء بنهارها الواضح
الباهر والسماء باصيلها الفاتن الرائق الساحر والسماء بخروبها البديع
الفريد الموحى ••• والسماء بيليلها الترامى ونجومها المتلائية
وحدِيثها الفاتن • والسماء بشروقها الجميل الحسي السافر ••• أفلا
ينظرون اليها كيف رفعت ؟ من ذا رفعها بلا عمد ؟ ونثر فيها
النجوم بلا عدد • و جعل فيها هذه البيجة وهذا الجمال وهذا
الايحاء ؟

انهم لم يرفعوها • وهي لم ترفع نفسها • فلا بد لها من رافع
ولا بد لها من مبدع • ولا يحتاج الى علم ولا الى كد ذهن فالنظرة
الواعية وحدها تكفي • انه :

* الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان
والنجم والشجر يسجدان والسماء رخصيا ووضع الميزان *

* والى الجبال كيف نصبت * والجبال عند العربي بصفة خاصة
ملجأ وملاذ وانيس وصحاب • ومشهدا يوحى للنفس الانسانية - بصفة
عامة جلالة واستهوالا • حيث يتضاءل الانسان الى جوارها ويستكين ويخشع

للجمال السامي الرزين * والنفس في احضان الجبل تتجه بطبيعتها
الى الله * وتشعرانها اليه اقرب " اهـ

وهي خلق عجيب منها الكبير والصغير وكما اختلفت مساحاتها
واجامها اختلفت الوانها :

* ومن الجبال جدد بيض وحمرة مختلف الوانها وخرابيب سود * (١)

فهذه الايات قد جمعت بين خلق الابل والسماء والجبال والارض *
وربما سأل سائل عن سر هذا التنظيم لهذه الايات الكونية الاربعة ولقد
اجاب الزمخشري رحمه الله على هذا السؤال فقال :

قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وواديتهم فانتظمتها
الذكرة على حسب ما انتظمتها نظرهم " اهـ (٢)

ومما ورد في هذا الشأن قسم الله تعالى ببعض مخلوقاته ومنها السماء
وما فيها وما عليها :

* والشمس وضحاها والقمر اذا تليها والنهار اذا جلاها والليل اذا
يغشىها والسماء وما بناها والارض وما طحاها * ونفس وما سواها * (٣)

فانه سبحانه يقسم بهذه الخلائق والمشاهد الكونية كما يقسم بالنفوس
وما سواها ومن شأن هذا القسم ان يخلق على هذه الخلائق قيمة كبرى
وان يوجه اليها القلوب تتملاها وتتدبر ما ذالها من قيمة وما ذالها من
دلالة حتى استحقت ان يقسم بها الجليل العظيم * ومشاهد الكون وظلوا هره

(١) اية ٢٧ سورة فاطر

(٢) ج ٢ ص ٥٤٧

(٣) الايات من ١ -

اطلاقاً بينها وبين القلب الانساني لفئة سرية متعارف عليها في صميم
الفطرة واغوار المشاعر ، وبينها وبين الروح الانساني تجارب ومفاجآت
بغير نبرات ولا صوت وهي تنطق للقلب وتوحى للروح ، وتنهيــــــــــــط
بالحياة المأنوسة للكيان الانساني الحي . . " (١) أه

من اجل ذلك كان توجيه القلب الى مشاهد الكون بشتى الاساليب
في شتى المواضيع تارة بالتوجيهات المباشرة وتارة باللمسات الحانية كهذا
القسم بتلك الخلائق المشاهد . "

ولقد ذكرنا الحق جمل وعلا انه اودع في هذه الارض من الايات ما
يدل كل عاقل متدبر الى ان وراء هذا الكون الهيا قد ابدعه :

✽ وفي الأرض آيات للموقنين ✽ (٢)

الموحد بين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى
المحرفة ، فهم ناظرون بعيون باصرة وافهام نافذة ، كلما رأوا آية
عرفوا وجه تأملها فزادوا ايماناً مع ايمانهم وبقيناً على يقينهم .
كما وجه الله عز وجل الانسان الى أن ينظر الى نفسه من خلقه
واوجده وزوده بالسمع والبصر وكل مقومات الحياة وجعله مكرماً عزيزاً وسط
الخلائق :

✽ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ✽ (٣)

(١) المجلد الثامن ص ٥٨٨

(٢) آية رقم ٢٠ سورة الذاريات

(٣) آية رقم ٢١ سورة الذاريات

يقول الزمخشري في الكشاف :

في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها
من عجائب القطر وبدائع الخلق ما تتعير فيه الازدهان • وحسبك من القلوب
وما ركز منها من العقول • وخصت به من اصناف المعاني • وبالأسن
والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الايات
الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة المدير •

دع الاسماع والا بصار والاطراف وسائر الجوارح وتأسيها لما خلقت
له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني • فانه اذا حبس
شيء منها جاء العجز واذا استرخى اتاح الذل (٢) أه
فتبارك الله أحسن الخالقين •

ولكنه الانسان تعالى على الحق وتكبر واصابه الضرور حتى سلك
الوعر من المسالك •

* يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقكم فسواك فمدلك
في أي صورة ما شاء ركبك * (٢)

فقد خلق الانسان سويا سالم الاعضاء معتدلا متناسبا الخلق من غير
تفاوت فيه ، فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين اوسع • ولا
بعض الاعضاء ابيض وبعضها أسود • ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر •
فسبحان من خلق فسوى وقد رفهدي • وخلاصة القول :

(١) ج ٤ ص ١٦-١٧

(٢) الايات من ٦-٨ سورة الانفطار

ان القرآن الكريم قد دعا الى النظر في آيات الله في السموات والأرض
وجعل من الكون محرابا للفكر وكتابا للمعرفة ودليلا على وحدة التدبير
والنظام . (١)

* ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والأرض لايت لقوم يحقلون * (٢)

(١) منهج القرآن في التربية للاستاذ / محمد شديد ط مؤسسة الرسالة .

(٢) آية ١٦٤ سورة البقرة .

الباب الثالث

في

المقصد الثاني من مقاصد السور المكية وهو

إنبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث

في المقصد الثاني من مقاصد السور المكية وهو اثبات
رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أربعة مباحث

البحث الأول

في بيان حالة المجتمع الجاهلي قبيل البعثة المحمدية

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل الى الناس كافة
وكان مبعثه بمكة ، حيث انبعث النور الالهي ليبيد الظلام الذي
اكتنف العالم ، فما هي الحالة التي كان عليها المجتمع آنذاك ؟
يمكننا ان نعرف ذلك من خلال الصورة التي نقلها الصحابي
الجليل جعفر بن ابي طالب (١) للنجاشي ملك الحبشة ، حيث جاء وفد
القرشيين (٢) لا سترجاع المهاجرين الاوائل من الحبشة .

قال جعفر رضي الله عنه :

أيها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ،
ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، وننسى الجوار ، ويأكل القوي منا

(١) هو جعفر بن ابي طالب بن عبد المطالب بن هشام أحد السابقين الى

الاسلام .

(٢) كان الوفد يتكون من : عبد الله بن ابي ربيعة وعمر بن العاص بن وائل .

الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بحث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسيبه وصدقته
وامانته وعفافه • قد دعانا الى الله ، لنوحده ونعبده • ونخلع ما كنا
نعبد نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان • وامرنا بصدق الحديث ،
واداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ،
ونهبانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا
أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا • وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام
فصدقناه وآمنا به واتبعناه" (١)

فهذا النص يبين لنا الحالة التي كان عليها المجتمع العربي عامة ، وفي
مكة خاصة وهي العاصمة الدينية والتجارية والسياسية • حيث تبع ذلك
تنكك في جميع شؤون الحياة • فقد عمت الوثنية وغالوا فيها ، واطعموا
بالاصنام حتى كان في جوف الكعبة وفنائها ثلاثمائة وستون صنما •
جاء في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب التفسير -

سبب :

* وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * (٢)

قال حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن ابن أبي نجیح عن مجاهد
عن أبي ممر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه • قال : دخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنهم بعود
في يده ويقول :

* جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * (٣)

(١) سيرة بن هشام ج١ ص ٣٣٦ طثانية • الحلبي •

(٢) آية رقم ٨١ من سورة الاسراء (٣) فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٠

يقول الازرقى (١) في كتابه اخبار مكة :

" وحضر ابراهيم عليه السلام جبا في بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة • وهو الجب الذي تصب عليه عمرو بن لحي " هبل " الضم الذي كانت قريش تعبده وتستقسم بالازلام (٢) "

قلت : كان هذا الحال الى ان فتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم

مكة فأزال هذه الاصنام وطهر البيت من رجسها • كما تقدم •

كذلك تفككت روابط المجتمع الأسرية وفشى فيهم الزنا • وتعددت

صور الانكحة الفاسدة • فقد روى البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها قالت :

ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء :

١ - فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل الرجل وليته

أو بنته فيصدقها ثم ينكحها •

٢ - والنكاح الاخر : كان الرجل يقول لامراته اذا طهرت من

طامها ارسلني الى فلان فاستبضع مني ويحتزليها زوجها ولا يمسيها أبدا

حتى يثبت حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه • فاذا تبين حملها

اصابها زوجها اذا أحب • وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد • فكان

هذا النكاح نكاح الاستبضاع •

(١) هو ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقى ت سنة ٢٢٣ هـ

(٢) الازلام جمع مفردهما : زلم وهو السهم التي كان اهل الجاهلية يستقسمون

٣ - وشكح آخره : يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة وكلهم يصيبها فاذا حملت وضعت ومر عليها لئلا بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها . تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم . وقد ولدت فيموا ابنك يا فلان . تسمى من احبت باسمه فيلحق به ولدها . ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

٤ - والفكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة ولا تمتنع من جاءها - وهن البفايا - كن ينصبن على ابوابهن الرايات تكون علما فمن ارادهن دخل عليهن . فاذا حملت احدهن وضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة (١) ثم الحقوا ولدها بالذي يرون . ودعى ابنه ولا يمتنع عن ذلك .

ومن الامراض التي كانت متفشية في المجتمع قبيل البعثة المحمدية :

شرب الخمر :

فقد كانت هذه العادة الذميمة متفشية فيهم حتى سجلوها في شعرهم ونشرهم وشغلوا مساحات كبيرة من الشعر الجاهلي ، كما كثرت اسماؤها وصفاتها . ووصفت مجالسها وما يدور فيها . وكانت الخمارات مفتحة الابواب دائما يرفع عليها علم يسمى القافة (٢) كما كانوا يلعبون الميسر لا ينفكون عنه الا ما ندر . قال قتادة : كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله ، فيقصد

(١) من قفا اثره الى تتبعه - وابه عدا وسما

(٢) المخصص لابن سيدة ج ١١ ص ٨٢

حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره . فكلفت تورث بينهم عداوة
وبفضا (١) .

وبجانب ذلك كله كان الربا : فقد كان اهل الحجاز من العرب واليهود
يتعاطون الربا ، وكان فيها فاشيا وكانوا يبلغون فيه حد الخلو والقسوة .
قال الطبرى :

كان الربا في الجاهلية في الاجل وفي السن . يكون للرجل فضل
دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول له : تقضيني أو تزيدني ؟ فان كان
عنده شىء يقضيه ، والا حوله الى الست التي فوق ذلك . ان كانت
ابنة مخاض (٢) يجعلها ابنة لبون (٣) في السنة الثانية . ثم حقه (٤)
ثم جذعه (٥) ثم رباها (٦) . هكذا الى فوق .

وفي الصين يأتيه فان لم يكن عنده اضعفه أيضا . فتكون
مائة فيجعلها الى القابل مأتين . فاذا لم يكن عنده جعلها أربعمائة
يضعفها^{له} كل سنة أو يقضيه .

ومن عاداتهم الذميمة معاطتهم القاسية للمرأة حتى كادوا
يجردونها من انسانيتهما . فهي توكل حقوقها وتبتز أموالها وتحرم

(١) تفسير الطبرى ج ١٠ ص ٥٧٣

(٢) ابنة مخاض : هي التي اوفت سنة ودخلت في الثانية .

(٣) ابنة لبون هي التي اكملت اثنتين ودخلت في الثالثة .

(٤) حقه هي التي اكملت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة .

(٥) جذعة هي التي اكملت اربع سنين ودخلت في الخامسة .

(٦) رباها : هو الذى بين الشية والنبأ .

من نصيبها من الارث • وتعزل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من ان تنكح زوجها ترضاه • ومعبرة اخرى فهي تورث كما يورث المتاع والآية التي توضح لنا ذلك آية سورة النساء حيث يقول الله تعالى :

* يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفدحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيهم خيرا كثيرا* (١)

جاء في تفسير الطبري : عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان الرجل اذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها او يحبسها حتى تفتدى بصدقتها او تموت فيذهب بمالها •

وقال عداء بن ابي رباح :

ان اهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم •••••

وقال السدي : ان الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فالقى عليها ثوبه فهو أحق بها ان ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها • وان سبقته فذهبت الي أهلها فهي أحق بنفسها " (٢)

ومن المعادات المقوتة التي كانوا عليها : قتل اولادهم خشية الاملاق وبنط تهيم خشية الحار ولذلك نهى القرآن الكريم عن هذه العادة الذميمة وبين لهم بأن الرازق هو الله تعالى وان فعلهم هذا هو خطأ كبير • قال تعالى :

﴿ قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين

احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أطلاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ (١)

وفي سورة الاسراء :

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية أطلاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم

كان خطأ كبيرا ﴾ (٢)

وعندما يبشرا أحدهم بأنه رزق بنتا • كانت الدنيا تسود في عينيه

وتعلو الكآبة وجهه من سوء ما بشر به كما حكى ذلك القرآن الكريم ضة

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى

من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء

ما يحكمون ﴾ (٣)

وقد حصل ودسوها في التراب كما ذكر ذلك القرآن الكريم :

قال تعالى :

﴿ وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ (٤)

وإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم ؟ (٥)

(١) آية رقم ١٥١ سورة الانعام

(٢) آية رقم ٣١

(٣) آية رقم ٥٩ سورة النحل

(٤) سورة التكويرة آية رقم ٨

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٧

هذا بالإضافة الى انتشار العصبية القبلية وسيادة مبدأ انصراخك
ظالماً أو مظلوماً . وليس المراد بذلك رد الظالم عن الظلم بل دفع
الظالم بارتكاب مزيد من الظلم كما صور ذلك شعراً هم ، يقول زهير
بن ابي سلى :

ومن لم يند عن حوضه بسلاحه يهدم

ومن لا يظلم الناس يظلم (١)

يقول الأستاذ ابو الحسن الندوي في كتابه القيم : ماذا خسر العالم

بانحطاط المسلمين :

” بحث محمد صلى الله عليه وسلم والعالم بناءً أصيب بزلزال شديد هزّه
هزا عنيفاً . فاذا كل شيء فيه في غير محله ، فمن أساسه ومتاعه
ما تكسر ومنه ما التسوى وانحطاف ، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل
بمكان آخر ، ومنه ما تكدر وتكوم . نظر الى العالم بحين الانبياء
فرأى انساناً قد هانت عليه انسانيته . رآه يسجد للحجر والشجر والنهر .
وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر . رأى انساناً مكوساً ، قد فسدت
عقليته فلم تعد تستسيخ البديهيّات وتعقل الجليات . وفسد نظام فكره
فاذا التطرى عنده بديهي ، وبالعكس ، يستريب في موضع الجزم ،
ويؤء من في موضع الشك ، وفسد ذوقه فصار يستحلى المر ، ويستطيب
الخبث ، ويستمرى والخيم . وبطل حسه فاصبح لا يبغض العدو
الظالم ولا يحب الصديق الناصح . رأى مجتماً هو الصورة المصفرة للعالم ،

(١) ديوان زهير بن ابي سلى ص ٨٨ طبعة دار بيروت للطباعة والنشر

كل شيء فيه في غير شكله أوفى غير محلح • وقد أصبح فيه الذئب راعيا •
والخصم الجائر ظببا • وأصبح المجرم فيه سعيدا طيبا • والصالح
محروما شقيا ••••• رأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها
الى هوة الهلاك • رأى معاقرة الخمر الى حد الادمان • والخلاعة والفجور
الى حد الاستهتار • وتعاطى الربا الى حد الاغتصاب • واستلاب الأموال
ورأى الطمع وشهوة المال الى حد الجشع والنهم • ورأى القسوة والظلم
الى حد الوأد وقتل الاولاد * (١)

قلت : يؤكّد كل ذلك في ايجاز قوله تعالى :

* هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * (٢)

فقوله تعالى : * وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * هو الوصف

الصادق للحالة التي سبقت المصطفى صلى الله عليه وسلم •

ومع هذا كله فقد كان هناك نفر ذو عقل وبصيرة قد رفضوا ما عليه

قومهم من الشرك ولجأوا للبحث عن ديانة يدنون بها للخالق جل وعلا •

قال ابن اسحق :

واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه

وينحرون له ويعكفون عنده ويدبرون به - أي يدأوفون حوله - وكان

ذلك عيدا لهم في كل سنة يوما • فخلص منهم اربعة نفر نجيا

ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض قالوا

(١) ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين ص ٨٩ - ٩٠ طعاشرة دار القلم

بيروت •
(٢) آية رقم ٢ سورة الجمعة •

أجل - وهم : (١) ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي

بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوئى *

(٢) وعبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر صبره بن مدة

ابن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمه وكانت أمه
أميمة بنت عبد المطلب *

(٣) وعثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى

بن قصي *

(٤) وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبدالله

بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لوئى *

قال بعضهم لبعض :

تعلمون والله ما قومكم على شىء لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم

ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفخ * يا قوم

التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما انتم على شىء فنفروا فى البلدان

يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم * (١)

فأما ورقة بن نوفل فاستحکم فى النصرانية واتبع الكتاب من أهلها حتى

علم علما من أهل الكتاب وأما عبدالله بن جحش فأقام على ما هو عليه من

الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته

أم حبيبة بنت ابي سفيان مسلمة * فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام

حتى هلك هناك نصرانيا * وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك

الروم فتنصر وحسنت منزلته عند الملك * ووقف زيد بن عمرو ابن نفيل فلم

يدخل فى يهودية ولا نصرانية * وفارق دين قومه فاعتزل الأديان والميتة

والدم والذبايح التي ذبحت على الاوثان • ونهى عن قتل المؤودة • وقال
أعبد رب ابراهيم وبادى قومه بصيب ما هم عليه (١) • وكان على ذلك
حتى مات بجبل حراء •

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٢٤

المبحث الثاني

في انكار المشركين أن يكون الرسول من البشر

في هذا الجو العاتم بظلام الشرك والوثنية • المضطرب بالجور والظلم الملىء بالفساد في كل نواحي الحياة ، الذي تاه فيه البسطاء وحارفيه المقلاء • كان ظهور البعثة المحمدية حيث ارسل الله رسوله محمدا بن عبدالله على رأس الاربعةين من عمسه المبارك • بالهدى ودين الحق ، وانزل عليه أول ما انزل :

* اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ
وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم * (١)

وانزل عليه ايضا :

* يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر * (٢)

فنهض بأمر الله وبدأ باهل بيته ، وزوجه خديجة ومولاه زيد بن حارثة • وهكذا استمرت الدعوة • حتى جاء الامر الالهي بانذار عشيرته الاقربين • كان ذلك بعد ثلاث سنين من بداية الدعوة الاسلامية فانزل الله عليه :

* وانذر عشيرتك الاقربين * الى قوله تعالى * فان عصوك فقل
اني بريء مما تعلمون وتوكل على العزيز الرحيم * (٣)

(١) سورة القلم الايات ١ - ٥ (٢) الايات من ١ - ٧

(٣) الايات رقم ١٤ - ١٧ سورة الشعراء

فصنع لهم طعاما دعاهم في بيته فدعاهم الى الله تعالى • ولكن
عنه ابا لهب قطع عليه حديثه واستنفر القوم ليقوموا •

وكرر لهم الدعوة مرة آخر - ثم تجاوز عشيرته الى قومه فصعد الصفا

يوما ونادى :

يا معشر قريش • قالت قريش محمد على الصفا يهتف ، واقبلوا عليه
يسألونه ما له • قال : ارأيتم لو اخبرتكم أن خيلا يسفح هذا الجبل
اكنتم تصدقون ؟

قالوا : نعم • انت عندنا غير متمهم وما جربنا عليك كذبا قط •

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • يا بني عبد المطلب
يا بني عبد مناف يا بني زهرة يا بني تميم يا بني مخزوم يا بني أسد
ان الله أمرني أن انذر عشيرتي الاقربين واني لا املك لكم من الدنيا
منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا : لا اله الا الله ...

وهنا نهض ابو لهب (١) وصاح تبالك سائر هذا اليوم بهذا جمعنا (٢)

فكان الرد الالهي على أبي لهب وامثاله قرآنا يتلى :

* ثبت بدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا

ذات لهب وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد *

لم يكن غضب ابي لهب ولا رؤساء قريش بمانع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من السير في طريق الدعوة الى الله • برغم أنهم حملوا لسوء
المعارضة واخذوا يشنونها حربا بشتى الوسائل كي يثتوا رسول الله من
المضي فيما هو فيه • وتمجبوا ان يكون الرسول من البشر ولم يصدقوا أن بشرا

(١) اسمه عبد العزيز بن عبد المطلب

(٢) السيرة النبوية لابن هشام

له خصائص الانسانية يتصل بالله تعالى عن طريق ملك يوحى اليه من ربه . ولئن عجبوا من ذلك فقد عجب قبلهم قوم نوح حين جاءهم رجل منهم رسولا بشيرا ونذيرا كما قصى ذلك علينا القرآن الكريم في محكم آياته قال تعالى في سورة هود :

﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين . الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كذا بين ﴾ (١)

وكذلك عجب عاد قوم هود أن يكون الرسول بشرا يقول تعالى :

﴿ والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . افلا تتقون . قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكن رسول من رب العالمين ابلفكم رسالات ربي وانصح لكن وأعلم من الله ما لا تعلمون . او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا الا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٢)

ولما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انكر بعض القوم بيعته لانه بشر قائلين ﴿ ابعث الله بشرا رسولا يأكل الطعام كما يأكل الناس ويمشى فى الاسواق كما يمشون ﴾

(١) الايات رقم ٢٥ ٢٦ ٢٧

(٢) الايات رقم ٦٥ - ٦٩ سورة الاعراف

لأن الرسول كما يتخيلون يجب أن يكون من صف الملائكة وإذا لم يكن ملكا فليكن معه ملك ليدلهم على صدق ذلك الرسول البشرى .

ولقد تكفل القرآن الكريم بالرد على هذه الشبهة الواهية وبين أن سنة الله في جميع الأزمات أن يرسل إلى الناس واحدا منهم يختاره لذلك المنصب ويصطفيه لهذا العمل . وليس من سنته جل وعلا أن يرسل ملائكة للناس مبشرين ومنذرين . وإنما يتم ذلك بواسطة واحد من الناس لهذه المهمة الثقيلة يبين ذلك ما جاء في سورة الأنعام :

﴿ ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينفذون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾
وجاء في صدر سورة يونس المكية :

﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ﴾ (٢)

يقول الزمخشري :

كانوا يقولون العجب ان الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب . وهو من فرط حماقتهم وقصورهم على الأمور العاجلة وجبريلهم بحقيقة الوحى والنبوة . وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يحتبرونه الا في المال . وخفة الحال اعون شئ .
في هذا الباب وكذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك . . . (٣)

(١) رقم الايات من ٢-٩ سورة الانعام (٢) اية رقم ١٤٥

(٣) ج ٢ ص ٢٢٤

وقيل تحجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام (١) .

هكذا قال البيضاوي .

قلت : وكونهم تحجبوا من أن الله بعث بشرا رسولا هو المقصود .

لأن ذلك كان دأب الأمم التي سبقتهم كما جاء ذلك في سورة إبراهيم :

﴿ ألم يأتيكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين

من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم

في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه

مريب قالت رسلهم إني الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر

لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون

أن تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم

إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يبعث من يشاء من عباده وما كان

لنا أن ناتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿ (١)

سيقت هذه القصة لمشركي مكة وغيرهم للعظة والاعتبار . لأنهم

في سبيل انكار رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم مكابرة وتعاليا على الحق

انكروا أن يكون الله انزل على بشر من شيء .

فرد عليهم القرآن بأن هذا النفس غير صحيح بدليل أن الله انزل

على موسى كتابا يهدي الناس ويبهرهم ومن بعده انزل كتابا على رسوله

محمد بن عبد الله صدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه . كما صورت

ذلك آيات سورة الأنعام قال تعالى :

﴿ وما قدروا الله حقيق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل

من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون • وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
ولتذري أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون ﴿ (١) ﴾

لكثيرهم يسخرون منه ويستهمزون به ويصفونه بالجنون ويطلبون منه
أن يأتيهم بالملئكة ان كان صادقا فيما يقول : ويجعلون ان نزول الملكة
على مثل حالهم انما يكون بالمداب الأليم يقول تعالى ذكره فـ
سورة الحجر :

﴿ وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا
بالملائكة ان كنت من الصادقين • ما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴿ (١) ﴾

ثم يخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن المرسلين الذين
سبقوه قد لا قوا من أممهم تعنتا وتكديبا مثل ما يلقي من قومهم
كفاركة • وان هؤلاء لا يطلبون من الايات ما يعينهم على التصديق
وانما يفعلون ذلك طالبا للتعجيز • فلو قدر أن فتح لهم باب من السماء
وصعدوا منه لظلموا في نكرانهم ولقالوا هذا سحر وانا به كافرون • وفي
تحريرة القرآن لخبيا نفوسهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يسير في طريق الدعوة ولا يابه لهؤلاء الكذابين وامثالهم •
قال تعالى :

ولقد أرسلنا قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن - كذلك نسلكه في قلب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * (١)

ويستمر كفار قريش في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكرانهم للحق وذلك بطلبهم خورق العادات منه فبين لهم الرسول الكريم انه ليس الا بشرا رسولا يوحى اليه من ربه .
جاء في تفسير الجلالين حاشية الجمل :

لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات آخر وبينت ولزمهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعملون باقتراح الايات وقالوا : لن نؤمن لك . الخ

وروى عن ابن عباس أن نفرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا له : يا محمد ان كنت جئت بهذا الحديث - يحنون القرآن - تطلب بسبه مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رثيا من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب نبئك منه . وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي شيء مما تقولون ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون بشيرا ونذيرا فبئسنتكم

(١) الايات من ١٠ - ١٥ من سورة الحجر

رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة . وان
تردوه علي اصير لأمير الله عزوجل حتى يحكم الله بيني وبينكم .
فقللوا : يا محمد ان كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك
الذي بعثك / علينا هذا الجبل الذي ضيق علينا . ويبسط لنا بالادا
وفيجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والمراق ويبعث لنا من مضي من آياتنا
وليكن قصي بن كلاب ، فانه كان شيئا صدوقا فنسألهم عما تقول احق
هوام باطل فان صدوقك صدقناك - ثم قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا
ربك ان يعمت ملكا يصدقك . واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة تعينك على معاشك .

فقال : ما بعث بهذا .

قالوا : فاسقط كما زعمت علينا كسفا فان ربك ان شاء فعل كما تقول .
وقالوا : * لن نؤ من لك حتى تأتينا بالله والملكة قبيلا *
وقال عبدالله بن ابي أمية وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكه لا أومن
بك ابدا حتى تتخذ لك سلما الى السماء ترقى فيه وانا ننظر اليك حتى تأتينا
فتأتينا بنسخة منشورة منك وبفر من الملكة يشهدون لك بما تقول .
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا لما رأى من تباعد هم عن الهدي
فانزل الله عزوجل :

* وقالوا لن نؤ من لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها لتفجيرا أو تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو
ترقى في السماء ولن نؤ من لرقبيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . قتل سبحانه
ربي هل كنت الا بشرا رسولا . وما ضغ الناس ان يؤمنوا ان جاءهم
الا أن قالوا ابعت الله بشرا رسولا . قل لو كان في الارض ملكة يمشون

مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
انه كان بعباده .. خبيرا بصيرا* (١)

ان قضية الرسالة والرسول قد احاط بها الناس بكثير من القدسية كادت
ان تخرج بالمرسلين من بشريتهم ولكن القرآن الكريم حارب هذه الاباطيل
واكد بشرية الرسول كاملة فهو لا يحلم الغيب ولا يملك لنفسه ولا لغيره
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله كما ذكر ذلك الله تبارك وتعالى في محكم
آياته :

* قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم
انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا
تتفكرون* (٢)

ويقول تعالى :

* قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم
الغيب لا ستكثر من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم
يوء منون* (٣)

ومع هذا البيان الصريح لحال الرسول استمروا في اثاره الشبهات
حتى أخذوا ينكرون عليه فعل الأمر العادى مثل اكل الطعام والمشى
في الاسواق ويرون انه اذا كان رسولا فلماذا لا يكون معه ملك أو يلقى
اليه كنز • وهذه الامثال التى ضربوها تدل على عدم ارتفاعهم لفهم معنى

(١) الايات من ٩٠ - ٩٦ وانظر تفسير الجلالين ج ٢ ص ٦٤٧

(٢) اية رقم ٥٠ سورة الانعام

(٣) اية رقم ١٨٨ سورة الاعراف

الرسالة والرسول كما ذكر ذلك في سورة الفرقان المكية :

﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴿ (١)

تلك هي في نظرهم الحالة التي ينبغي ان يكون عليها الرسول - ولكن الله جل ذكره يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الامر غير ما يتصوره هؤلاء . وان هذه المسائل التي يثيرونها ما هي الا تكديبا بما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول تعالى :

﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ (١)

ثم يخبر الله تعالى بحال المرسلين الذين سبقوه صلى الله عليه

وسلم :

﴿ وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتننة فتتبعون ، وكان ربك بصيرا ﴾ (٢)

وحيثما يرى الرسول صلى الله عليه وسلم قومه يفتنون في وجه الحق مكابرة و عنادا يحزنه ذلك ويأس لقومه الذين يحب لهم كل خير . وهم عنه معرضون . فكان القرآن ينزل عليه بما يسرى عن نفسه ويخفف آلامه

(١) آية رقم ٧ - ٨

(٢) آية رقم ٩ - ١٠

والآيات القرآنية المكية كثيرة في هذا الشأن • منها قوله تعالى في سورة

فاطر :

* أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي

من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون * (١)

فهو يسرى عن نفسه وتحمل نيبا صريحا بالا يهلك نفسه أما

وحسرة على عدم استجابتهم لكلمة الحق • ومثل ذلك ما جاء في سورة

الشعراء :

* طسم تلك آيت الكتاب المبين • لملك باخع نفسك إلا يكونوا

مؤمنين إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين •

وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا

فصياتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون * (٢)

ومثل ذلك ما جاء في سورة الكهف المكية حينما طالبوه بالمعجزات

الحسية ومنها طاع الحياة الدنيا فبين القرآن الكريم إن الدنيا إنما هي دار

لمعرفة أعمال الناس ثم هي زائلة إلى الفناء قال تعالى :

* فملك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا

إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون

ما عليها حصيدا جززا * (٣)

وضايل استعراضنا للآيات القرآنية في عهدنا المكسي وهي تحدثنا

عن مواقف المشركين من الرسول وعجيبهم إن جاءهم منذر ضميم *

(١) آية رقم ٨

(٢) آية رقم ٦-٧ سورة الكهف

(٣) آية رقم ٦١

فسيد لا من اتباعه والايان بما جاء به يصفونه بالسحر والكذب = وتمجبون
كيف جعل الالهة المتعددة - في زعمهم - الهيا واحدا • ثم يثيرون شبهة
أخرى طالما عاشت في نفوسهم المريضة وهي :

كيف ينزل القرآن على محمد بن عبد الله دون كبرائهم وعظماهم كأنما
الرسالة في نالهم اقتراح يقترح ويرشح لها من يرغبون فيه ؟
فيخبر الله رسوله بأن هؤلاء لا يتشككون في كونه رسولا فقط بل هم
يشكون في القرآن نفسه • ولماذا يقولون ذلك وهم لا يملكون حق ارسال
الرسول ولا اصطفايتهم انما كل ذلك بيد من له ملك السموات والارض وما بينهما
كما تقص علينا ذلك آيات سورة ص قال تعالى :

* وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب
اجعل الالهة الهيا واحدا ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة
ان هذا الا اختلاق أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى
بل لما يذوقوا عذاب • ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليترقا في الاسباب جنود ما هنالك
مبرزوم من الاحزاب * (١)

قال ابن كثير سبب نزولها : قال السدي :

أن اناسا من قريش اجتمعوا فيهم ابو جهل ابن هشام والحاص بن
واثل والاسود بن المطلب بن عبد بنو ث في نفر من مشيخة قريش فقال
بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فنكلمه فيه - يمنون رسول الله -
فلينصفنا منه فليكف عن شتم الهتنا وندعه والهه الذي يحبه فانا نخاف
أن يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شيء فتعيرنا به الحرب • يقولون تركوه
حتى اذا مات عنه تناولوه • فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن

لهم على ابي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرايتهم يستأذنون عليك •
قال ادخلهم • فلما دخلوا عليه قالوا :

يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن اخيك فمره فليكشف
عن شتم آل بيتنا وندعه واليه •

قال : فيبحث اليه ابو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال :

يا ابن اخي هؤلاء مشيخة قومك واشرافهم وقد سألوك أن تكف
عن شتم المهتيم ويدعوك واليهك •

قال صلى الله عليه وسلم : يا عم افلا ادعوهم الى ما هو خير لهم ؟

قال : والاهم تدعوهم ؟

قال صلى الله عليه وسلم : ادعوهم ان يتكلموا بكلمة تدبر لهم بهيئنا

العرب ويطلقون بيها المعجم •

فقال ابو جهيل لعنه الله من بين القوم : ما هي وابيك لتطمينك

بيها وعشر أمثالها •

قال صلى الله عليه وسلم : تقولون " لا اله الا الله " فنفروا وقالوا

سلنا غيرها •

قال صلى الله عليه وسلم : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في

يدي ما سألتكم غيرها •

فقاموا من عنده غضابا وقالوا : والله لنشتمنك واليهك الذي أمرك

بهذا •

* وانطلق العمال منهم ان امشوا واصبروا على المهتك ان هذا

لشيء يراد * قال ابن كثير رواه ابن ابي حاتم (١)

قلت : لقد استكثروا الرسالة على الرسول صلى الله عليه وسلم واقترحوا ان يكون الرسول منهم او من احدى القريتين مكة أو الطائف كما ذكرت ذلك آيات سورة الزخرف ففلوا ذلك حسدا من عند انفسهم فهم يستמידون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم :

ولما جاءهم الحق من عندنا قالوا هذا سحر وانا به كافرون . وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أنهم يقسمون رخصة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون* (١)

يقول ابن كثير : ليس الأمر مردودا اليهم بل الى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها الا على اركى الخلق قلبا ونفسا واشرفهم بيتا واطهرهم اصلا . وهذا كله وأكثر منه قد توفى لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الاصطفاؤه وكان هو المختار لتبليغ رسالة رب العالمين الى الناس اجمعين وهكذا يتبين لنا كيف طالجت الآيات القرآنية في عهدنا المكي أمر الرسالة والرسول وكيف ان ذلك كان مقصدا من مقاصد السور والآيات المكية في الضال والاعم .

المبحث الثالث

في تأييد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات

بينت في المبحث السابق كيف أن المشركين أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسال رب العالمين له ، وحملوا لواء المعارضة ضده ، وضد الدعوة التي جاء بها . ولما كانت سنة الله أنه ما أرسل من رسول الا وأنزل معه ما يؤيد أنه مرسل من عند الله وهو ما اصطاح على تسميته " بالمعجزة " .

فما معنى المعجزة ؟ وما الفرق بينها وبين الكرامة ؟ والفرق بينها وبين السحر ؟

جاء في لسان العرب :

عجز عن الامر يعجز . وعجز عجزا ويقال اعجزت فلانا اذا نيتته عا جزا . . . وقوله تعالى :

﴿ والذين سمعوا في آياتنا معاجزين ﴾ (١)

قال الزجاج (٢) : معناه ظانين انهم يعجزوننا . قرئت معجزين . وتأويلها أنهم يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويشبهونهم عنه ، وعن الايمان بالآيات ، وفي التنزيل :

﴿ وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ﴾ . قال ومعنى الاعجاز : الفوت والسبق . وقال عجزني فلان اذا فاتني . (٣)

(١) آية رقم ٥ من سورة سبأ

(٢) هو : ابراهيم بن السري ت ٣١١ (٣) لسان العرب ج٣ ص ٢٣٦-٢٣٧

ويقول الزمخشري في اساس البلاغة :

واعجزني فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه (١) " اهـ

وفى تاج العروس :

والمعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر .

أى مؤخره . ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم ما اعجز به الخصم عند التحدى . والبراء للمبالغة والجمع معجزات (٢) هذا فى المعنى اللغوى .

اما فى اصطلاح المتكلمين : فهى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى

مع عدم المعارضة . تنزل من مولانا عز وجل منزلة قوله صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى (٣) ١٠١ هـ

ويحدد القرطبي رحمه الله شروط المعجزة بحيث لو اختل منها شرط

لا تكون معجزة فيقول :

أولاً : — أن تكون مما لا يتدر عليها الا الله سبحانه وتعالى . وانما و جب

حصول هذا الشرط لأنه لو أتى آت فى زمان يصح فيه مجيء الرسل (٤) وادعى الرسالة ، وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ، ويقوم ويقعد . لم يكن هذا الذى ادعاه معجزة له ، ولا دال على صدقه . لقدرة الخلق على

(١) ج ٢ ص ١٠٠

(٢) تاج العروس ج ٤ ص ٤١ - ٤٢

(٣) ام البراهين للامام السنوسى ص ١٧٦ ط دار الفكر

(٤) ولا يتصور هذا الا قبل البعثة المحمدية - لأنه صلى الله عليه وسلم

خاتم الانبياء والمرسلين .

مثله • وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها
مما لا يقدر عليه البشر •

ثانيا :
— أن تكون خارقة للمادة • وإنما اشترط ذلك لأنه لو قال مدعي
الرسالة آتني مجيء الليل بعد النهار ، و طلوع الشمس من مشرقها لم يكن
فيما ادعاه معجزة • لأن هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلا الله •
فلم تفعل من أجله ، وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه حين دعواه •

ثالثا :
— أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل • فيقول آتني
أن يقلب الله سبحانه وتعالى هذا الماء زيتا • أو يحرك الأرض عند قولتي
لها تنزلني • فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به •

رابعا :
— أن تقح على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها
معجزة له • لأنه لو قال المدعي للرسالة آية نبوتى ودليل حجتي
أن تنطق يدي أو هذه الدابة فنطقت يداه أو الدابة بأن قالت كذب وليس
هو بنبي فان هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك
المدعي للرسالة •

خامسا :
— ألا يأتي احد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة (١) اهـ
ولهذا قال تعالى :

* فاتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين *

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٦٩-٧٠ ط • دار الكتاب العربي •

وأما الكرامة فهي امر خارق للعادة يظهره الله على يد ولي من أوليائه من غير تحد ولا دعوى يدعيها . فهي منحة الهيبة يهديها الله لمن يشاء ويمنحها عن من يشاء " (١) كالذي حصل لمريم حينما كان زكريا عليه السلام يجد عندها فاكهة الشتاء في زمن الصيف . وفاكهة الصيف في زمن الشتاء . قال تعالى :

* فتقبلها ربهما يقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * (٢)

قال ابن كثير : يعنى وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف . ثم قال : وفيه دلالة على كرامات الاولياء " (٣)
فالفرق بين المعجزة والكرامة :

أولا :
ان ما يدل على صدق الانبياء يسمى معجزة وما يظهر من
الولي يسمى كرامة .

ثانيا :
ان صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى
بها خصومه ويقول ان لم تصدقونى فعارضونى بمثلها كالذى حصل من
معارضة سحرة فرعون لموسى عليه السلام . وهزيمتهم اطم معجزة

(١) بينات المعجزة الخالدق ص ٢٨ حسن ضياء الدين عتر ط دارالنصر

• حلب
(٢) آية رقم ٣٧ سورة آل عمران

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٠

الحصا ثم دخولهم في دين الله بعد ان ظهر لهم ان الذي اتى به موسى لم يكن في مقدور البشر الاتيان به . كما ذكر ذلك لنا القرآن الكريم قال تعالى :

✽ قالوا يا موسى - السحرة - اما ان تلقى واما ان نكون اول منلقى . قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انهما تسمى فابجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف انك انت الاعلى . والى ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى . فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ✽ (١)

وكالذي حصل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين حيثما قالوا ان القرآن مفترى افتراه الرسول - في زعمهم - فطولبوا ان كان الامر كما يزعمون فليأتوا بسورة مثله :

✽ ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ✽ (٢)

صاحب الكرامة يجتهد في كتماتها ولا يدعي التحدى بها .

وفرقتا : ” وهوان صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والممصية بعد ظهور المعجزة عليه صاحب الكرامة لا يؤمن بتبدل حاله ” (٣)

(١) الايات من ٦٥ - ٧٠ سورة طه

(٢) الاية رقم ٧٨-٧٩ سورة يونس

(٣) اصول الدين ص ١٧٤ - لعبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي

وتخالف المعجزة السحر لأن ذلك صنعة يمكن تعلمها وممارستها - وان ما يأتي به الساحر والكاهن واصحاب الحيل والشعوذة كل ذلك ليس خارجا عن قدرة الانس والجن .

يقول الزرقاني في شرح المواهب اللدنية :

" الحق ان السحر ليس من الخوارق . . لأنه يترتب على اسباب فهو ترتيب سبب على سبب جرت العادة الالهية بترتيبه عليه كترتيب الاسهال على شرب " السقمونيا " وشفاء المريض على شرب الأذوية الطبية فان كلا منهما غير خارق " (١)

والله تعالى يقول :

* واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يحلمون الناس السحر * (٢)

وان قد علمنا معنى المعجزة والفرق بينها وبين الكرامة من ناحية وبينها وبين ما يدعيه السحرة والكهان من ناحية أخرى فانا نقول بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الباقية القرآن الكريم واکرم بها من معجزة . أعجزت الثقلين الانس والجن فوقوا امامها منبهرين :

* قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * (٣)

(١) ج ٥ ص ٨٩ ط الآمدية

(٢) آية رقم ١٠٢ سورة البقرة

(٣) آية رقم ٨٨ سورة الاسراء

وان كان الله قد ايد رسوله بايات حسية اظهرها على يديه الا أنها
هذه الايات الحسية لم تبلغ ما بلغت المعجزة القرآنية .

يقول الباقلاني في كتابه اعجاز القرآن تحقيق الاستاذ السيد احمد

صقر :

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة اعجاز القرآن أن نبوة نبينا
محمد عليه السلام بنيت على هذه المعجزة . وان كان قد ايد بمعجزات
كثيرة الا أن تلك المعجزات قامت في اوقات خاصة واحوال خاصة وعلى
اشخاص خاصة ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم وجودها وبعضها
ما نقل نقلا خاصا الا انه حكى بمشهود من الجمع العظيم وانهم شاهدوه فلو
كان الأمر على خلاف ما حكى لا نكروه أو لا نكبره بعضهم فحل محل
المعنى الأول وان لم يتواتر حل النقل فيه . وبعضها ما نقل من جبهة
الاحاد وكان وقوعه بين يدي الاحاد . . . " (١)

قلت : واني ذاكر بعضا من هذه المعجزات الحسية بعد بيان وجوه
اعجاز القرآن الكريم . معلوم ان الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات
الساوية وهي باقية حتى يرث الله الارض ومن عليها . لذا كان لا بد من
بقاء المعجزة شاهدا على أن هذه الرسالة من عند الله .

يقول السيوطي :

ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة
خصت بالمعجزة العقلية الباقية لبراهها ذو البصائر كما قال صلى الله
عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا اوتى ما آمن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة .
(٢)

قيل : ممناه ان معجزات الانبياء انقضت بانقراض أعمارهم فلم يشاهدها الا من حضرها • ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة بما التحدى وخرق المادة في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمفجبات • فلا يمر عصر من الأعصار والا ويظهر فيه شيء ما أخبر به انه سيكون يدل على صحة دعواه • وقيل المعنى :

ان المعجزات الماضية كانت حسية تشهد بالأبصار كناقاة صالح وعصا موسى ومعجزات القرآن تشهد بالعبارة فيكون من تبعه لأجلها أكثر لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقض بانقراض مشاهدته والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول .." (١)

أقول ان القرآن الكريم هو الذى دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ربه لأنه أمر بأن يدعوه قال تعالى :

* الر كتب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * (٢)

وقال تعالى في سورة الشعراء :

* وانه - أى القرآن الكريم - لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين * (٣)

فيه يكون الانذار وبه يكون التبليغ عن رب العالمين •

قال تعالى :

* فذكر بالقرآن من يخاف وعيد * (٤)

(١) الاتقان ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ (٢) سورة ابراهيم آية رقم ٢٠٦

(٣) آية ١٥٢ - ١٩٥ (٤) سورة ق آية رقم ٤٥

ولقد ذكر به صلى الله عليه وسلم زعماء قريش حينما بدأوا في مساومته عن هذه الدعوة الجديدة كالذى دار بين عتبة بين ربيعة الذى انتدبه مشركو مكة للتفاوض مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ابن اسحق :

حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيذا - قال يوما وهو جالس في نادى قرش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبله بعضها فنصطبه أيها شاء ويكف عنا ؟ - وذلك حين أسلم حمزة ورأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكذبون .

فقالوا : بلى يا ابا الوليد . ثم اليه فكلمه .

فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من - السطة - أى الوسط . في المشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهمت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لهلك تقبل منها بعضها قال :

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع .

قال : يا ابن أخى ان كنت انما تريد ما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا . وان كان هذا الذى يأتيك رثيا - وهو ما يتراءى للانسان من الجن - تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع أى من تبع الناس - من الجن - على الرجاء حتى يداوى منه أو كما قال له . حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله

عليه وسلم يستمع منه .

قال : او قد فرغت يا ابا الوليد ؟

قال : نعم .

قال : فاصح منى .

قال : افعل .

فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون وقالوا تلووننا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ﴾

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها يقرأها ها عليه فلما سمعها
منه عتبة انصت لها والقي يديه خلف ظهره محتما عليهما يسمع منه
ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال
قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك . . . ”

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد على عتبة الا بالقرآن تلاه
عليه وهو يستمع له ملقيا يديه خلف ظهره من اول سورة فصلت حتى
قوله تعالى :

﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم

لا يستؤمنون ﴾ (١)

فيماذا رجح عتبة الى قومه بعد ما سمع كالم الله من في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ وبماذا أجاب قومه ؟ حينما سألوه بقولهم ماذا وراءك
يا ابا الوليد ؟

قال لهم : ورائى انى قد سمعت قولاً والله يا سمعت مثله قط
والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا مشرق ريش اطيعونى
واجعلوها بى واخلوا بين هذا الرجل وبينما هو فيه فاعتزلوه فوالله
ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم فان تصيبه العرب فقد كفيتموه
بخيركم وان يظهير على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم
اسعد الناس به فما زاد القوم على أن قالوا :

سحر ك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأى فيه فاصنعوا
ما بدا لكم * (١)

هذا مثال لما كان يقوم به المشركون من مساومة رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وكان رد الرسول الكريم على مثل هذه المساومات هو ان يدعوهم
الى الله باسمعهم كتاب الله تعالى معجزته التى ايده الله بها دعوته
وحفظ من التفسير والتبديل . فاذا القوم يقفون عاجزين امام التنزيل الالى
الذى نزل بلسانهم ومع ذلك لم يستطيعوا مجاراته فما هى وجوه
اعجاز القرآن الكريم ؟

قال القرطبى : وجوه اعجاز القرآن الكريم عشرة اوجه :

أولاً :- النظم البديع المخالف لكل نظم مفهوم في لسان العرب
وفي غيرها لأن نظمه ليس من نظم الشعرفى شىء وكذلك قال رب الصرة
الذى تولى نظمه :

* وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين * (٢)

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٩٣-٢٩٤

(٢) آية رقم ٦٩ سورة يس

وفي صحيح مسلم :

أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر لقيت رجلاً بمكة يزعم
أن الله أرسله - يعني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلت فما يقول
الناس ؟

قال : يقولون شاعر • كاهن • ساحر •

وكان أنيساً أحد الشعراء • قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة
فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقرأ الشعر - أي أنواعه وطرقه
وبحوره وانحائه فلم يلتئم على لسان أحد أنه شعر والله انه لصادق وأنهم
لكاذبون (١)

قلت : لقد تقدم قبل قليل قول عتبة بن الوليد بما ذكرناه من خير
قصته وفيه قول اعترافه - على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة
والبلاغة - بأنه ما سمع مثل القرآن قط • كان في هذا القول مقراً باعجاز
القرآن له ولاضرابه من المتحقيقين من الفصاحة والقدرة على التكلم بجميع
اجناس القول وأنواعه •

والباقلاني رحمه الله حينما يتكلم عن نظم القرآن يقول :

ان عجب نظمه وبديح تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما ينصرف اليه
من الوجوه التي ينصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام
واعذار وانذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف واصاف وتعليم واخلاق
كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل •
وتجدد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلح والخطيب المصقع يختلف على
حسب اختلاف هذه الأمور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو
ومنهم من يسير في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقريظ دون
التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ • (٢) الخ

ثم يقول وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والوصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا اسفاف فيه الى الرئية الدنيا^(١)

قلت : ذلك أنه كالم رب العالمين فلو كان كلام مخلوق مهما بلغ من البلاغة لوجد فيه التفاوت وصدق الله العظيم اذ يقول :

* ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * (٢)

ثالثا : — الجزالة (٣) التي لا يمكن ان تكون من مخلوق أبدا .

قال القرطبي قال ابن الحصار : فمن علم ان الله سبحانه وتعالى هو الحق علم ان مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره . ولا يصح لا عظم ملوك الدنيا ان يقول : " لمن الملك اليوم " ولا أن يقول :

" يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء "

ثم يقول القرطبي قال ابن الحصار :

وهذه الثلاثة من النظم والاسلوب والجزالة لا زمة لكل سنورة بل هي لا زمة لكل آية وبمجموع هذه الثلاثة تتميز كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها يقع التحدى والتمجيز كسورة الكوثر .

ومن هذه الوجوه : التصرف في لسان الصرب : لا وجه لا يستقل به عربى حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على اصابتهم في وضع كل كلمة وحرف في موضعه .

(١) كتاب اعجاز القرآن ص ٣٦ - ٣٧ (٢) آية رقم ٨٢ سورة النساء

(٣) الجزالة ضد الركائة .

ومنها أيضا : الاخبار عن الامور التي تقدمت من أول الدنيا الى وقت نزوله - من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه فاخبر بما كان من قصص الانبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها • وذكر ما سألته اهل الكتاب عنه وتحدوه به • من قصة اهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين • فجاءهم - وهو أمي من امة ليس لها بذلك علم - بما عرفوا من الكتب السابقة صحته فتحققوا صدقه •

يقول الباقلاني :

فمن العجيب الممتع على من لم يقف من الاخبار ولم يشتغل بدرس الاثار وقد حكى في القرآن تلك الامور حكاية من شهدها وحضرها •

قال تعالى :

﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك ﴾ (٣)

(١) آية رقم سورة القصص

(٢) آية رقم ٤٦

(٣) آية رقم ٤٤

ومنها : الاخبار عن امور لم تقع بعد ، فوقعت .

فقد أخبر تعالى بغلبة الروم للفرس في بضع سنين .

جاء في سنن الترمذى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما :

في قوله تبارك وتعالى :

﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض ﴾ (١)

قال : غلبت وغلبت : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس

على الروم لأنهم وإياهم أهل اوثان وكان المسلمون يحبون أن يظهر

الروم على فارس لأنهم أهل كتاب فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انهم سيفلبون . فذكره أبو بكر لهم فقالوا

اجعل بيننا وبينك أجل فان ظهروا كان لنا كذا وكذا فجعل أجل خمس

سنين فلم يظهرهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال : ألا جعلته الى

دون قال أراه العشر - قال أبو سعيد وا لبضع ما دون العشر . قال ثم

ظهرت الروم بعد .

قال فذلك قوله تعالى ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم

من بعد غلبهم سيفلبون ﴾ الى قوله تعالى ﴿ يفرح المؤمنون

بنصر الله ينصر من يشاء ﴾ (١)

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب انما نعرفه من حديث

سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمير - ومثال ذلك أيضا ما جاء فى

سورة القمر في قوله تعالى :

﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾

على ما ذكر ذلك في ص ٦٦ من البحث الخامس في الباب الاول .

كما هناك وفاء للوعد المشروط متى استوفى شرطه مثال ذلك قوله
تعالى :

﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ (٢)

وكوعده تعالى لمن آمن وعمل صالحا باستخلافه في الأرض :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم

من بعد خوفهم أمنا ﴾ (٣) ولقد صدق الله وعده .

قال القرطبي :

ومن ذلك ما وعد الله به نبيه عليه السلام من أنه سيظهر دينه على الأديان

بقوله :

﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ (٤)

يعنى بالحجة والبراهين وقد ظهر على شرائع الدين حتى لا يخفى

عليه شيء منها . وقد حصل هذا . وكان ابوبكر اذا اغزى جيوشه عرفهم

ما وعدهم الله من اظهار دينه ليثقوا بالنصر . وليستيقنوا بالنجح . وكان

عمر يفعل ذلك . فلم يزل الفتح يتوالى شرقا وغربا برا وبحرا .

(١) آية رقم ٣ سورة الطلاق

(٢) آية رقم ٦٥ سورة الانفال

(٣) آية رقم ٥٥ سورة النور

(٤) آية رقم ٢٣ سورة التوبة

فهذه من الاخبار الفيبية التي لا يمكن الوقوف عليها الا بوحي من

الله تبارك وتعالى .

وهذا يدل على أن الله تعالى قد اوقف عليها رسوله لتكون دلالة

صدقته . ومن وجوه اعجاز القرآن الكريم : الحكم البالغة التي لم تجر

العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمى - ومنها التناسب

في جميع ما تضمنته ظاهرا واطنا من غير اختلاف . تصديقا لقوله تعالى :

* ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا *

ومنها : اعجاز القرآن ببدائته لمن سمعه بحقل واذن واعية .

وان فيه لذكرى من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فالتاريخ يحدث ان عمرو بن الطفيل الدوسي الشاعر اللبيب قدم

مكة فاقبل عليه رجال قرشي يقولون له :

يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهيرنا قد

اعضل امره بنا - اى اشتد - وقد فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله

كالسحر يفرق بين الرجل وبين ابه وبين الرجل وبين اخيه وبين الرجل

وبين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه

ولا تسمع منه شيئا -

يقول عمرو : والله ما زالوا يسي حتى اجمعت الا اسمع منه ي شيئا

ولا اكلمه حتى حشوت في اذنى حيث غدوت الى المسجد كرسفا (١) فرقا

من ان ييلفنى شيء من قوله وأنا لا أريد أن اسمعه .

قال : فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ي صلى

عند الكعبة قال فقامت منه قريبا فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله

(١) الكرسف : القطن

قال : : فسمعت كلاما حسنا . قال فقلت في نفسي وأشكل أمسى
والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنني
أن اسمع من هذا الرجل ما يقول . فان كان الذي يأتي به حسنا قبلتسه
وان كان قبيحا تركته . قال فكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الي بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه - فقلت يا محمد
ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا - فوالله ما برحوا
يخوفونني أمرك حتى سدت اذني بكرفس لئلا اسمع قولك ثم
أبى الله الا ان يسميني قولك فسمته قولا حسنا فأعرض علي أمرك .
قال : فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسام وتلا علي القرآن . فلا
والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وشهدت
شهادة الحق . (١)

أقول : وهذا الذي كانت تخشاه قريش وهو ان من يستمع الي القرآن
بحقل وتجرد من الاعتراض لا بد ان تحصل له الهداية باذن الله . وهم
يعلمون ذلك جيدا

لأنهم يعلمون ان هذا القرآن الكريم له قوة نافذة الي العقول لتولا
الفرس الذي ران على صدورهم والتكبر الذي اصمهم واعما ابصارهم
فيها هم الزعماء القرشيين ابوسفيان بن حرب وأبوجهميل بن هشام
والاخفس بن شريق خليف بنى زهرة . خرجوا ليلة يستمعون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم
مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع

الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا وموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا
فلو رأيتم بعض سفهاءكم لا وقعتم في نفسه شيئا • ثم انصرفوا حتى اذا كانت
الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا
طالع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق • فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد
ألا نمود • فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا •

فلما أصبح الاخنس بن شرمق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى
أبا سفيان في بيته • فقال اخبرني يا ابا حفصلة عن رأيك فيما سمعت من
محمد ؟

فقال : يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها وأعرف ما يراد بها
وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها فقال الاخنس وأنا والذي خلقت
كذلك • ثم خرج من عنده حتى أتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال :
يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطمعوا
فاطمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا حتى اذا تمازجنا (١) على الركب
وكننا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمضى ندرك
مثل هذه والله لا نؤء من به ابدا ولا نصدق • فقام عنه الاخنس وتركه (٢)

فهم حسدا ومكابرة يرفضون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم • فهم
الذين كانوا يقولون اذا تلى عليهم القرآن :

﴿ قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
فاعمل اننا عاملون ﴾ (٢)

(٢) سيرة بني هشام ج١ ص ٣١٦

(١) حذاه أي صار يحداه

(٢) آية رقم ٥ من سورة فصلت

فقلوبهم لا تفقه واذانهم لا تسمع وهم الذين كانوا يولون الادبار نفورا
من سماع القرآن كما قض القرآن علينا ذلك :

* واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا
مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا • واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به
اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تنبئهم الا رجلا مسحورا •
انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * (١)

من أجل ذلك تواصلوا ألا يستمعوا اليه بل اذا سمعوا النبي يتلوه
ان يحدثوا عنده جلبية وضوضاء للتشويش على القارئ والمستمع وحتى
لا ينفذ القرآن الى القلوب •

* وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * (٢)

التدرج في التحدى :

تدرج القرآن الكريم في تحدى العرب من الكثرة الى القلة وهم في

كل عاجزون •

يقول الشيخ عبد العظيم الزقانى : في كتابه مآهل العرفان في

علم القرآن :

ومن عجيب أمر هذا القرآن وأمر هؤلاء العرب انه طالولهم في المعاوضة

وتنازل لهم عن التحدى بجميع القرآن الى التحدى بحشر سور مثله ثم

الى التحدى بسورة واحدة مثله وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من عجز

(١) سورة الاسراء الايات من ٤٥-٤٨

(٢) آية رقم ٢٦ سورة فصلت

الى عجز ومن هزيمة الى هزيمة - وهو في كل مرة من مرات هذا التحدى وهذه المطاولة ينتقل من فوز الى فوز ويخرج من نصر الى نصر " (١)
مشير بذلك الى ما ورد في سورة الطور ثم سورة هود ثم سورة البقرة
حيث قال فيما بعد :

تصور انه قال لهم في سورة الطور اول ما تحداهم :

* ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين * (٢)

فلما تقطعوا مد لهم في الحبل وقال في سورة هود :

* ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطاعتم

من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فساعلموا انما انزل
يعلم الله وألا اله الا هو فهل انتهم مسلمون * (٣)

وقال في سورة البقرة :

* وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين * (٤)

فكان عجزهم بعد ذلك اشنع وابشع وسجل عليهم الهزيمة ابد الدهر

فلم يفعلوا ولن يفعلوا ودحضت حججهم واقتضح أمرهم وظهر أمر الله وهم
كارهون " (٥)

(١) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) آية رقم ٣٢-٣٤ سورة الطور (٣) آية رقم ١٣ سورة هود

(٤) آية رقم ٢٣ سورة البقرة

(٥) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠

قول من قال ان الاعجاز في القرآن واقع بالصرفة .

والرد عليه : قال بذلك ابراهيم بن اسحاق النظام (١) الممتزلي قال :

ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقبتهم

امر خارجي . .

قال الزركشي في البرهان :

وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى :

* قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً * (٢)

فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة

لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يختلف

بذكره هذا مع ان الاجماع منمقد على اضافة الاعجاز للقرآن . فكيف يكون

معجزا غيره وليس فيه صفة اعجاز . بل المعجز هو الله تعالى حيث

سلبهم القدرة على الاتيان بمثله " (٣)

قلت : ان اجماع الأمة على ان القرآن معجز . ولقد تقدمت

الأمثلة على مراتب التحدى التي عجز العرب عن مجارات اي واحدة منها فظهر

الحق وبطل ما كانوا يعننون .

(١) هو من رؤوس المعتزلة توفي في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين

وهو توفي في القرن الثالث الهجري .

(٢) سورة الاسراء آية ٨٨

(٣) البرهان في علم القرآن ج ٢ ص ٩٤

المعجزات الحسية :

لقد قلت في مقدمة هذا البحث اني ذاكراً بعضاً من الايات الحسية التي ايد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته . هذه زيادة في اكرام الله تعالى لنبيه خاتم المرسلين فقد ايد من سبقوه من المرسلين بمعجزات حسية انتهت بانتها رسالاتهم . اما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ايد بالمعجزة القرائية الباقية ثم اتبع ذلك المعجزات الحسية التي رآها الجم الففير " وهي تجابه الحس وتظهر عجز الانسان عن معارضتها فتقيم للفكر برهاناً ملزماً على نبوة صاحبها " . (١)

قال ابن حجر في فتح الباري :

واما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدى . ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدى .

ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق الحادات شئ كثير . كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي . وان كانت افراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد . مع ان كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الففير . . (٢)

من هذه المعجزات نبع الماء من بين اصابعه الشريفة . فمن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة (٣) فتوضأ فجيش الناس نحوه . فقال ما لكم ؟

(١) بينات المعجزة الخالدة ص ٢٥

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٥٨٢ (٣) الركوة اناء من الجلد صغير

(٤) جيش بضم الجيم والماء أى اسرعوا حوله لأخذ الماء

قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك فوضع يده في
الركوة فجعل الماء يشور بين أصابعه كأمثال العيون . فشربنا
وتوضأنا - قلت كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة الف لكفانا . كنا خمس عشرة
مائة " (١)

قلت : فهذه معجزة عظيمة رآها العدد الخفير في من المعجزات
الحسية قال ابن حجر قال القرطبي :

وقضية نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد
عظيمة ووردت من طرق كثيرة . يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد
من التواتر المعنوي " (٢)

فهذه الاحاديث جاءت من طرق كثيرة تشترك كلها في معنى واحد
هو نبع الماء من بين أصابعه فيكون هذا المعنى المشترك متواتر تواترا
معنويا يفيد القطع بالثبوت .
ثم قال القرطبي :

ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم .
ومنها : انشقاق القمر :

قال تعالى :

* اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر *

قال الواحدى في اسباب النزول :

اخبرنا أبو حليم عقيل بن محمد الجرجاني اجازة بلفظه أن ابا

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٥٨١

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٤٨٥

الفرج القاضي اخبرهم قال : اخبرنا الحسين بن ابي يحيى بن حماد
قال اخبرنا ابن عوانه عن المغيرة عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد الله .
- يحيى بن مسعود - قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقالت قريش هذا سحر ابن ابي كبشة سحر كم فاسألوا
السفار . فسألوهم فقالوا نعم قد رأينا .

فأنزل الله عز وجل :

* اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يهرضوا ويقولوا سحر

مستمر *

والحديث رواه البخارى وقال :

حدثنا مسدد * حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم " واشهدوا " (١)

وفي رواية اخرى ذكرها البخارى ايضا ان ذلك جاء بعد ان طلب
المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك . اى ان يريهم آية فاراهم
انشقاق القمر .

قال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك
رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية
فأراهم انشقاق القمر " (٢)

(١) ج ٨ ص ٦١٧

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٣١

ومنها أيضا تكثير الطعام القليل ببركته صلى الله عليه وسلم . روى
البخارى عن خالد بن يحيى حدثنا عبد الواحد بن أمين عن
أبيه قال : أتيت جابرا رضى الله عنه فقال : انا يوم الخندق نحفر
فمضت كدية (١) شديدة . فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا :
هذه كدية عرضت في الخندق . فقال أنا نازل . ثم قام وبطنه
مغصوب بحجر ولبتنا ثلاثة ايام لا نذوق ذوقا فأخذ النبي صلى الله عليه
وسلم المصول فضرب الكدية فعاد كشيبا (٢) أهيل أو اهيم .
فقلت : يا رسول الله ائذن لي الى البيت - فقلت لأمرأتى : رأيت نبي
صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر . فعندك شيء ؟ فقالت :
عندى شعير وعناق . فذبحت العناق . وطأحت الشعير حتى جعلنا
اللحم بالبرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والمعجين قد انكسر
والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضح ، فقلت : طعيم لي -
فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلا . قال كم هو ؟ فذكرت له . فقال
كثير دايب - قال : قل لها : لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور
حتى آتى . فقال قوموا . فقام المهاجرون والأنصار . فلما دخل على
امراته . قال : ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار
ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : أدخلوا ولا تضغطوا .
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة / إذا أخذ منه ويقرب
الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويقرق حتى شبعوا وبقي بقية
قال كلى هذا وأهدى فان الناس اصابتهم مجاعة (٣)

(١) القطعة الصلبة الصماء من الارض

(٢) كشييا أهيل : أى صار رملا يسيل ولا يماسك

(٣) فتح البارى ج ٧ ص ٣٩٥

ومنها : الاستسقاء :

روى مسلم في صحيحه قال : حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن
أيوب وقتيبة بن حجر قال يحيى اخبرنا وقال الآخرون حدثنا اسماعيل
بن جعفر عن شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك أن رجلا دخل
المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء (١) ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب • فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما • ثم قال :
يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال : فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال :

” اللهم اغثنا اللهم اغثنا اللهم اغثنا ” قال أنس : ولا والله
ما ترى في السماء من سحابة ولا قزعة (٢) وما بيننا وبين سلح (٣) من بيت
ولا دار قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (٤) فلما توسطت
السماء انتشرت ثم أمطرت • قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتا - السبت
القطعة من الزمان واصل السبت القطع - قال ثم دخل رجل من ذلك في
الجمعة المقبلة • ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما
فقال : يا رسول الله : هلكت الأموال وانقطعت السبل (٥) فادع الله يمسكها
عنا •

(١) وهي دار كانت لسيدنا عمر سميت دار القضاء لكونها بيعت بعد وفاته

في قضاء دينه • (٢) هي القطعة من السحاب

(٣) جبل بقرب المدينة

(٤) هو ما يتقى به السيف ووجه النسبة الاستدارة والكثافة لا القدر

(٥) وهلاكها هذه المرة من كثرة الأمطار لتعذر الرعي والسلوك

قال فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء ثم قال :

اللهم حولنا (١) ولاطينا اللهم على الاكام (٢) والظراب (٣) ويطون

الاولدية ومنابت الشجر - فانقلعت - اى فامسكت السحابة الماطرة عن المدينة
الطاهرة وخرجنا نمشى فى الشمس . . (٤)

قال الامام النووى ومراده بهذا اى الراوى : الاخبار عن معجزة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم كرامته على ربه سبحانه وتعالى .
بانزال المطر سبعة ايام متوالية متصلا بسوءاله من نهر تقديم سحب ولا قزع ولا
سبب اخر لا ظاهر ولا باطن .

ومن هذه المعجزات الباهرات والايات المدهشات : تلك المعجزة التى

نقل الله سبحانه وتعالى بها سيدنا محمدا من المسجد الحرام بمكة الى
المسجد الأقصى من ثم عرج به الى السموات العليا ليريه من آيات ربه
الكبرى . ولقد خلد ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى :

سبحان الذى اسرى بعبيده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير *

(١) فى بعض النسخ حوالينا - هما صحيحان

(٢) الاكام دون الجبل واعلى من الرابطة

(٣) هى الروابى الصغار

(٤) صحيح مسلم المجلد الثانى ص ٦١٣ - ٦١٤

فقد ارشد سبحانه وتعالى في ايجاز حادثة الاسراء مبينا انه اسرى بحبده محمد صلى الله عليه وسلم في جزء من الليل • والاسراء السير بالليل خاصة وانما قيده بظرفه " ليلا " الافادة قلة زمان الاسراء لما في التنكير من الدلالة على البعض من الاجزاء • وكني عن محمد صلى الله عليه وسلم بـ " عبده " ايدانا بتمحضه واستخراجه عليه الصلاة والسلام في عبادة ربه وبلوغه في ذلك غاية الفايك ونهاية النهايات • كما يولج بذلك مبدأ الاسراء ومنتهاه •

فالمسجد الحرام والمسجد الاقصى ارض المرسلين وماوى الربانيين • وفاد بذلك أن الاسراء كان بالجسد والروح معا لذلك قال " بحبده " ولم يقل " بروح عبده " وانما اُضاف التنزيه " سبحانه " الى اسم الموصول بحده للاشمار بما في الاسراء من علية ورفعة • فأفاد أنه تعالى في نهاية التنزه عن صفات المخلوقين وعجزهم وأنه ذو القدرة الكاملة والحكمة البالغة (١) وفي الاسراء من تكريم سيد الخلق ما لا يخفى • وارهـ ته من الايات ما يكون بعضها دليلا عند القوم على نبوته •

وفي الحديث الذي رواه البخارى : ان ابا سلمة بن عبد الرحمن قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

لما كذبتنى قريش قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفت

(١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٠٥

تفسير ابي السعود ج ٣ - ص ٢٠٣ - ٢٠٤

اخبرهم عن آياته وأنا انظر اليه" (١)

يقول ابن حجر : قوله : " فجلي الله لي بيت المقدس " قيل معناه :

كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته .

ووقع في رواية عبد الله بن الفضل عن أم سلمة عند مسلم : قال فسألوني

عن أشياء لم اثبتها فكربت كربا لم اكره مثله قط فرفع الله لي بيوت

المقدس انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا نبأتهم به . ويحتمل ان يريد انه

حمل الى ان مض وضج بحيث يراه ثم أعيد .

وفي حديث ابن عباس : فجىء بالمسجد وأنا انظر اليه حتى وضع

عند دار عقل ففتحته وأنا انظر اليه .

وهذا أبلغ في المعجزة . ولا استحالة فيه . فقد احضر عرش بلقيس

في طرفة عين لسليمان وهو يقتضى انه ازيل من مكانه حتى احضر

اليه وما ذاك في قدرة الله بحزير . . .

ويقرن بحادثة الاسراء حادثة المعراج وفيها اكرم الله نبيه بعهد

أن أراه من آياته الكبرى اكرمه يشرف فريضة الصلاة عليه وعلى امته

كما تقدم ذلك في الباب الاول عند مبحث التشريع في العهد المكي .

ثم ان حادثة الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى

المسجد الأقصى في ساعة من الليل كان فيها من الاعجاز ما أدهش المكيبين

حتى جعلتهم وهم يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين مصفق

يديه وبين من وضعهما على رأسه تعجبا .

روى الامام احمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسرى بي واصبحت بمكة مربى عدو الله ابوجهميل فقال : هل كان لنا من شىء - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اسرى بى الليلة الى بيت المقدس • قال ثم اصبحت بين أظهرنا ؟

قال : نعم •

قال : فان دعوت قومك اتحدثهم بذلك ؟

قال : نعم •

قال يا معشر بنى كعب بن لؤى • قال فانفضت اليه المجالس حتى جاءوا اليه فقال : حدث قومك بما حدثتني • فحدثهم قال : فمن بين مصفوق ومن بين واضح يده على رأسه متعجبا قال : وتستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ (١)

فنعته لهم كما تقدم •

اكتفى بهذا النذر اليسير من معجزاته الحسية وهي من الكثرة حتى عدها القاضي عياض اكثر من الف معجزة كما ذكر ذلك ابن حجر في فتح البارى بشرح صحيح البخارى •

وأنا اکتفى بهذا النذر القليل منها خشية الاطالة وبالله التوفيق •

المبحث الرابع

في ذكر قصص الماضين للاعتبار

معنى القصة :

في كلامه عند مادة قَصِي " يقول الراغب الاصفهاني في

مفرداته :

القَصِي تتبع الأثر . يقال : قصت أثره . والقَصِي/الأثر

قال تعالى :

* فارتدا على آثارهما قصصا * (١)

* وقالت لأخته قصيه * (٢)

أى تتبى أثره . والقصص الاخبار المتبعة . قال تعالى :

* ان هذا ليهو القصص الحق * (٣)

وانما سميت تلك الاخبار قصصا لأن القصص بهذا المعنى يدخل

في مدلول كلمتي خبر ونبا ، وقد استعمل القرآن الخبر والنبا

بمعنى التحدث عن الماضي وان كان فرق بينهما في المحال الذي استعملا

فيه ، جريا على ما قام عليه نظمه من دقة واحكام ، فاستعمل النبا والانبا

في الاحداث الماضية من زمن بعيد .

قال تعالى في سورة ص :

* هل أتاك نبا الخضم اذ تسوروا المحراب * (٤)

(١) آية رقم ٦٤ من سورة الكهف (٢) آية رقم ١١ من سورة القصص

(٣) آية رقم ٦٢ من سورة آل عمران (٤) آية رقم ٢١

وقوله تعالى :

* نحن نقص عليك نبأهم بالحق * (١)

واستعمل الخبر والخبار في الكشف عن الوقائع القريبة المبريد :

* ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم * (٢)

والاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار وتنقيب عن

أحداث نسبها الناس أو غفلوا عنها . وعظمة ما يراد من ذلك هو

إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها و لتقييم اليها لتكون العبرة والعظة .

ولا يصح أن نطلق لفظ الحكاية على هذا النحو . لأن الحكاية يلاحظ فيها

المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط . أما القصص فانه ينقلك بنفسك وعقلك

ووجدانك الى هذا الزمان الغابر . لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة " اهـ

ولقد ذكرت في البحث الثالث من الباب الاول ان الايات القرآنية

في عيدها المكي قد ذكرت كثيرا من قصص الماضين ليكون في ذلك

عبرة وموعظة . وليكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحافز للمؤمنين على الثبات على الطريق المستقيم الذي سلكوه . وليعلم

المؤمنون ان نصر الله قريب وانه لا يتخلى عن من والاه ، بل هو يمسسه

ويراه .

ويقول الامام الشاطبي (٣) في الموافقات :

وبالجمة فحيث ذكر قصص الانبياء عليهم السلام كنوح وهود وصالح

ولوط وشعيب وموسى وهارون فلما ذلك تسلية لمحمد عليه السلام .

(١) آية رقم ١٣ من سورة الكهف

(٢) آية رقم ٣١ من سورة محمد

(٣) هو : ابراهيم بن موسى اللخبي الفرناطي المالكي ت ٧٩٠ هـ

وتثبيت لفوائده لما كان يلقي من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة
فتذكر القصة على الذي يقع له مثله وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة
بحسب اختلاف الاجوال والجميع حق واقع لا اشكال في صحته ^(١) اهـ
فالقصص القرآني انما يهدف الي غرض تربوي عال هو الحظنة
والعبرة في الاحداث والاشخاص * ومن أساء منهم ومن أحسن وموقف كل
أمام دواعي الخير والشر ^(٢)

قال تعالى في سورة يوسف :

* لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون * ^(٣)

ويقول جل شأنه في سورة هود :

* وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في
هذه الحق وهو عظة وذكرى للمؤمنين * ^(٤)

ومعنى تثبيت فوائده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر
الأدلة اثبت للقلب وارسخ للحلم ^(٥)

ان دعوة الرسل جميعا في جملتها واحدة وهم هداة البشر الى الله
تعالى * فلا عذر لمن يتخلف عن الاجابة ويتقاعس عن الدعوة بعد أن تبلفه
فالكل مسئول أمام الله تعالى :

* فلنستلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين * ^(٦)

(١) ج ٣ ص ٣٥٣ المطبعة السلفية (٢) الوحدة الموضوعية ص ٢٩٠

(٣) آية ١١١ (٤) آية رقم ١٦٠ سورة هود

(٥) الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٩ (٥) آية رقم ٦ من سورة الاعراف

وقد تتكرر القصة ، وتذكر في أكثر من موضع ، وكل ذلك لحكم سامية ومرامي عالية • واني نذكر هنا قصصا على سبيل المثال : كقصة نوح عليه السلام •

فقد ارسل الله سبحانه وتعالى نوحا الى تومه فدعاهم الى توحيد الله تعالى وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام • مثل : ود ، وسواع ، ويثوث ، ويعوق ، ونسر •

ولكنهم طغوا ونفوا ، وكلما كرر لهم الدعاء كانوا يزدادون عتوا ونفورا • حتى جعلوا اصابعهم في اذانهم • وتكفروا بثيابهم كمنى لا يراهم حتى يدعوهم • وأصروا على عادتهم هذا واستكبروا استكبارا • ووصفهم بالضلال المبين • واستهزؤا به وسخروا منه ، لأنه عاب عليهم عبادة هذه الأصنام ودعاهم الى عبادة الله وحده • فأبوا الا الاستمرار على ما هم عليه فأنصبه المدا •

وهكذا حال الفجار يسرون الابرار في ضائل مبين كما قس علينا القرآن الكريم فيما دار بين الفجار والابرار في سورة التطفيف :

* واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون * (١)

وينفي نوح عليه السلام هذه الصفة التي رماها بها قومه قائلا :

* يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين

ابلغكم رسلت ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون *

قال ابن كثير :

وهذا شأن الرسول ان يكون مبلغا فصيحا ناصحا عالما بالله لا يدركهم

- أي الرسل - أحد من خلق الله في هذه الصفات • وكما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم عرفه وهم أو فرما كانوا وأكثر جمعا :

أيها الناس : انكم مسؤلون عني فما انتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت راديت ونصحت فجعل يرفع اصبغه الى السماء وينكسر على عليم ويقول : اللهم اشهد اللهم اشهد (١) " . . .

ويرى نوح عليه السلام العجب على وجوه قومه وهو يدعوهم بهذه الكلمات الواضحة الصريحة فيرد على تعجبهم هنا بما اخبرنا به الله تبارك وتعالى :

* أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون *

أي لا تمجبوا من هذا • فان هذا ليس بدجب ان يوحى الله الى رجل منكم رحمة بكم ولدافا واحسانا اليكم لينذركم نعمة الله ولا تشركوا به • ولكمهم تمادوا في تكذيبهم واستهزائهم فحاق بهم العذاب غرقا ونجا الله نوحا ومن معه من المؤمن • قال تعالى :

* فكذبوه فانجينه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآيتنا انهم كانوا قوما عميون *

فهم عميون عن الحق لا يبصرونه ولا يهتدون اليه فبين تعالى انه انتقم لأوليائه من اعدائه وأنجى رسوله والمؤمنين ابقاء لوعده تعالى بنصرة رسوله :

(١) ج ٢ ص ٢٢٣ والحديث في صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٨٩ - ٨٩٠

* انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد

يوم لا ينفخ الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار * (١)

ولقد تكررت قصة نوح عليه السلام في كثير من السور المكية لما

فيها من العبرة والموعظة فنوح هو من أولى العزم من الرسول ولقد دعا

قومه الف سنة الا خمسين عاما وصبر على اذاهم حتى اهلك الله المكذبين

ضيمهم ونجا نوحا ومن معه من المؤمن بفضله وكرمه . قال تعالى في سورة

القمر - مذكرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقومه بما احاق بقوم نوح :

* كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر . فدعا

ربه انى مغلوب فانتصر . ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر . وفجرنا

الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر .

تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر .

فكيف كان عذابي ونذر * (٢)

وقد ذكرت هذه القصة في كثير من السور المكية وهى

تعلم من الدروس والحبر بحمل المؤمن على التمسك بحقيدتهم

كما تنذر المخالفين عذاب الله الاليم . (٣)

(١) آية ٥١ - ٥٢ من سورة طهر (٢) الايات من رقم ٩ - ١٦

(٣) ذكرت قصة نوح في سورة الاعراف من الاية ٥٩ - ٦٤ وفي سورة هود

من الاية ٢٥ - ٤٨ وفي سورة المؤمن من الاية ٣ - ٣٠ وفي سورة

الشعراء من الاية ١١١ - ١٢٠ وفي سورة القمر من الاية ٩ - ١٦ ثم في

سورة نوح باكملها . لقد ذكرت في هذه السور مفصلة بالفاظ مختلفة حسب

حاجة البيان وان كان هناك ذكر لاسم نوح وقومه في ثنايا سور مكية اخرى .

قصة عاد قوم هود :

كانت عاد قوم هود يسكنون الاحقاف شمال حضرموت وكانوا يعبدون الاصنام من دون الله . فارسل الله هودا عليه السلام ليأمرهم بعبادة الله وحده وينذرهم بأس الله مذكرا اياهم بنعم الله عليهم وبما حل بقوم نوح حينما خالفوا امر الله . لكنهم لم يستجيبوا لنداء الرسول بل وصفوه بالسفاهة والضلال المبين .

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء :

فلما عتات قوم هود على رسيم وهصوا رسوله وكذبوه وجحدوا بأيت الله التي أقامها هود على صدقه . فانه مرسل من ربه وأتبعوا أمر كل جبار عنيد من ملاء قومهم ولم تبق فائدة في انذارهم أحل الله تعالى بهم نقمته في الدنيا بأن أمسك عنهم المطر حتى جهدوا . كان كلما نزل بهم الجهد ذكرهم هود بدعوته وأنه لا ينجيهم من البلاء سوى الاستماع له والعمل بنصائحه فكان ذلك يزيدهم عتوا الى ان ارسل الله عليهم الريح الحقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فأهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأنها اعجاز نخل منقصر (١) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ونجا الله هودا والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الغليظ" (٢) . . .

(١) منقصر أى من قولك : قصرت الشجرة قلعتها من اصلها فانقصرت

انظر مختار الصحاح ج ٥٤٥

(٢) ص ٥٣ ط دار احياء التراث العربى

أقول لقد قص علينا القرآن الكريم قصة عاد قوم هود في كثير

من المواضع .

ففي سورة الأعراف : نجد قوله تبارك وتعالى :

* والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

أفلا تتقون . قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة واننا

لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول

من رب العالمين ابلغكم رسالت ربي وانا لكم ناصح أمين . أو عجبتم

أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا ان جعلكم

خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله

لعلكم تفachون *

لكنهم تمادوا في كفرهم وضادهم وتمسكوا بما وجدوا عليه

الآباء والأجداد وكقوم نوح استعجلوا العذاب الذى وعدهم به هود عليه

السلام وانذرهم به قال تعالى :

* قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا

فائتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم

رجس وغضب اتجادلوننى فى اسما سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله

بها من سلطان فانظروا انى معكم من المنتظرين *

وكانت رحمة الله بهود ومن معه من المؤمنيين ، وحاق العذاب بعاد

فكانوا عظة لغيرهم وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

* فانجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآيتنا وما كانوا

مؤمنيين * (١)

وهذه القصة فقد ذكرت كثيرا في ثنايا السور: مكة (١) حتى يكون في ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودافعا للمؤمنين للتمسك بايمانهم لما رأوا نجاته الله للمؤمنين وهلاكه للكافرين .

قصة ثمود قوم صالح :

ونورد هنا قصة ثمود قوم صالح لما فيها من العبر . وقد ذكرت هذه القصة كثيرا في ثنايا الايات المكية .

فقد ارسل الله سبحانه وتعالى صالحا الى ثمود وكانوا يشركون مع الله غيره في عبادتهم . فوعظهم صالح وذكرهم بنعم الله عليهم وأنه تعالى جعل لهم خلفاء من بعد عاد وبوأ لهم في الأرض فاتخذوا من سهولها قصورا ، ونحتوا من جبالها بيوتا . كما أمدهم الله تعالى بالمال الوفير فجعل لهم جنات وعيونا وزرعا ونسجلا . لكن ذلك أطفاهم فتمادوا في فسادهم وعصيانهم . ووصفوا صالحا بأنه ساحر . وان كان صادقا فيما يقول فليأتهم بهذا العذاب الذي يتوعدهم به . فأخرج الله تعالى لهم الناقة وأمرهم صالح بالامسوها بسوء ، ولكنهم بدلا من اطاعة الاوامر اعتدوا على الناقة وعقروها فكان ذلك بداية لنهيائهم وجعلهم عبرة لغيرهم من الأمم وآية بينة للمؤمنين قال تعالى :

(١) ذكرت هذه القصة في سورة المؤمن من الاية ٣١ - ٤٢

وفي سورة الشعراء من الاية ١٢٣ - ١٤٠

وفي سورة فصلت من الاية ١٥ - ١٦

وفي سورة الاحقاف من الاية ٢١ - ٤٤

وفي سورة الحاقة من الاية ٧ - ٨

وفي سورة الفجر من الاية ٦ - ٨ . وفي غير ذلك من السور

﴿ كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون • وما استلکم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • اتتركون فى ما همينا آمين • فى جنات وعمون وزروع وفخل المصير هضم • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين • فاتقوا الله واطيعون • ولا تدلیموا أمر المسرفين • الذين یفسدون فى الارض ولا یصلحون ﴾ (١)

فبماذا أجابت ثمود صالحا عليه السلام ؟

حكى الله تعالى قولهم :

﴿ قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين • قال هذه ناقة لهما شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء فیاخذکم عذاب يوم عظیم ﴾ لكنهم لم يستجيبوا فوقفوا فسى المحطور :

﴿ فعقروا الناقة فاصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين • • • وان ربك ليهو العزيز الرحيم ﴾ (١)
أخذهم بالعذاب ونجا الله الذين آمنوا وكانوا يتقون بفضلہ ورحمته

كما قال تعالى فى سورة فصلت :

﴿ واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العماء على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهمون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (٢)

(١) الآية رقم ١٤١-١٦٠ من سورة الشعراء

(٢) آية رقم ١٧-١٨

ولقد ذكرت هذه القصة في سور كثيرة من السور المكية كما هو مبين
بالبهامش . (١)

كذلك قص القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص غير
الانبياء . وبعض هذه القصص قد جاء نتيجة اسئلة تحدى بها المشركون
الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان سألوا اهل الكتاب عن امره فوجهوهم
الى سؤاله عن اصحاب الكهف وذى القرنين كما بينت ذلك في المبحث
الخامس من الباب الأول . بما يفنى عن اعادته هنا .

ومن هذه القصص ايضا قصة اصحاب القرية . . .

وهي قرية انطاكية وقومها وثنيون يعبدون الاصنام فارسل عيسى
عليه السلام لهما رسولين ليبلغا اهلها كلمة التوحيد . وجاء الرسولان
والتقيا برجل صالح هو حبيب النجار على ما ذكروا . وعرضا عليه الاسلام
فدلب آية تؤيد دعوتيهما . وكان له ابن مريض فشفاه الله بفضل دعائيهما
ثم توجه الرسولان الى اهل القرية وعرضا عليهما الاسلام ولكن القوم انكروا

(١) ذكرت هذه القصة في :

سورة الاعراف من الاية ٧٣ - ٧٩

وفي سورة هود من الاية ٦١ - ٦٨

وفي سورة الحجر من الاية ٨٠ - ٨٤

وفي سورة النمل من الاية ٤٥ - ٥٣

ثم في سورة فصلت من الاية ١٧ - ١٨

وفي سورة الذاريات من الاية ٤٣ - ٤٥

وفي سورة النجم من الاية ٥٠ - ٥١

وفي سورة القمر من الاية ٢٣ - ٢٦

وفي سورة الحاقة من الاية ٤ - ٥ وفي سورة الشمس من ١١ - ١٥

عليهما وآذوهما وتطايروا بهما وحبسوهما • فأرسل عيسى عليه السلام رسولا
ثالثا يعزز موقف الرجلين لكن القوم قالوا لهما ما كان يقوله المتكبرون على
رسل الله :

* ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون *

فقال لهم الرسل :

* ربنا يعلم اننا اليكم المرسلون وما علينا الا البلاغ المبين *

شأن المرسلين • وهو ما عليهم الا البلاغ المبين • فلما هدد القوم المرسلين
بالرجم • جاء الرجل المسلم حبيب النجار الذي كان قد آمن بالرسول
من قبل ودعا قومه الى اتباع المرسلين • لأنهم لا يسألونكم على دعوتكم للهداية
اجرا • فاتهموه بأنه على دينهم فلما أجاب بالاجاب رجموه فنفخ
الله له وادخله الجنة • فتضى لوان قومه علموا بما ناله من الكرامة
والرفعة عند الله حتى يسهروا على نهج المرسلين الذي سار عليه فلما
كان عناد القوم وطغيانهم ووقوفهم في طريق الحق موجبا لهلاكهم ارسل
الله تعالى اليهم جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون •
ثم كان التعتيب على هذه القصة •

الم يروا - أي اهل مكة - كم اهلكنا قبلهم من القرون أنهم

اليهم لا يرجعون *

افلا يعتبرون بذلك فيؤمنوا (١) •

قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم :

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٨ وما بعدها

* وأضرِبَ لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون • إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فمززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون • قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء • ان انتم الا تكذبون • قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون • وما علينا الا البلاغ المبين • قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجفكنم ولينسنكنم منا عذاب اليم • قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون • وجاء من أقصى المدينة رجلاً يسعى • قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون • وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون • أتأخذ من دونه آية ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون • انى اذا لفتى ضال مبين • انى آمنتم بركم فاسمعون • قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين • ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون • يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون • ألم يروا كم أهلكنا قبلهم ممن القرون انهم اليهم لا يرجعون • وان كل لما جميع لدينا محضرون * (١)

كذلك قص القرآن الكريم عليهم قصة أصحاب الاخدود :

وهو الشق في الارض بحفر مستطيلا • وجمعه أخاديد •

وأصحاب الاخدود جماعة من الكفار كانوا في القديم • وقد ظاهروا

ايمان المؤمنين المعاصرين لهم وشق عليهم ذلك فانقموا منهم

انتقاما شديدا • وذلك بأن شقوا لهم اخدودا في الارض وأضرموا

(١) الايات من ١٣-٣٢ من سورة يس •

فيه النيران ذات الوقود الشديد واللهب والدخان والقوا فيها كل ما يضر منها ويؤججها ثم جاءوا بالموء منين والقوا بهم في النار وجلسوا يشاهدون منظر الموء منين وهم يلقون في النار فرحين بذلك .

وما ذنب هؤلاء الموء منين الذي ازعج هؤلاء الكفرة حتى جازوهم هذا الجزاء الا أن آمنوا بالله العزيز الحميد .

فهؤلاء الموء منون آمنوا بالله العزيز الحميد الذي لا يمجزه شيء في السموات ولا في الأرض . وان كفر به بعض خلقه .

قال تعالى :

* قتل أصحاب الأعداء النار ذات الوقود ان هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد * (١)

جاء في التفسير الواضح : تعقبا على قصة أصحاب الأعداء :

وهذه أمثلة أخرى تؤكد أن العاقبة للصابرين وان الله مع الموء منين فاحذروا يا أهل مكة تلك العاقبة وهذه النتيجة . واحذروا أيها الظالمون نتيجة أعمالكم * (٢)

(١) الايات من ٤ الى ٨ من سورة البروج

(٢) التفسير الواضح ج ٣ ص ٣٧

ان القصص القرآنى كما أنبج عنه الله جل وعلا ء عبرة
لأولى الالباب وهو صدق لأنه أنبج به الله تبارك وتعالى .

وهو القائل :

* نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن

وان كنت من قبله لمن الغافلين *

والله ولى التوفيق .

الباب الرابع

في

المفصل الثالث من مفاصل سورة التوبة وهو:
إثبات البعث والجزاء

الباب الرابع

في المقصد الثالث من مقاصد السور والايات المكيّة

وهو اثبات البحث والجزاء

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

في تعريف البحث واثباته • وبيان أنه عقيدة سائر الأنبياء

- البحث في اللغة : هو اثاره الشيء وتوجيهه • يقال بحثه وابتعثه •
أى اثاره • بحثت الناقة اذا اثارتها • قال ابن حجر :
فبمشتها تقص المعاصر بعدما كربت حياة النار للمتنبور (١) •
ويقال بحثه وابتعثه بمعنى أرسله • ومنه قول الله تعالى :
* ولقد بحثنا في كل أمة رسولا * (٢)
أى أرسلنا • وقوله تعالى :
* وهو الذي بحث في الأُمم رسولا منهم * (٣) وقوله :
* وما كنا محذبين حتى نبعث رسولا * (٤)

(١) مجمع مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ ج ١ ص ٢٦٦

طه الحلبي

(٢) آية رقم ٣٦ سورة النحل (٣) آية رقم ٢ سورة الجمعة

(٤) آية رقم ١٠ من سورة الاسراء

” وبعثه من ضامه - ايقظه ” (١)

ويطلق البحث ويراد به احياء الله الموتى من قبورهم واماكن وجودهم ليساقوا الى موقف الحساب يوم القيامة . قال تعالى :

* وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور * (٢)

وهذا المعنى للبعث هو الذى عنينا بمعالجته فى هذا البحث .

وهو ممكن عقلا وثابت شرعا :

أما امكانه عقلا : فان الانسان يرى الارض الميتة بسبب المحل

والجذب والقسط . حيث تنعدم فيها الحياة تماما . ثم ينزل اليها

الفيث أو تسقى بالماء فتعود اليها الحياة كما كانت وخيرا مما كانت

نماء وازدهارا .

* ومن آيته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء

اهتزت وربت ان الذى احيانا لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير * (٣)

* يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البحث فانا خلقناكم من تراب

ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم

ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا

أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارجل العمر لكي لا يعلم من بعد علم

شيئا . وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل

زيج بريج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شىء

قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور * (٤)

(١) مختار الصحاح ص ٥٧ حمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى ط ٥ دارالمروية

بيروت

(٢) آية رقم ٧ سورة الحج (٣) آية رقم ٣٩ سورة فصلت

(٤) الايات من ٥ - ٧ من سورة الحج

يقول الدكتور محمد صادق عرجون رحمه الله :

" فعمود الارض يسببها واقفارها من النبات بمنزلة الموت للاحياء •
واحتزازها بتحرك موادها وتفاطمها وربوها بانتفاخ قشرتها اذا انزل
الله عليها الماء بمنزلة الحياة تسرى في الموات فيشرق وينبلج بالبرهجة
وجمال المنظر •• ولما استوى الاستدلال بشقيه التطوري في خلق
الانسان وخلق النبات بما لا يدع مجالاً للتوقف في قبول النتيجة - جاءت
تلك النتيجة في صراحة ظاهرة كأمر حتمي لا يسع العقول السليمة
من المناد انكاره بمد استقامة المقدمات ووضوحها •• ذلك بأن الله
هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير • وأن الساعة
آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور • والاشارة التي بدأت
بهذه النتيجة الحتمية تعود الى ما تقدم من ادوار الخلق في الحيوان
والجماد والنبات " (١)

" ان الشيء اذا لم يكن ثم كان واعدم كانت اعادته ايسر واهون
على من يراه أول مرة ثم اعدمه وافناه فالذى بنى داراً ثم هدمها لا يستحيل
عليه ولا في حقه اعادة بنائها كما كانت وخيراً مما كانت وهذا النوع من
الاستدلال الحقلى ورد في سورة الروم في قوله تبارك وتعالى :

* وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهلون عليه وله المثل الأعلى
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم * (٢)

(١) القرآن العظيم هداية واعجاز ط • مكتبة الكليات الازهرية •

(٢) آية رقم ٢٧ من سورة الروم

ومن الآلة العقلية على امكانية البحث :

اختلاف سلوك الناس في هذه الحياة بالخير والشر والصالح والفساد
فان العقل السليم لا ينكر وجود حياة اخرى يجازى فيها كل عامل بما عمل
من خير وشر • لعدم استكمال المجازاة في هذه الحياة : قال تعالى :

* انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ءاضوا وعملوا الصالحات

بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكسفون * (١)

يقول الزمخشري في الكشاف :

فقد وضع الله في العقول وركب في الفرائض وجوب الجزاء •

(٢)

وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب * اهـ

أما الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على اثبات البحث فهي

كثيرة منها ما جاء في سورة المؤمنون :

* ولقد خلقنا الانسان من سلقة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار

مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما

فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون * (٣)

وقوله تعالى :

* واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت * (٤)

(١) آية رقم ٤ من سورة يونس

(٢) ج ٣ ص ٢٧٩ (٣) الايات من ١٢-١٤

(٤) آية رقم ٤ و ٥ من سورة الانفطار

وقوله تعالى :

﴿ قل يتوفكن ملك الموت الذى وكل بكن ثم الى ربكن ترجعون ﴾ (١)

وقوله تعالى في سورة الروم :

﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ﴾ (٢)

وفي سورة ق تجد قوله تبارك وتعالى :

﴿ واستمع يوم يناد المنافد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ (٣)

وفي سورة القمر يقول تبارك وتعالى :

﴿ يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا ابصرهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر ميطمين الى الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ (٤)

وفي سورة المارج يقول الحق جل ذكره مخاطبا نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم :

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون * يوم

يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خشمة

ابصرهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ (٥)

(١) آية رقم ٦١ سورة السجدة

(٢) آية رقم ٢٥

(٣) آية رقم ٤٢

(٤) الايات من ٦ - ٨

(٥) الايات من ٤٢ - ٤٤

كما أشبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن البحث بعد الموت حق واقع
فقد روى الامام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله :

كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتى ولم يكن له ذلك .

فأما تكذيبه اياى فقوله :

لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته
واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد
ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد " (١)

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب

النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

انكم محشورون الى الله حفاة عراة عزلا كما بدأنا أول خلق
نميده وعدا علينا انا كنا فاطنين " (٢)

وروى البخارى بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا

قال يا نبي الله ابحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟

قال أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه

على وجهه يوم القيامة . قال فتادة بلى وعزة ربنا " (٣)

(١) ج ٦ كتاب التفسير ص ٢٦٦ ط دار التراث العربى بيروت

(٢) ج ٦ ص ١٢٦

(٣) فتح البارى ج ٨ ص ٤٩٢

البعين

ثم ان يوم القيامة انما يكون بالروح والجسد معا كما اخبر بذلك الحق تبارك وتعالى وبين ذلك النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم .
فقد قال سبحانه وتعالى في سورة القيامة :

* اِحسب الانسان ان لن نجعم عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه * (١)

يقول الزمخشري في الكشاف :

والمعنى : تجميعها بعد تفرقتها ورجوعها رهيما ورفاتا مختلطاً بالتراب وبعدها سعتها الرياح وطيرتها في ابعاد الارض قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخرا يتم من خلقه " (٢) اهد.

ويقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه : الانسان في القرآن :

" ان فيما ورد في القرآن الكريم عن البحث من القبور التي احتوت اجسام الموتى والتي تحولت فيها هذه الاجسام الى تراب انما يبحث فيها الانسان ايا كان المصير الذي صار اليه سواء كان اختلط بتراب الارض او بنباتها او حيوانها " (٣)

ومن هذه الايات ما جاء في سورة النور :

* ان الذين يرمون المحصنت الغافلات المؤمنت لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون * (٤)

(٢) ج ٤ ص ١٩٠

(١) آية رقم ٣ - ٤

(٣) ص ٢٢٢ ط دار الفكر العربي بيروت (٤) آية رقم ٢٣ - ٢٤

وفي سورة يس نحو قوله تبارك وتعالى :

* اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون • ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخنهم على مكانتهم فما استداعوا مضيأ ولا يرجعون * (١)

يقول سيد قطب في كتابه مشاهد القيامة في القرآن : وهو يتكلم عن هذه الآيات :

فنحن امام مشهد جديد عجيب : هؤلاء هم الكافرون يختم على افواههم فلا تملك المستقيم النطق بينما تنطلق ايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما كانوا يكسبون • انه لمشهد يثير الخيال ويحرك الوجدان حيث تنقلب الأحوال وحيث يواجه الانسان هذا الحادث الفذ • يخذل بعضه فيه بعضا • وتشهد جارحة على جارحة وتفكك الشخصية الانسانية الى اجزاء (٢)
وأحاديث

وفي مكان آخر يحتج هؤلاء على حواسم لم شهدتم عليهم فتجيبهم بأن الذي انطقها هو الله الذي انطق كل شيء •

قال تعالى في سورة فصلت :

* ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يزعمون • حتى اذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء • وهو خلقكم

(١) الايات ٦٥ - ٦٧

(٢) ص ٩٤

أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين * (١)

فهذه الايات القرآنية تثبت أن المبعوث من قبره هو الانسان بجوارحه
وحواسه : لأنها الشاهد عليه يوم القيامة ولا فرار من شهادتها :

* ينبوء الانسان يومئذ بما قدم وأخر • بل الانسان على نفسه
بصيرة ولو ألقى معاذيره * (٢)

يقول الزمخشري في الكشاف في تفسيرها :

البصيرة : حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت

الايات بالابصار في قوله : * فلما جاء تيمم اياتنا مبصرة * (٣) •• أو عيّن
بصيرة • والمعنى ينبأ بأعماله •• ففيه ما يجزي عن الانباء لأنه
شاهد عليها بما عملت • لأن جوارحه تنطق بذلك • (٤)

أما الأدلة الشرعية التي تفيد وقوع البحث في الدنيا للعبرة والاتعاظ
كثيرة منها : ما جاء في سورة البقرة في قوله تبارك وتعالى :

* وإذ قتلتم نفسا فادراأتم (٥) فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا
اضربوه ببعضها كذلك يجزي الله الموتى ويريكم آيته لعلكم تعقلون * (٦)

(١) الايات من ١٩-٢٣ (٢) الاية رقم

(٣) آية رقم ١٣ من سورة النحل

(٤) ج ٤ ص ١٩١

(٦) الاية رقم ٧٢-٧٣

(٥) أي تدافعتم واختلفتم

قال الرازي في التفسير الكبير :

روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلا من بني إسرائيل قتل قريبا
- له - لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ، ثم شكك ذلك
لموسى عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر .
قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه . فسأل الله فأوحى اليه :

✽ ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ✽

فتعجبوا من ذلك . ثم شددوا على انفسهم بالاستفهام " عنها " .
حالا بعيد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تمينت لم يجدوها بذلك
النعمة الا عند انسان ممين . ولم يبيعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها
وذبحوها ومرهم موسى أن يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتييل
ففعلوا . فصار المقتول حيا وسعى قاتله . وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه
قودا " اه (٢) (١)

يقول ابن كثير :

وفيه تعالى احيائه الموتى بما شاهدوه من امر القتييل جعل تبارك
وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد " اه (٣)
على الكافرين المنكرين لأمر البعث .

وهناك قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت .

فقد قال الله تبارك وتعالى :

(١) القود هو : بفتحين القصاص .

(٢) ج ١ ص ١١٤ ط دار الكتب العلمية طهران .

(٣) ج ١ ص ١١٢

* ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الؤف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياءهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * (١)

والاستفهام هنا للتقرير . والرؤية المذكورة هي رؤية القلب لا رؤية البصر والمعنى : تنسبه الى امر الذين خرجوا . يقسول الشوكاني :

وحاصله أن الرؤيا هنا بمعنى الادراك فتضمنت معنى التنبيه ويجوز ان تكون متضمنة معنى الانتهاء :

ألم ينته علمك اليهم .

أو معنى الوصول :

ألم يصل علمك اليهم .

ويجوز أن تكون بمعنى الرؤيا البصرية أى :

ألم تنظر الى الذين خرجوا .

جعل الله سبحانه قصة هؤلاء لما كانت بمكان من الشيع والشيعة بحمل كل واحد على الاقرار بها بمنزلة العلومة لكل فرد أو البصرة لكل مبصر والخدال جار مجرى المثل فى مقام التعجب ادعاء لظهوره وجلاله بحيث يستوى فى ادراكه الشاهد والغائب * (٢)

والآية دالة على وقوع البعث بعد الموت قال الرازى فى التفسير الكبير :

(١) آية رقم ٢٤٣ سورة البقرة

(٢) ج ١ ص ٢٦١ ط دار الفكر للتوزيع والنشر .

الآية دالة على أنه تعالى أحياهم بعد أن ماتوا فوجب القطع به . وذلك لأنه في نفسه جائز والصادق أخبر بوقوعه . أما الامكان فلأن تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد أولا . واحتمال تلك الاجزاء للحياة ممكن . والا لما وجدت أولا . ومتى ثبت هذا فقد ثبت الامكان . واما الصادق فقد أخبر عنه في هذه الآية . ومتى أخبر الصادق عن وقوع ما ثبت في الحقل امكان وقوعه وجب القطع به " اهـ (١)

وقص علينا القرآن الكريم قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وهي ايضا قد وردت في سورة البقرة :

* او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنسى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه . وانظر الى حمارك ولنجملك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبينت له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير * (٢)

وقد اختلف المفسرون في هذا المار . فقال بعضهم انه عزيز وقال آخرون انه الخضر وقيل غير ذلك . والذي يهبط هو الممنى الذي ترى اليه القصة بغض النظر عن من هو المار لان معرفة اسمه لا تضيف جديدا للمقصود . فهو قد مر ووجد هذه القرية خاوية على عروشها . فوقف متفكرا فيما آل اليه أمرها بعد العمارة العظيمة وقال :

(١) ج ٢ ص ١٦٤

(٢) آية رقم ٢٥٩

* أنى يحيى هذه الله بعد موتها *

وذلك لما رأى من دشورها وشدة خرابها وبمدها عن العمود
الى ما كانت عليه .

فأماته الله مائة عام ثم بعثه .

يقول المرحوم سيد قطب :

لم يقل له كيف ؟ وإنما أراه في عالم الواقع كيف ؟

فالمشاعر والتأثرات تكون أحيانا من **العنف** والعمق بحيث لا تعالج

بالبرهان العقلي ولا حتى بالمنطق الوجداني . ولا تعالج كذلك

بالواقع العام الذى يراه الميان . وإنما يكون الملاج بالتجربة

الشخصية الذاتية المباشرة التى يمتلئ بها الحس ويطمئن بها القلب دون

(١)
الكلام " أه

* قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم *

وذلك أنه على ما قلناه ابن كثير :

أنه مات أول النهار ثم بعثه الله آخر النهار فلما رأى الشمس باقية

ظن أنها شمس ذلك اليوم . قال تعالى :

* بل لبثت مائة عام . فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه * (٢)

وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجد كل ذلك

لم يتغير منه شئ . لا العصير استحال ولا التين حمض ولا العنب

(١) المجلد الاول ص ٤٣٨ - ٤٣٩

(٢) أى لم يتغير وهذا خلاف المادة المعروفة فى مثل هذه الحالة .

نقص • وانظر الى حمارك كيف يحييه الله عز وجل • ولنجعلك آية للناس
• أى دليلاً على المعاد • وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً •
فلما تبين ذلك له قال :

* أعلم أن الله على كل شيء قدير *

فهو القادر على كل شيء الفصالح لما يريد "اه" (١)

ومن الأدلة الشرعية التي تفيد وقوع البعث في الدنيا قصة
الخليل ابراهيم عليه السلام وهي خير شاهد على امكانية اعادة الحياة
للجسد بعد مفارقة الروح له • وذلك أنه عليه السلام سأل الله
تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى ؟ حتى يطمئن قلبه
فأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ أربعة من الطير وأن يذبحهن
ويجعل على كل جبل منهن جزءاً • ثم يدعوهن • ولقد فعل ذلك فجاءته
الطيور سعياً • كما قال الله تعالى :

* وإن قال ابراهيم رب انسى كيف يحيى الموتى قال أولم

تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا
واعلم ان الله عزيز حكيم * (٢)

يقول ابن كثير :

ذكروا أنه عمداً الى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن واتفق

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٤

(٢) آية رقم ٢٦٠ سورة البقرة

ريشيين ومزقهمين وخلط بعضهم ببعض ثم جزأهن اجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءا ٠٠٠٠ قال ابن كثير :

قال ابن عباس : اخذ رؤسهم بيده ثم امره عزوجل ان يدعوهم فداهن كما امره الله عزوجل . فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش والدم الى الدم واللحم الى اللحم - والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض (١) حتى قام كل طائر على صورته واتينه يمشين سعيا ليكون ابلغ له في الرؤية التي سألتها . وجعل كل طائر يجيء لياخذ رأسه الذي في يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم له غير رأسه يأباه . فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقدرته ولهذا قال :

* واظم أن الله عزيز حكيم *

أى عزيز لا يقلبه شيء ولا يمنع من شيء وما شاء كان بلا مانع لأنه القاهر لكل شيء حكيم فى اقواله وافعاله وشرعه وقدره (٢) اهـ

ويظهر من النص القرآنى أن سؤال ابراهيم عليه السلام لم يكن سؤال شك وإنما هو لأجل الاطمئنان - ذلك انه سأل عن كيفية الاحياء . ولم يسأل هل يحيى الله الموتى ؟

يقول الألوسى فى تفسير روح المعانى :

ويجبنى ما حرره بعض المحققين فى هذا المقام وبسطه فى الذى عن الخليل عليه السلام من الكلام وهو : أن السؤال لم يكن عن شك فى أمر

(١) الصواب ببعض

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٥

دينى والعيان بالله ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ليحيط علما بيها .
وكيفية الاحياء لا يشترط في الايمان الاحاطة بصورتها ، فالخليل
عليه السلام طلب علم ما لا يتوقف الايمان على علمه . ويدل على ذلك
ورود السؤال بصيغة كيف ؟ وموضوعها السؤال عن الحال . ونظير
هذا ان يقول القائل :

كيف يحكم زيد في الناس ؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم
ولكنه سأل عن كيفية حكمه المعلوم ثبوته ، ولو كان سائلا عن
ثبوت ذلك لقال أيحكم زيد في الناس ؟

ولما كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فينسب الى ابراهيم
- وحاشاه - شكاً . من هذه الاية قطع النبي صلى الله عليه وسلم دابر
هذا الوهم بقوله : على سبيل التواضع :

” نحن أحق بالشك من ابراهيم ” أى :

ونحن لم نشك فلأن لا يشك ابراهيم أخرى . وقيل
ان الكلام مع أفضل - احق - جاء هنا لنفسى المعنى عن الحبيب
وال خليل عليهما الصلاة والسلام أى لا شك عندنا جيمما ” (١)

كما قص علينا القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف وهم الفتية
الذين غروا بدينهم من قومهم فحفظهم الله في الكهف ثلاثمائة سنة
وتسع سنين . ثم بعثهم من رقدتهم احياء بعد كل هذه المدة وجعل
ابتعاشهم دليلا على امكانية البعث .

فقد قال الله تبارك وتعالى في سورة الكهف :

* أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجيبا
إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي
لنا من أمرنا رشدا • فرضنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * (١)
وهذه السنين فسرت لنا في آية لاحقة :

* ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا * (٢)
بعد هذه المدة بعثهم الله أحياء • وجعل قيامهم من رقدتهم
آية على أن الساعة آتية لا ريب فيها :

* وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة
آتية لا ريب فيها * (٣)

وهذه القصة مبسطة في سورة الكهف (٤) .
وفي تفسير هذه الآيات يقول : ابن كثير

ذكر غير واحد من السلف أنما كان قد حصل لأهل ذلك
الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة • وقال : قال عكرمة كان
منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد - فبعث الله
أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك * (٥)

(١) الآيات من ٩ - ١١

(٢) آية رقم ٢٥

(٣) آية رقم ٢١

(٤) الآيات من ٩ - ٢٦

(٥) ج ٢ ص ٧٧

وقد جعل الحق تبارك وتعالى احياء الموتى في الدنيا قبل
الآخرة مجزة لرسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام . قال
تعالى في سورة آل عمران :

* ورسولا الى بنى اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم انى
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن
الله . وابرىء الائمة والابرس وأحيى الموتى باذن الله * (١)
وقال جل ذكره في سورة المائدة :

* اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمت الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل واذ خلق من الطين كهيئة الطير باذنى
فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الائمة والابرس باذنى
واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم
باليينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبین * (٢)

قال الزمخشري فى الكشاف عند قوله تعالى ذكره :

* واذ تخرج الموتى باذنى * تخرجهم من القبور وتبعثهم .
قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية . (٣)

وفى التفسير الكبير للرازي : قال : قال الكلبي :

كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات " بياحى يا قيوم "

(٢) آية رقم ١١٠

(١) آية رقم ٤٩

(٣) المجلد الأول ص ٦٣٥

وأحبه عاذر وكان صديقاله • ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حيا •
ومر على ابن ميت لعجوز فدعاه ففزل عن سريريه حيا ورجع
الى اهله وبقى وولد له " اه (١)

والبصث بعد الموت هو عقيدة جميع رسل الله وقد بلغوا ذلك
لاممهم وحذروهم عاقبة ذلك اليوم كما يظهر لنا ذلك من خلال تتبعنا
لايات القرآن الكريم •

فمن ذلك ما جاء في قصة آدم ابوالبشر عليه السلام • بعد أن
امره الله هو وزوجه بالهبوط الى الارض بعد أن اكلا من الشجرة يخبره
الله عزوجل أن هذه الارض فيها مستقرهم ومقاعيم الى حين وفيها
محياتهم ومماتهم ثم منها يخرجون • قال تعالى :

* فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وفاقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة واقل لكم
ان الشيطان لكما عدو مبين • قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لتكونن من الخاسرين • قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون *
(٢)
يقول ابن كثير :

يخبر تعالى أنه جعل الارض دارا لبنى آدم مدة الحياة الدنيا
فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع
الله فيه الاولين والآخرين ويجازى فيه كلا بعمله " (٣)

(١) ج ٢ ص ٦١

(٢) الايات ٢٣ - ٢٥ من سورة الاعراف

(٣) ج ٢ ص ٢٠٧

وانذر به نوح قومه على ما حكاه عنه القرآن الكريم . قال

تعالى :

* لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم * (١)

أى عذاب يوم القيامة اذا لقيتم الله وانتم به مشركون وهذا لا يكون الا بعد البعث .

وفى سورة نوح عليه السلام : يأمر قومه بالاستغفار وشكر الله على ما أنعم عليهم من نعمه الكثيرة التى لا تحصى من مال وولد ويلفت نظرهم الى آيات الله تعالى وانهم سيموتون ثم يبعثون . فعليهم الايمان بالله القادر .

قال تعالى على لسان نوح :

* فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا * (٢)

يعنى يوم القيامة . . .

(١) آية رقم ٥٩ الاعراف

(٢) الايات من ١٠ - ١٨

وعن نبي الله موسى يخبرنا القرآن الكريم : أن موسى دعا
الله تبارك وتعالى بقوله :

* واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة أنا هدنا
اليك * (١)

كما أنذر باليوم الآخر قومه • قال تعالى :

* ولقد أرسلنا موسى بآيتنا و سلطن ميمن الي فرعون
وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم
القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه الدنيا
لسنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود * (٢)

ويستعيد نبي الله موسى من كل كافر متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب :

* وقال موسى انى عدت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب * (٣)

وها هوذا مؤمن آل فرعون يحذر قومه من كفرهم بالله
ويخاف عليهم من عقاب الله تبارك وتعالى الذى مس الأمم من
قبلهم كما ينذرهم بيوم التناد :

* ويقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للمباد ويا قوم انى

(١) آية رقم ١٥٦ من سورة الاعراف

(٢) الايات من ٦٦-٦٩ من سورة هود

(٣) آية رقم ٦٧ من سورة غافر

اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون منه برين ما لكم من الله من
عاصم ومنه يظلل الله فما له من هاد * (١)

ومن دعاء ابراهيم عليه السلام :

* رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعائى
ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * (٢)

ومن دعائه أيضا ما ذكره الحق عز وجل :

* رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين • واجعل لى لسان
صدق فى الاخرين • واجعلنى من ورثة جنة النعيم • واغفر
لابى انه من الظالمين • ولا تخزنى يوم يبعثون • يوم لا ينفع
مال ولا بنون • الا من اتى الله بقلب سليم * (٣)

ومع هذا الذى أوردناه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية
فى امكانية البحث وانه عقيدة رسل الله جميعا فقد شكك فيه
قوم وانكروه • ولقد تتبهم القرآن الكريم ورد على كل اقاويلهم
هذه وشكوكهم - على ما سنبينه فى البحث التالى •

(١) الايات من ٣٠ - ٣٣ من سورة ظفر

(٢) اية رقم ٤١ من سورة ابراهيم

(٣) اية رقم ٨٣ - ٨٩ من سورة الشعراء

المبحث الثانى

فى مناقشة منكرى البعث والرد عليهم

تقدم فى المبحث السابق بيان حقيقة البعث وإمكانية وقوعه عقلاً واثبوتة شرعاً . كما سبقنا امثلة لوقوعه فعلاً فى الدنيا للمبرة وأنه واقع فى الدار الاخرة كما بينت ذلك الايات القرآنية والاحاديث النبوية .

وأنة من الاصول العقائدية التى اجمعت عليها الديانات السماوية ومع هذا البيان فقد انكر فريق من البشر أن تكون لهم حياة بعد الموت ، ولقد اكثر القرآن الكريم وخاصة فى عهده المكى من الرد على هؤلاء المعاندين الذين يستبعدون ذلك و يقسمون جهنم ايمانهم انه لا يبعث الله من يموت فيكذبهم الله تعالى ويبطل قولهم ويخبر ان اعادة الموتى وعد من الله لحكمة بالغة وهى أن يجازى كل بعمله .

قال الله تعالى حاكياً عنهم :

* واقسموا بالله جهنم ايمانهم لا يبعث الله من يموت *

نقد ذكروا الرسل فى اخبارهم بذلك وحلفوا على نقيض ما اخبروا به فقال تعالى مكذبا لهم وردا عليهم * بلى * سيكون ذلك * وعدا عليه حقا * لا بد منه * ولكن اكثر الناس لا يعلمون *

فلجئهم يخالفون الرسل ويقعون فى الكفر - ثم ذكر سبحانه

وتعالى كلمته فى المعاد وقيام الناس لرب العالمين يوم التناد :

* ليسيين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * في إيمانهم وأقسامهم لا يبعث الله من يموت .

وفي مكان آخر حكى الله زعمهم أنهم لن يبعثوا . فآخبر الله نبيه بأنهم سيبعثون وينبؤون بما عطاوا وإن استبعدوا ذلك فإنه عند الله يسير . قال الله تعالى في سورة التغابن :

* زعم الذين كفروا أن لن ينسأ الله ببعثنا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عظمتم وذلك على الله يسير * (١)

وهذا كقولهم الذي حكاه الله عنهم في سورة سبأ :

* وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم * (٢)

يقول الزمخشري في الكشاف :

قولهم * لا تأتينا الساعة * نفى للبعث وانكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم - متى (٣) هذا الوعد - أو جيب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا اتيانها ثم اعيد اجابته مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل * (٤)

ولمذا فهم يدعون إلى نار جهنم دعا وتدفعهم الزانية دفعا

وتقول لهم :

(١) آية رقم ٧ من سورة التغابن (٢) آية رقم ٣

(٣) وردت هذه العبارة في سورة يونس آية رقم ٤٨ ، الانبياء ٣٨ ، في

النحل آية رقم ٧١ ، وفي سبأ آية رقم ٢٩ ، وفي يس ٤٨ وفي

سورة الطلح آية رقم ٢٥

(٤) ج ٣ ص ٢٧٢

* هذه النار التي كنتم فيها تكذبون افسح هذا ام انتم لا تبصرون •
اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون * (١)

ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء وأنه لا يعجزه شيء في الأرض
ولا في السماء وإنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وأمر المماد
من ذلك اذا اراد كونه فانما يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء :

* وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر * (٢)

وقال عز وجل :

* وما خلقكم ولا بعثكم الا كفن واحدة * (٣)

ولشدة كفرهم وعنادهم استبعدوا أن يعودوا خلقا جديدا بعد
أن يكونوا عظاما بالية • فقال سبحانه وتعالى لرسوله قل لهم : كونوا
اكثرا من ذلك حجارة أو حديدا أو اكبرا من ذلك مما يكبر في صدوركم
فسيعيدكم الله :

* وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا

قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم أول مرة فسينفضون (٤) اليك رؤسهم ويقولون متى هو ؟
قل عسى أن يكون قريبا • يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون
ان لبثتم الا قليلا *

(١) الايات ١٥ - ١٦ من سورة الطور

(٢) آية رقم ٥٠ من سورة القمر

(٣) آية رقم ٢٨ من سورة لقمان

(٤) أي يحركونها تعجبا من قوله

يقول جار الله الزمخشري في الكشف عند تفسيره لهذه الايات :

” لما قالوا اءذا كنا عظاما قيل لهم : كونوا حجارة او حديدا ”

فرد قوله كونوا على قولهم كنا ، كأنه قيل : كونوا حجارة او حديدا
ولا تكونوا عظاما فانه قادر على احيائكم • والمعنى انكم تستعيدون
أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحى ومن
جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة او حديدا
مع أن طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال
الحياة ” (١)

فهم في نكرانهم للمعاد يتبعون ما وجدوا عليه الآباء والاجداد •

* بل قالوا مثل ما قال الاولون • قالوا اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما

ءنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاؤلين * (٢)

وكقولهم :

* اءنا لمرودون في الحافرة (٣) اءذا كنا عظاما نخرة قالواتك

اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة (٤) * (٥)

(١) ج ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٣

(٢) الايات من ٨١ - ٨٣ من سورة المؤمن

(٣) الحافرة الحالة الاولى • يعنون الحياة بعد الموت

(٤) الساهرة هى الارض البيضاء المستوية

(٥) الايات من ١٠ - ١٤ سورة النازعات

فهم ينكرون أن يعودوا الى الحياة بعد الموت • وبعد ان صاروا

عظاما بالية يقول الزمخشري :

فان قلت بم تعلق قوله * فانما هي زجرة واحدة * قلت : بمحذوف

معناه لا تستصحبوها فانما هي زجرة واحدة • يعنى لا تحسبوا تلك

الكرة صعبة على الله عزوجل فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة

واحدة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها " اه
(١)

ونستمرح القرآن الكريم في عبده المكى وهو يعرض حججه

الواهية ويرد عليها • كما حكى قولهم هذا آيات سورة يس وردت

عليه :

* أولم ير الانسن أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين

وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم

قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * (٢)

قال الشوكانى فى فتح القدير :

" وهى - الجملة - مستأنفة مسوقة لبيان اقامة الحججة

على من انكر البعث وللتعجب من جهله ، فان مشاهدة خلقهم

فى أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى النهاية مستلزمة بالاعتراف

على قدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الأجسام وردها

(٣)
كما كانت " اه

(١) ج ٤ ص ١١٢

(٢) الايات من ٢٧ - ٢٩

(٣) ج ٤ ص ٣٨٤

وفي سبب نزول هذه الآيات قال ابن كثير قال : مجاهد وعكرمة
وعروة بن الزبير والسدي وقتادة :

جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول : يا محمد
اتزعم أن الله يبعث هذا ؟

قال : نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار " (١)
ونزلت هذه الثلاثة آيات من آخر سورة يس :

* أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين *

• إلى آخر الآيات •

وقال بعضهم القائل هذه الكلمات هو العاص بن وائل السهمي ؟
وسواء كان القائل هو أبي بن خلف أو العاص بن وائل فإن الكفار قد
قالوا هذه القولة الشنيعة وال في الإنسان للجنس نعم كل منكسر
• للبعث •

ويقول ابن كثير :

أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الاعادة فإن الله ابتدأ خلق
الإنسان من سائلة من ماء مريم فخلق من شيء حقير ضعيف مريم •
كما قال تعالى :

(١) ج ٣ ص ٥٨١ والواحدى في اسباب النزول ص ٢٤٦

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٣٨٣

* ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم * (١)

وقال تعالى :

* انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج * (٢)

فكيف ينسى هذا ويستبعد اعادة الله تعالى ذى القدرة العظيمة
التي خلقت السموات والأرض للجساد والعظام الرميمة ونسى نفسه وأن
الله خلقه من العدم الى الوجود فعلم من نفسه ما هو اعظم مما استبعده
وانكره . وجهده ولهذا قال عز وجل :

* قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم *

أى يحلم العظام فى سائر اقطار الأرض وارجائها أين ذهبت وأين
تفرقت وتمزقت ^(٣) اهـ

وفى سبيل انكارهم للمعاد يتعمللون بحالب احياء من تقدموهم من
الآباء والاجداد ان كان ما يقوله الرسول والمؤمنون فى شأن البعث
حق .

قال تعالى فى سورة الدخان :

* ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين
فأتوا بغائبنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين * (٤)

(١) الايات من ٢٠ - ٢٢ من سورة المرسلات

(٢) الاية رقم ٢ من سورة الدهر

(٣) ج ٣ ص ٥٨٢

(٤) الايات رقم ٣٤ - ٣٧ من سورة الدخان

يقول ابن كثير :

يقول تعالى على المشركين في انكارهم البعث والمعاد وأنه ما ثم
الا هذه الحياة ولا حياة بعد الموت ولا بعث ولا نشور ويحتجون
بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا
* فاتوا بأبائنا ان كنتم صدقين * . وهذه حجة باطلة وشبهه فاسدة
فان المعاد انما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بعد انقضاءها وذهابها
وفراغها يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار
جهميم وقودا . يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شريدا . ثم قال تعالى مقيدا لهم ومتوعدا ومنذرا لهم بأسسه
الذي لا يرد كما حل بأشيعهم ونظرائهم من المشركين المنكرين
للبعث كقوم تبع والذين من قبلهم فقد اهلكهم الله بسبب جرهم
وعنادهم * اهـ (١)

فالرسل ليست مهمتهم خلق المحجزات واحياء الاموات وانما هم مبلغون
عن الله تبارك وتعالى . ولا يتمنون على الله الا ما نسي . فاستبعاد هؤلاء
للمعاد ونكرانهم له لم يقم على سند ولا دليل وانما هي
دعوى باطلة قلدها فيها الآباء والاجداد وسخروا واستهزؤا برسول الله
وسيعلمون عاقبة أمرهم بعد حين وساعتها سيندمون ولات ساعة مندم .
ويسلى الله سبحانه وتعالى رسوله حينما يكشف له أمر هؤلاء الساخرين المستهزئين
ويبين له مصيرهم الذي سيؤولون اليه :

* فاستفتيهم أهم أشد خلقا أم خلقنا انا خلقناهم من طين
لا زب بل عجب ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون

وقالوا ان هذا الا سحر مبين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لبعوثون
أرؤا بآءنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا
هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم
بسه تكذبون * (١)

وفى ءسورة السجدة يخبرنا القرآن الكريم بنكرانهم البعث بعد
الموت واستبهادهم له قال تعالى :

* وقالوا اذا ضللنا فى الأرض انا لفى خلق جديد بل هم
بقاء ربهم كافرون • قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم
ترجعون * (٢)

قال الزمخشري :

قيل القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا *
يقول سيد قطب :

انهم يستبعدون ان يخلقهم الله خلقا جديدا بعد موتهم ودفنهم
وتحول اجسامهم الى رفات يغيب فى الأرض ويختلط بذراتها ويضل فيها •
فما من هذا من غرابة امام النشأة الاولى ؟ لقد بدأ الله خلق
الانسان من طين من هذه الأرض التى سيقولون ان رفاتهم سيضل فيها
ويختلط بها • فالنشأة الاخرة شبيهة بالنشأة الاولى ليس فيها غريب
ولا جديد • * بل هم بقاء ربهم كافرون * •

(١) الايات من ١١-٢١

(٢) ج ٣ ص ٢٤٣ الكشاف •

(٢) الاية رقم ١٠-١١

ومن ثم يقولون ما يقولون فهذا الكفر بلقاء الله هو يلقي
على انفسهم ظل الشك والاعتراض على الامر الواضح لذلك يرد على
اعتراضهم بتقرير وفاتهم ورجعتهم ..

* قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون*
(١)
هكذا في صورة الخبر اليقين * اهـ

وفي موقف آخر من مواقف انكارهم ليوم البعث يخبرنا الحق
تبارك وتعالى ان هؤلاء الكافرين كانوا يستبعدون حياتهم بعد الموت
وحياة آبائهم وليس الامر كما قالوا بل ان الله تعالى جامع الاولين
والاخرين في يوم المعاد .

قال تعالى في سورة الواقعة :

* واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من
يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون
على الحنث (٢) العظيم . وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظما
ءنا لمبعوثون أو آباءنا الاولون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم * (٣)

يقول ابن كثير :

يعنى انهم يقولون ذلك مكذبين مستبعدين لوقوعه . قال

تعالى :

* قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم *

(١) المجلد السادس من ظلال القرآن الكريم ص ١٦٥

(٢) الحنث العظيم هو الشرك بالله (٣) الايات من ٤٧ - ٥٠

أى أخبرهم يا محمد ان الاولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون
الى عرصات يوم القيامة لا يخادرونهم أحد . كما قال تعالى :

* ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما تؤخروه

الا لأجل محدود . يوم يأت لا تكلم نفس الا بإذنه فمنهم شقى

وسعيد ولهذا قال ههنا : * لمجمعون الى ميقات يوم معلوم * مؤقت

(١)

بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص" اهـ

وفى هذا اليوم سيكون الجزاء العادل الذى لا يظلم فيه أحد .

كما هو مبين فى البحث الثالث .

المبحث الثالث

في اثبات الجزاء على الأعمال

لقد تقدم في المبحث السابق بيان أن البحث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الخلق سيخرجون من قبورهم كأنهم جراد منتشر • ميطمين (١) إلى الداعي • وقد عنت الوجوه للحى القيوم وخشعت الأصوات فلا تسمع الا همسا (٢) •

لقد انتهى العمل في الدنيا وجاء يوم الجزاء على هذه الأعمال وهو ما سنعالجه في هذا البحث • لأنه مما افاضت فيه الآيات المكية بصورة لا توجد في غيرها من الآيات المدنية • ان الجزاء على الاعمال وما سبقه من نشر الناس من قبورهم وعرضهم على ربهم ووضع الموازين القسط للفصل بين الناس • والخصومات التي تدور بين الخلق امام الحق جل وعلا • ووصف الجنة التي أعدتها الله للمتقين وما تبع ذلك من رضوان الله عليهم • والنار التي أعدت للكافرين وما تبع ذلك من سخط الله عليهم كل هذا ما عرضته له الآيات المكية وبرزته بصورة كاملة • فعندما يجيء الأمر الالهي • بالنفخة الثانية في الصور (٣) وهي النفخة التي يخرج بعدها الناس من قبورهم فزعين قد استولى عليهم الرعب وساقطتهم الملكة

(١) أي مسرعين

(٢) الهمس الصوت الخفي

(٣) الصور هو : القرن الذي ينفخ فيه •

الى المحشر حين يجمع الله البشر من كل اقطار الارض ومع كل نفس
سائق وشهيد .

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة ق :

* ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد * (١)

ويقول تعالى :

* ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون . واشرقت
الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجاءى بالنبیین والشهداء وقضى بينهم
بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون * (٢)

وفي سورة القمر يقول تعالى :

* فتولى عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر خشما ابصارهم
يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين الى الداع يقول
الكافرون هذا يوم عسر *

وفي سورة المعارج يخاطب الحق تبارك وتعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم :

* فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم
يخرجون من الاجداث (٤) سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة

(١) الايات من ٢٠-٢٢ (٢) الايات من ٦٨-٧٠ من سورة الزمر

(٣) الاية من ٦-٨ (٤) الاجداث جمع جدث وهو : بفتحيتين معناه القبر .

ابصرهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿ (١)

أى دعيم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم فسيعلمون عاقبة ذلك ويذوقون وبالهم وسيكون ذلك حيث يقوم الناس من قبورهم ملبين دعوة الداع كانهم الى نصب أى علم وغايه ينتهيون . وقد علت وجوههم الذلّة وكساهم الهوان وذلك فى مقابلة تكبرهم فى دار الدنيا عن الاستجابة لنداء الحق تبارك وتعالى . وهذا اليوم يوم عظيم فيه من الالهوال ما يجعل السماء والارض - وهما اكبر من خلق الناس تتبدل وتتغير :

﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد ﴾ (٢) سرايلهم من قطران وتنشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ﴿ (٣)

انه يوم يتغير فيه نظام الكون . فالنجوم قد انتشرت والبحار تفجرت والقبور تبمشرت :

﴿ اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتشرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعمشت علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ (٤)

وهو يوم تدك فيه الارض والجبال والسماء مع عظمتها فهى واهية

ضعيفة :

(١) الايات ٤٢ - ٤٤ (٢) الاصفاد جمع واحدها صفا وهو القيد

(٣) الاية رقم ٤٨ - ٥١ من سورة ابراهيم

(٤) الايات من ١ - ٤ الانفطار

* فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء في يومئذ
واهية * (١)

انه يوم القارعة الذي يكون فيه الناس كالفراش المبعوث وتكون

الجبال - مع قوتها وضخامتها كالصهين المنفوش * :

* القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس
كالفراش المبعوث وتكون الجبال كالصهين (٢) المنفوش * (٣)

* اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت
الارض رجا وبست (٤) الجبال بسا فكانت هباء منبثا * (٥)

انه يوم الطامة الكبرى الذي يتذكر فيه الانسان ما قدمت يدها من

خير وشر :

* فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت
الجحيم لمن يرى * (٦)

وهو يوم الصاخة الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه *

(١) الايات من ١٣-١٦ من سورة الحاقة *

(٢) الصهين : الصوف

(٣) الايات من ١ - ٥

(٤) بست الجبال بسا أى فتت فتا * والهباء الذى يطير من النار اذا اضرمت

والمنبث الذى ذرته الرياح *

(٥) الايات من ١-٦ من سورة الواقعة

(٦) الايات من ٣٤-٣٦ من سورة النازعات *

* فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبه
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه * (١)

وهو يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل

حملها .

يقول تعالى :

* ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد * (٢)

ومع هذا الهول الشديد فان الانسان يجيء وليس معه قريب

ولا صديق حميم يقول جل ذكره :

* ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون * (٣)

وقوله جل وعلا في سورة الكهف :

* ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر

منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة
بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا * (٤)

(١) الايات من ٣٣-٣٧ سورة عبس

(٢) الايات من ١-٢ سورة الحج

(٣) آية رقم ٩٤ من سورة الانعام

(٤) الاية رقم ٤٧ - ٤٨

ثم اذا كان النسر من القبور والحشر الى ارض المحشر كان وضع الميزان
وعرض الاعمال :

* ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * (١)

* فمن ثقلت موازينه فاؤءلك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاؤءلك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون * (٢)

ولقد ورد ذكر وزن الاعمال في عدة آيات مكية منها :

قوله تعالى :

* والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاؤءلك هم
المفلحون ومن خفت موازينه فاؤءلك الذين خسروا انفسهم بما
كانوا بايتنا يظلمون * (٣)

وقوله في سورة المؤمن :

* فاذا نفع في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .
فمن ثقلت موازينه فاؤءلك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاؤءلك
الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم
فيها كالحون * (٤) (٥)

(١) آية رقم ٤٧ من سورة الانبياء

(٢) آية رقم ١٠٢ - ١٠٣ من سورة المؤمن

(٣) آية رقم ٨ - ٩ من سورة الاعراف (٤) الكلوح تكشرفى عبوس

(٥) الآية رقم ١٠١ - ١٠٤

وفي سورة البقرة :

* فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت
موازينه فإمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية * (١)
انه يوم وضع الموازين لا رقاد الحساب سوى والجزاء على
حسب الأعمال " (٢) فكل عمل عمله الانسان في دار الدنيا يجده مسجلا
مكتسوبا :

* وكل انسان الزمناه طائره (٣) في عنقه ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من
اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * (٤)
والمقصود ان غسل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ، ويكتب
عليه ليلا ونهارا صباحا ومساءً ويجمع له عمله كله في كتاب يعطاه
يوم القيامة اما بيمينه ان كان سعيدا أو بشماله ان كان شقيا . يجده
مفتوحا يقرأه هو وغيره ، فيه جميع عمله من أول عمره الى
آخره :

* ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * (٥)

(١) الايات من ٦ - ١١ (٢) انظر البيضاوي ج٤ ص ٤١

(٣) طائره : عمله وهو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه من
طار من عمله .

(٤) الايات من ١٣ - ١٥ من سورة الاسراء

(٥) آية رقم ١٣ من سورة القيامة .

ويقال له :

* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا *

يقول ابن كثير :

" انك تعلم انك لم تظلم ولم يكتب عليك الا ما عملت لانك ذكرت جميع ما كان منك - ولا ينسى احد شيئا مما كان منه وكل احد يقرأ كتابه من كاتب وأمي - وانما ذكر العنق في قوله تعالى :

* وكل انسان الزمناه طائره في عنقه * لانه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد ، ومن الزم بشيء فيه فلا محيد عنه (١)

ولهذا نجد المجرمين مشفقين من ذلك اليوم مما يلاقون فيه من عنت ومشقة نتيجة لما عملته أيديهم :

* ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا * (٢)

كما تصور لنا الايات القرآنية في عهدنا المكي عن ما بين الخلق من خصومات في هذا اليوم المصيب . حيث يتخلى المتبوع عن التابع فلا يفنى عنه من الله شيئا . ولا يدفع عنه ضرا . وكيف يفعل له ذلك وهو لا يستطيع نصر نفسه .

(١) ج ٣ ص ٢٧

(٢) الآية رقم ٤٩ من سورة الكهف

قال تعالى في سورة ابراهيم :

* وبرزوا لله جميعا فقال الضمفوء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا

فهل انتم مفتون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو هدانا الله

لمديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * (١)

يقول ابن كثير :

والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم اليهم . كما قال

تعالى :

* واذ يتحاجون في النار فيقول الضمفوء للذين استكبروا انا كنا

لكم تبعا فهل انتم مفنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا

كل فيها ان الله قد حكم بين الصباد * (٢)

قال تعالى في سورة الاعراف :

* قال ادخلوا في أم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في

النار كلما دخلت أمة لمننت اختها حتى اذا ادركوا (٣) فيها جميعا

قالت أخريسيهم لا ولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار

قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون + وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم

علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون * (٤)

(١) آية رقم ٢١ ومعنى " ما لنا من محيص " أي ليس لنا منجى ولا مهرب

(٢) الآية رقم ٤٧ - ٤٨ سورة غافر

(٣) ادركوا فيها يعني : تلاحقوا واجتمعوا في النار

(٤) آية رقم ٢٨ - ٢٩

وقوله تعالى في سورة سبا :

* ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انهم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد ان جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا المذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون * (١)

وفي سورة ص يقول جل ذكره :

* .. هذا فوج مقتحم معكم لا مرجحيا بهم انهم صالحوا النار قالوا بل انتم لا مرجحيا بكم انتم قد تموه لنا فيئس القرار وقالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار * (٢)

يقول الاستاذ سيد قطب في كتابه مشاهد القيامة في القرآن :

فيها نحن اولاء امام جماعة من اهل جهنم وقد كانت في الدنيا متوادة متحاببة ، فهي اليوم متناكرة متنايذة ، كان بعضهم يطلى لبعض في الضلال ، وكان بعضهم يتعالى على المؤمن ويميزاً من دعواتهم في النعيم ، هاهم اولاء يقتحمون النار فوجا بعد فوج ، هذا هو الفوج الاول ينقل اليه نيا اقتحام النوج الثاني * هذا فوج مقتحم معكم * فماذا يكون الجواب ؟ * لا مرجحيا بهم انهم صالحوا النار *

فهل يسكت المشتمون ؟ كلا . فيها هم أولاء يردون :

* قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار * واذا

دعوة جامعة :

* قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار *

ثم ماذا ؟

ثم ها هم أولاء يفتقدون المؤمن الذين كانوا يتعالون عليهم فسي
الدنيا ويظنون بهم شرا ويسخرون من ايمانهم في النعيم فلا يرونهم

مقبحين معهم :

* وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا

أم زاغت عنهم الابصار *

كلام تزغ أيها القوم فلو القيتم بابصاركم الى جنات النعيم

ولو جدتموهم هنالك متكئين :

* ان ذلك لحق تخاصم أهل النار *

واننا لنشهد الآن هذا الخصام كما لو كان حاضرا للعيان ، وان

كل نفس آدمية لتحس في حناياها وقع هذا المشهد وتتقيه ، وتحاذر لو

ينفخ الحذر ، أن تقع فيه ^(١) اهـ

وفي سورة بقره يخبر الحق تبارك وتعالى :

أن الضعفاء يطلبون من السادة الكبراء أن يتحملوا عنهم ما يلاقونه

من العذاب لأنهم هم الذين زينوا لهم الباطل فاتبعوهم . ولكن هؤلاء المتكبرين

لا يملكون حتى نصر أنفسهم فيهم جميعا التابع والمتبوع في النار :

(١) مشاهد القيامة ص ٨٤ - ٨٥ ط دار الشروق

* واذ يتحاجون في النار فيقول الضمفوء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مفنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا انا كل فيما ان الله قد حكم بين العباد * (١)

ويذالبون من خزنة النار أن يدعوا لهم الله كي يخفف عنهم يوما من العذاب ، ولكن لا اجابة لهذا الطلب بل مزيدا من العذاب . * وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تأتكم رسلكم بالبينث قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال * (٢)

وتجد ذكر تبرؤ المتبوعين من التابعين عند رؤيتهم العذاب الاليم في سورة مدنية كما هو موجود في سورة البقرة والاحزاب . ففي سورة البقرة يقول الحق جل وعلا :

* اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورؤوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حصرات عليهم وما هم بخارجين من النار * (٣)

وفي سورة الاحزاب يقول تعالى :

* يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا * (٤)

(١) الايات رقم ٤٧ - ٤٨ (٢) الاية ٤٩ - ٥٠ من سورة غافر

(٣) الاية رقم ١٦٦ - ١٦٧ (٤) الايات ٦٦ - ٦٨

كما تناولت السور المكية وصف لحال النار وأهلها بطريقة بارزة تقشعر
منها الجلود • وعلى نهج القرآن التربوي في الترغيب والترهيب تكلمت
الآيات المكية عن الجنة ونعيم أهلها • ففي سورة الاعراف نجد حوارا
بين اصحاب الجنة واصحاب النار بين ما يلاقيه كل من الفريقين • قال تعالى :

✽ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ^(١) وكذلك نجزي المجرمين •
لهم من جهنم مردود ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ✽ ^(٢)
فيهم ولا يقبل لهم عمل ولا يرفع لهم دعاء نتيجة تكذيبهم بآيات
الله واستكبارهم عنها • ولا يدخلون الجنة الا اذا دخل الجمل
في فتحة الابرة وهذا مستحيل ، فما وايمهم النار منها فراشهم وغطاؤهم •
اما المؤمنون فحالهم تسر التلويح لأن جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار :

✽ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا تلا الا وسعها
أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • ونزعنا ما في صدورهم من
غل تجري من تحتهم الانهار • وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا
ان تلكم الجنة اورثوها بما كنتم تعملون ✽ ^(٣)

(١) يعني حتى يدخل الجمل زوج الناقة في فتحة الابرة وقد علق دخولهم

الجنة بمستحيل

(٢) الآية ٤٠ الى ٤١

(٣) الآية ٤٢ - ٤٣

قال ابن كثير قال السدي في قوله تعالى :

* ونزعنا ما في صدورهم من غل *

ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عيان فيشربوا من احداهما فينزع الله ما في صدورهم من غل فيهو الشراب الطهور ، واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدا . (١)

وبعد أن يستقر أصحاب الجنة في الجنة واصحاب النار في النار ينادى

اصحاب الجنة اصحاب النار :

* أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظلمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبفون بها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون * (٢)

يقول ابن كثير في تفسير قوله : * أن قد وجدنا ما وعد ربكم حقا * أن همنا مفسرة للقول المحذوف وقد للتحقيق : أي قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، قالوا نعم .

وفي سورة الصافات يقص علينا القرآن قصة مجلس من مجالس المؤمنين في الجنة وهم يتسامرون . ويقص عليهم أحد الضمير قصة قرين له كان في الدنيا فنجاه الله بفضل من شردك القرين . قال تعالى :

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٥

(٢) الايات من ٤٤ - ٤٥ من سورة الاعراف .

* قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أنك لمن المصدقين
أذا متنا وكنا ترابا وعظما أننا لمدنونا . قال هل انتم مالمون فاطلع
فراه فى سواء الجحيم . قال تا الله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى
كنت من المحضرين . افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين
ان هذا لىو الفوز العظيم لمثل هذا فليحمل العاطلون . اذلك خير
نزلا أم شجرة الزقوم * (١)

فما هى شجرة الزقوم ؟

* انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طابها كأنه رؤوس الشيطان
فانهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم * (٢)

يقول الزمخشرى : روى أنه لما نزل * اذلك خيرا أم شجرة
الزقوم ؟ قال ابن الزبىرى : يدعون أكل الثريد والتمر والتزقم : فدعا
ابو جهيل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذى يخوفكم به محمد .
فنزل :

* ان شجرة الزقوم طام الاثيم كالمهل تغلى فى البطون كغلى
الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الحميم ذق انك أنت العزيز الكرىم ان هذا ما كنتم به تمرون * (٤)

(١) الايات من ٥١ - ٦٣

(٢) الايات من ٦٦ - ٦٨

(٣) هو : عبدالله بن الزبىرى

(٤) الاية رقم ٤٣ - ٥٠ من سورة الدخان

أما المتقين ، جعلنا الله منيهم ، فهم في مقام أمين لا يحزنون

إذا حزن الناس ولا يفزعون إذا فزع الناس :

* ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس (١)

واستبرق (٢) مقابلين كذلك وزوجنهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة

آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم

فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم * (٣)

انه لا تكاد تخلو سورة من السور المكية من الكلام عن اليوم الاخر

وما فيه من نعم مقيم وعذاب أليم وإضافة الى الآيات التي اوردناها

في هذا المعنى فاننا نجد الحديث عن اليوم الاخر مبثوثا في ثنايا السور

المكية الآتية :

سورة الانعام	والاعراف	ويونس	وهود	والرعد
وابراهيم	والحجر	والنحل	والاسراء	والكهف
ومريم	وطه	والانبياء	والحج	والمؤمنون
والفرقان	والشعراء	والنمل	والقصص	والمنكبوت
ولقمان	والسجدة	وسبا	وفاطر	ويونس
والصافات	وص	والزمر	وغافر	والشورى
والزخرف	والدخان	والجاثية	والاحقاف	وق
والذاريات	والطور	والنجم	والقمر	والرحمن
والواقعة	والتغابن	والملك	والحاقة	والمعارج

(١) مارق من الديباج (٢) والاستبرق ما غلظ منه

(٣) الآية رقم ٥٢ - ٥٧ من سورة الدخان

ونوح والمزمل والقيامة والدهير والمرسلات
والنبا والنازعات وعيس والتكوير والتطيف
والانشقاق والانفطار والبروج والطارق والاعلى
والفاشية والفجر والبلد والليل والشمس وضحاها
والضحى والقلم والزلزلة والماديات والقارعة
والتكاثف والهمزة

ولقد ذكرت في مقدمة هذا المبحث بأننا نجد في السور المدنية كلاما
حول اليوم الاخر وما فيه من الأهوال ولكنه ليس بالصورة التي ذكر
بها في السور المكية .

يقول الاستاذ محمد قطب : في كتابه دراسات قرآنية : وهو يتحدث
عن الايمان بالله واليوم الآخر :

ان ذلك في الغالب من خاصية السور المكية فيما يأتي ذلك اليوم
الاخر والايمان به في السور المدنية يكون ذلك ملحقا به الايمان بالله
مباشرة . . . أما في السور المكية فقد كان الحديث مستفيضا عن اليوم
الاخر ، وعن البحث والمسئلة والثواب والعقاب ووصف الجنة ووصف
النار ومعظم مشاهد القيامة هي في الحقيقة في السور المكية (١) أه

وبهذا نكون قد وصلنا بهذه الرسالة الى نهايتها بقدر المستطاع
والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ،
والصلاة والسلام على نبيه محمد خاتم الانبياء والمرسلين المنزل
عليه من ربه :

* قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل ^{السلام} ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم * (١)

فالقرآن الكريم هو كتاب الهداية والحق الذي أحق أن يتبع
لأنه نزل بالحق .

* وبالحق انزلناه وبالحق نزل * (٢) لهداية الناس واخراجهم
من الظلمات الى النور

* كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * (٣)

ولقد انزل هذا الكتاب المبارك منجما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خاللا بضع وعشرين عاما . عاشرها عليه الصلاة والسلام
على فترتين ، الأولى بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية .

-
- (١) آية رقم ١٦ من سورة المائدة .
(٢) آية رقم ١٠٥ من سورة الاسراء .
(٣) آية رقم ١ من سورة ابراهيم .

والثانية بعد الهجرة بالمدينة المنورة .

ولقد عني هذا البحث بدراسة السور والايات التي نزلت
في الفترة النكية وبرز اهم خصائصها ومقاصدها - وخرج البحث
بالتائج الآتية :

أولا :-
ان الحاجة ملحة لدراسة المكي والمدني وذلك لدراسة
مراحل الدعوة الاسلامية ومعرفه الناسخ والمنسوخ والمتقدم
والمتأخر .

ثانيا :-
لا بد من الرجوع في ذلك لما ورد عن الصحابة
والتابعين .

ثالثا :-
ان السورة قد تسمى مكية أو مدنية بحسب الغالب
فيها من الايات . (١)

رابعا :-
من أجل أن نعرف ان هذه الاية مدنية أو مكية لا بد من
الرجوع للرواية الصحيحة ولا يكفي الاعتماد في ذلك على ما هو مبين
في المصاحف المتداولة . ولا في الكتب التي اخذت منها . كالمعجم
المفهرس لالفاظ القرآن الكريم . (٢)

(١) انظر البحث الثالث من الباب الاول

(٢) البحث الخامس من الباب الاول

خامسا :- ان اصول التشريع قد نزل بمكة المكرمة في الغالب اما التفصيلات الفرعية فقد نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة النبوية .^(١)

سادسا :- ان قضية توحيد الله تعالى ونفى الشرك وازهار آيات الله الكونية كل ذلك قد عنيت به الايات والسور المكية في الغالب والأعم .^(٢)

سابعا :- قصدت السور والايات المكية الى ابراز قضية الرسالة والرسول . ومناقشة المشركين بطريقة واضحة بينة كما بينت ذلك في الباب الثالث .

ثامنا :- اهتمت السور والايات المكية بمعالجة قضية البعث والجزاء وابرار حال المؤمنين في الدار الآخرة وما اعد لهم من نعيم مقيم . وكشف حال الكافرين وما اعد لهم من العذاب الاليم .^(٣)

هذا ما استحضره من الحقائق التي وردت في هذه الرسالة ، والله

أعلم .

(١) المبحث السادس من الباب الاول .

(٢) انظر الباب الثاني .

(٣) انظر الباب الرابع .

فهرس المراجع

- القرآن الكريم

١ - كتب التفسير :

- ١ - التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي
- ٢ - الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي ط دار الكتب المصرية
- ٣ - الكشاف للزمخشري ط دار الباز للنشر والتوزيع
- ٤ - تفسير غرائب القرآن/للنيسابوري ط الاميرية
ورغائب الفرقان
- ٥ - تفسير الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن
جرير الطبري ط المطبعة الاميرية
- ٦ - تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير .
ط عيسى البابي الحلبي
- ٧ - تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل لأبي سعيد عبدالله بن عمر
الشيرازي البيضاوي ط مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت .
- ٨ - تفسير الجلالين
- ٩ - تفسير فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني ط محفوظ الحلبي
- ١٠ - تفسير المراغي
- ١١ - تفسير أبي السعود لمحمد بن العماد الحنفتي
- ١٢ - تفسير الخازن
- ١٣ - معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البخوي
- ١٤ - تفسير روح المعاني للإلوسي .
- ١٥ - الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي

- ١٦ — تفسير المنار للشيخ محمد عبده
١٧ — التسهيل لعلوم التنزيل للإمام الحافظ محمد بن أحمد الكلبى
ط دار الكتب الحديثة القاهرة
١٨ — نظم الدرر فى تناسب الايات والسور لا براهيم بن عمر برهان الدين
البقاعى
١٩ — فى ظلال القرآن — للاستاذ الشهييد سيد قطب ط دار احياء التراث
الصربى بيروت
٢٠ — التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازى •
٢١ — احكام القرآن للجصاص

ب — كتب الحديث :

- ٢١ — صحيح البخارى للإمام البخارى ط دار احياء التراث العربى بيروت •
٢٢ — صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج ط عيسى البابى الحلبي
٢٣ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى لا بن حجر
٢٤ — المسند للإمام احمد بن حنبل ط المكتب الاسلامى للطباعة والنشر
٢٥ — سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سورة ط مصطفى البابى الحلبي
٢٦ — النهاية فى غريب الحديث لا بن الأثير ط المكتبة الاسلامية
٢٧ — شرح المواهب اللدنية للزرقانى المطبعة الاميرية
٢٨ — الاصابة فى تمييز الصحابة لا بن حجر ط دار احياء التراث العربى بيروت

ج - كتب علوم القرآن :

- ٢٩ - البرهان في علوم القرآن للزرکشی ط عيسى البابی الحلبي
٣٠ - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ط المكتبة الثقافية بيروت
٣١ - مفاهيل الصرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني
ط مكتبة الكليات الازهرية
٣٢ - المدخل لفهم علوم القرآن للدكتور محمد محمد ابو شيبه
٣٣ - مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح
٣٤ - اسباب النزول للواحدى
٣٥ - لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي
٣٦ - الوحدة الموضوعية للدكتور محمود حجازي
٣٧ - اسرار التكوّن في القرآن للكرمانى
٣٨ - اسرار ترتيب القرآن للسيوطي
٣٩ - المعجم المفهرس لافاظ القرآن الكريم لمحمد غواد عبد الباقي
٤٠ - اعجاز القرآن للباقلانى .

د - كتب اللغة والأدب :

- ٤١ - تاج الصروس للزبيدى
٤٢ - لسان العرب لابن منظور
٤٣ - المعجم الوسيط
٤٤ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٤٥ - اساس البلاغة للزمخشري
٤٦ - مختار الصحاح لابي بكر الرازي
٤٧ - مفردات القرآن للراغب الاصفهاني
٤٨ - ديوان زهير بن ابي سلمى

هـ - كتب السيرة :

- ٤٩- السيرة النبوية لابن هشام
٥٠- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد محمد ابوشبيره
٥١- قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار .

و - كتب اسلامية عامة :

- ٥٢- دستور الاخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز
٥٣- كتاب المعجزة الكبرى للشيخ محمد ابوزهرة
٥٤- كتاب سورة الرحمن وسور قصار للدكتور شوقي ضيف
٥٥- دراسات قرآنية للاستاذ محمد قطب
٥٦- كتاب الله جل جلاله لسعيد حوى
٥٧- منهج القرآن في التربية محمد شديد
٥٨- ماذا خسر العالم باتحطاط المسلمين لا بسى الحسن الندوى
٥٩- ام البراهين للامام السنوسى
٦٠- بينات المعجزة الخالدة للدكتور حسن ضياء الدين عتر .
٦١- اصول الدين لعبد القاهر بن طاهر التميمى .
٦٢- القرآن العظيم هدايته واعجازه للدكتور محمد صادق عرجون
٦٣- الانسان في القرآن للاستاذ عبد الكريم الخطيب .
٦٤- تاريخ القرآن لابي عبد الله بن المبرزا الزنجاني
٦٥- مشاهد القيامة في القرآن للاستاذ سيد قطب
٦٦- دعوة الرسل للشيخ محمد احمد المدوى
٦٧- الموافقات للامام الشاطبى

فهرست الايات القرآنية

رقم الصفحة

سورة الفاتحة

٦٠ الحمد لله رب العالمين الاية ١

سورة البقرة

- ٢٧٤ ٨ يا ايها الناس اعبدوا ربكم ٠٠ الاية ٢١
- ٣٦ وان كنتم في ريب مما نزلنا ٠٠٠ الاية ٢٣
- ٣٠٨ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ٠٠٠ الاية ٢٤
- ٢٦٢ واذ قال موسى لقومه ٠٠٠ الاية ٦٧
- ٢٦٢ ان في خلق السموات والارض ٠٠ الاية ١٦٤
- ٣٧٨ اذ تبرا الذين اتبعوا ٠٠٠ الاية ١٦٦
- ٣٧٨ وقال الذين اتبعوا ٠٠٠ الاية ١٦٧
- ٢٧ يا ايها الناس كلوا مما في الارض ٠٠ الاية ١٦٨
- ١٠٣ والذين يتوفون منكم ٠٠٠ الاية ٢٤٠
- ٣٤٤ ألم ترالى الذين خسروا ٠٠٠ الاية ٢٤٣
- ٣٤٤ أو كاذبى مرعى قرية ٠٠٠ الاية ٢٥٩
- ٣٤٧ واذ قال ابراهيم رب ارنى ٠٠ الاية ٢٦٠

سورة آل عمران

- ٢٩١ فتقبلها ربها بقبول حسن ٠٠٠ الاية ٣٧
- يا مريم اتقتى لربك ٠٠٠ الاية ٤٣
- ٣٥١ ورسولا الى بنى اسرائيل ٠٠ الاية ٤٩
- ٣١٩ ان هذا لهو القصص ٠٠٠ الاية ٦٢

سورة النساء

٢٧٦	٤	٨٦	١	يا ايها الناس اتقوا ربكم
٢٦٨			١٩	يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم
١٨٣			٥٨	ان الله يامركم ان تؤء دوا
١٨٩			٨٣	افلا يتدبرون القرآن
١٤٥			٩٢	ومن قتل مؤء منا متعمدا
٢٢٣			١١٧	ان يدعون من دونه
٢٧			١٧٠	يا ايها الناس قد جاءكم
٢٧			١٧٤	يا ايها الناس قد جاءكم برهان
١٠٣			١٧٦	يستفتونك قل الله يفتيكم

سورة المائدة

١٨٣			٣	اليوم اكملت لكم دينكم
١٣٣			٨٢	لتجدن اشد الناس عداوة

سورة الانعام

٦٠			١	الحمد لله الذي خلق السموات والارض
			٨	وقالوا لولا انزل عليه ملك
٢٢١			١٤	قل اغيبر الله اتخذ وليا
٦٨			٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك
٦١			٤٥	فقطع دابر القوم
١٣٦	٥٢		٥٢	ولا تطارد الذين يدعون ربهم
١٧٧			٦٨	وانذا رأيت الذين يخوضون

تابع سورة الانعام

٢٠٢	وان اقيموا الصلاة واتقوه ٠٠٠ الاية ٧٢
٢٢٧	اولئك الذين هدى الله ٠٠٠ الاية ٩٠
٢٢٩	وما قدروا الله حق قدره ٠٠٠ الاية ٩١
٢٢٢	وجعلوا لله شركاء الجن ٠٠٠ الاية ١٠٠
٢٢٢	بديع السموات والارض ٠٠٠ الاية ١٠١
١٩٥ ٠ ١٩٧	فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ٠٠٠ الاية ١١٨
١٩٦	وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه ٠٠٠ الاية ١١٩
	ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ٠٠٠ الاية ١٢١
٢٠٥	وهو الذي انشا جنات ٠٠٠ الاية ١٤١
٢٦٩	قل تعالوا اتل ما حرم ربكم ٠٠٠ الاية ١٥٠
٢٦٩	ولا تقتلوا اولادكم ٠٠٠ الاية ١٥١

سورة الاعراف

٢٥	المص ٠٠٠ الاية ١
١٣١	فلنستعلن الذين ارسل اليهم ٠٠٠ الاية ٦
	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ٠٠٠ الاية ١١
٣٥٢	قال اهبطوا بعضكم لبعض ٠٠٠ الاية ٢٤
٣٥٢	قال فيها تحبون ٠٠٠ الاية ٢٥
٣٠	يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا ٠٠٠ الاية ٢٦
٣٠	يا بني ادم لا يفتنكم الشيطان ٠٠٠ الاية ٢٧
٣٠	يا بني ادم خذوا زينتكم ٠٠٠ الاية ٣١
٣٠	يا بني ادم اما ياتينكم رسل ٠٠٠ الاية ٣٥

تابع سورة الاعراف

٦١	وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ٠٠٠ الاية ٤٣
٢٥٣ ٠ ٢٢٦	ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ٠٠٠ الاية ٥٩
٢٢٦	قال الملا من قومه ٠٠٠ الاية ٦٠
٢٢٧	والي مدين اخاهم شعيبا ٠٠٠ الاية ٨٥
٣٥٤ ٠ ٧٠	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ٠٠ الاية ١٥٦
٢٨	قل يا ايها الناس اني رسول الله ٠٠٠ الاية ١٥٨
٢٥٢	ولقد ذرانا لجهنم كثيرا ٠٠٠ الاية ١٧٩
٢٨٩	قل لا املك لنفسي ٠٠٠ الاية ١٨٨
٤٢	واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ٠٠٠ الاية ٢٠٤
٢٢ ٠ ١٩	ان الذين عند ربك ٠٠٠ الاية ٢٠٦

سورة الانفال

	كما اخرجك ربك من بيتك ٠٠٠ الاية ٥
١٨٤	وان يمكربك الذين كفروا ٠٠٠ الاية ٣٠
١٨٥ ٠ ٢٣	اذا تتلى عليهم اياتنا ٠٠٠ الاية ٣١
١٨٦ ٠ ١٨٥ ٠ ١٨٦	وان قالوا اللهم ٠٠٠ الاية ٣٢
١٨٧ ٠ ١٨٦	وما كان الله ليحذبهم ٠٠٠ الاية ٣٣
١٨٤	ان الذين كفروا ٠٠٠ الاية ٣٦

سورة التوبة

٣٠٣	هو الذي ارسل رسوله بالهدى + الاية ٢٣
٢٤٥ ٥ ٨٨	وقالت اليهود عزير ابن الله الاية ٣٠
١٢٣	لو كان عرضا قريبا الاية ٤٢
١١٨	ما كان للنبي والذين آمنوا الاية ١١٣
١٨٨	وما كان استنصار ابراهيم الاية ١١٤
١٨٨	لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية ١٥٨

سورة يونس

٢٧٢ ٥ ٢٥	الر ٠٠٠ الاية ١
١١٤	أكان للناس عجايب الاية ٢
٦١	وآخردعواهم الاية ١٠
٢٨	يا ايها الناس انما بغيكم الاية ٢٣
٢٢٩	فل من يرزقكم من السماء الاية ٣١
٢٩٢	وما كان هذا القرآن الاية ٣٧
	ويستفتونك احق هو ؟ الاية ٥٣
٢٨	يا ايها الناس قد جاءكم الاية ٥٧
٢٤٨	وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الاية ٦٨
	واتل عليهم نبأ نوح الاية ٧١
٣٦	ثم بعثنا من بعدهم الاية ٧٥
٢٩٢	أم يقولون افتراء الاية ٣٨
٣٧	فلولا كانت قرية آضت الاية ٩٨
٢٨	قل يا ايها الناس ان كنتم في شك الاية ١٠٤
٢٨	قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق الاية ١٠٨

سورة هود

٢٥٦	٢٤	الكتاب احكمت آياته ٠٠٠ الاية ١
٣٠٨		ام يقولون افتراه ٠٠٠ الاية ١٣
٤٠		تلك من انبياء الغيب ٠٠٠ الاية ٤٩
٢٧٦	٣٧	والي عاد اخاهم هودا ٠٠٠ الاية ٥٠
٢٧٧		ولما جاء امرنا نجينا هودا ٠٠٠ الاية ٥٨
٣٧		والي ثمود اخاهم صالحا ٠٠٠ الاية ٦١
٣٨		ولقد جاءت رسلنا ابراهيم ٠٠٠ الاية ٦٩
٣٨		والي مدين اخاهم شعيبا ٠٠٠ الاية ٨٤
١٢٤		اقم الصلاة طرفى النهار ٠٠٠ الاية ١١٤
٣٢١		كلا نقص عليك من انباء الرسل ٠٠٠ الاية ١٢٠

سورة يوسف

١٢٤	٢٥	السر تلك آيات الكتاب ٠٠٠ الاية ١
١٢٥		نحن نقص عليك ٠٠٠ الاية ٣
٣٢١		لقد كان فى قصصهم عبرة ٠٠٠ الاية ١١١

سورة الرعد

٢٥		السر ٠٠٠ الاية ١
٦٥		الله الذى رفع السموات ٠٠٠ الاية ٢
٦٦		وان تعجب فعجب قولهم ٠٠٠ الاية ٥
٦٦		ويستعجلونك بالسيئة ٠٠٠ الاية ٦
٢٢٣		له دعوة الحق ٠٠٠ الاية ١٤
٦٨		ولله يسجد من فى السموات ٠٠٠ الاية ١٥
		قل من رب السموات ٠٠٠ الاية ١٦
٦٩		يقول الذين كفروا لست مرسلًا ٠٠٠ الاية ٤٣

سورة ابواهيم

٢٩٥ ٤ ٢٥	الر كتاب انزلناه اليك ١٠٠٠ الاية ١
٢٧٨	الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم ١٠٠٠ الاية ٩
٣٧٥	وبرزوا لله جميعا ١٠٠٠ الاية ٢١
١٢٧ ٤ ١٢٦	الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله ١٠٠٠ الاية ٢٩
٢٠٢	قل لعبادي الذين امنوا ١٠٠٠ الاية ٣١
٢٥٣	الله الذي خلق السموات والارض ١٠٠٠ الاية ٣٢
٦١	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ١٠٠٠ الاية ٣٩

سورة الحجر

٢٥	الر تلك ايات الكتاب ١٠٠٠ الاية ١
٢٧	وقالوا يا ايها الذي انزل عليه الذكر ١٠٠٠ الاية ٦
	انا نحن نزلنا الذكر ١٠٠٠ الاية ٩
٢٨٠	ولوفتحنا عليهم بابا من السماء ١٠٠٠ الاية ١٤
	ولقد جعلنا في السماء بروجا ١٠٠٠ الاية ١٧
٥٦	وما خلقنا السموات والارض ١٠٠٠ الاية ٨٥
١٢٧	ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن ١٠٠٠ الاية ٨٧

سورة النحل

١٩٤	هو الذي انزل من السماء ماء لكم ١٠٠٠ الاية ١٠
٢٢٠	وان تعدوا نعمة الله ١٠٠٠ الاية ١٨
١٩	ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ١٠٠٠ الاية ٤٩
٢٣٥	قال الله لا تتخذوا ١٠٠٠ الاية ٥١
٢٦٩	واذا بشر احدكم بالانثى ١٠٠٠ الاية ٥٨

تابع سورة النحل

- ٢١١٥ ١٠٢ ان الله يامر بالعدل والاحسان ١٠٠٠ الاية ٩٠
١٢٩٥ ١٢٨ وان عاقبتهم ١٠٠٠ الاية ١٢٦

سورة الاسراء

- ٤٤ ان هذا القرآن يهدي ١٠٠٠ الاية ٩
وكل انسان الزمان ١٠٠٠ الاية ١٣
٢١٢ وقضى ربك الاتعبدوا ١٠٠٠ الاية ٢٣
٢٠٤١٣٠ وآت ذا القربى حقه ١٠٠٠ الاية ٢٦
٢٣٦ قل لو كان معه آلهة ١٠٠٠ الاية ٤٤
٢٣٦ سبحانه وتعالى ١٠٠٠ الاية ٤٣
٣٠٧ واذا قرأت القرآن ١٠٠٠ الاية ٤٥
١٣٠ وان كادوا ليفتنونك ١٠٠ الاية ٧٣
١٣١ وان كادوا ليستفزونك ١٠٠ الاية ٧٦
١٤٠٥ ١٣٤٥ ١٣١ وقتل جاء الحق وزهق الباطل ١٠٠٠ الاية ٨١
٣٠٩٥ ٢٩٣ قل لئن اجتمعت الانس والجن ١٠٠٠ الاية ٨٨
٢٨١ وقالوا لن نؤمن لك ١٠٠٠ الاية ٩٠
١٩٢ اوتسقط السماء كما زعمت ١٠٠٠ الاية ٩٢
١٩٢ أو يكون لك بيت من زخرف ١٠٠٠ الاية ٩٣
١١٤ وما منح الناس ان يؤمنوا ١٠٠٠ الاية ٩٤
قل لو كان في الارض ملئكة ١٠٠ الاية ٩٥
١١ ولا تجهر بصلاتك ١٠٠ الاية ١٠١
٢٦١ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ١٠٠ الاية ١١١

سورة الكهف

٦٠	الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ٠٠٠ الاية ١
٢٨٤	فلملك باخع نفسك على اثارهم ٠٠٠ الاية ٦
٣٥٠	ام حسبت ان اصحاب الكهف ٠٠٠ الاية ٩
٣٢٠	نحن نقص عليك نبأهم بالحق ٠٠٠ الاية ١٣
١٣٥	واتل ما اوحى اليك اليك ٠٠٠ الاية ٢٧
١٣٥ و ١٣٧	واصبر نفسك مع الذين ٠٠٠ الاية ٢٨
٣٧١	وعرضوا على ربك صفا ٠٠٠ الاية ٤٨
٢٢٣	افتقدونهم وذريته ٠٠٠ الاية ٥٠
١٢٨	ويسألونك عن ذى القرنين ٠٠٠ الاية ٨٣

سورة مريم

٢٥	كريمص ٠٠٠ الاية ١
٢٢٣	يا ابت لا تعبد الشيطان ٠٠٠ الاية ٤٤
١٤	انرايت الذي كهر باياتنا ٠٠٠ الاية ٧٧
١٧	كلا سنكتب ما يقول ٠٠٠ الاية ٧٩
١٧	كلا سيكفرون بعبادتهم ٠٠٠ الاية ٨٢

سورة طه

٢٥	طه ٠٠٠ الاية ١
٣٩	لعلى اتيكم منها ٠٠٠ الاية ١٠
٤٥	ولا تمجل بالقرآن ٠٠٠ الاية ١١٤

سورة الانبياء

٢٣٧	ام اتخذوا الهمة من الارض ٠٠٠ الاية ٢١
٢٣٧	لو كان فيها الهمة الا الله ٠٠٠ الاية ٢٢
٢٥٤	اولم ير الذين كفروا ٠٠٠ الاية ٣٠
٣٧٢	ونضح الموازين القسط ٠٠٠ الاية ٤٧

سورة الحج

٢٨ ٦ ٧٥	يا ايها الناس اتقوا ربكم ٠٠٠ الاية ١
٢٨ ٦ ٣٣٥	يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث ٠٠٠ الاية ٥
٣٣٥	وان الساعة اتية لا ريب فيها ٠٠٠ الاية ٧
١٤٢	ومن الناس من يعبد الله على حرف ٠٠٠ الاية ١١
٢٠ ٦ ٢١٦ ٦ ٧٥	الم تر ان الله يسجد له من في السموات ٠٠٠ الاية ١٨
٧٣ ٦ ١٤٣	هذان خصمان اختصموا ٠٠٠ الاية ١٩
١٤٣ ٦ ١٤٤	اذن للذين يقاتلون ٠٠٠ الاية ٤٠
٢٩	قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير ٠٠٠ الاية ٤٩
٧٢	وما ارسلنا من قبلك ٠٠ الاية ٥٢
٧٦	الم تر ان الله سخّر لكم ٠٠٠ الاية ٦٥
٢٩ ٦ ٢٤٩ ٦	يا ايها الناس ضرب مثل ٠٠٠ الاية ٧٣
٧٦	
٢٠ ٦ ٢٢	يا ايها الذين امنوا اركعوا ٠٠٠ الاية ٧٧

سورة المؤمن

	والذين هم للزكاة فاعطون ٠٠٠ الاية ٤
٢٢٨	ما اتخذ الله من ولد ٠٠٠ الاية ١٣
٢٢٧	ولقد خلقنا الانسان ٠٠٠ الاية ١٤
	ثم انكم بعد ذلك لمتمتون ٠٠ الاية ١٥
٢٥٩ و ٩٢	بل قالوا مثل ما قال الاولون ٠٠ الاية ٨١
١١٩	قل لمن الارض ومن فيها ٠٠٠ الاية ٨٤
١١٩	قل من رب السموات ٠٠ الاية ٨٥
٢١٩	قل من بيده ملكوت كل شيء ٠٠٠ الاية ٨٦
٢٢٢	فمن ثقلت موازينه ٠٠٠ الاية ١٠٦

سورة النور

٢٤٠	يوم تشهد عليهم السنتهم ٠٠٠ الاية ٢٤
٣٠٣	وعد الله الذين آمنوا ٠٠٠ الاية ٥٥

سورة الفرقان

	الذي له ملك السموات والارض ٠٠٠ الاية ٢
٢٣	وقال الذين كفروا ان هذا ٠٠٠ الاية ٤
٢٨٣	وقالوا ما لهذا الرسول ٠٠٠ الاية ٧
٢٨٣	تبارك الذي ان شاء جعل ٠٠٠ الاية ١٠
٢١٠ و ٤٥	وقال الذين كفروا لولا انزل ٠٠٠ الاية ٣٢

سورة الشعراء

٢٤٨ ٥ ٢٥	طسم تلك ايات الكتاب ١٠٠ الاية ١ ٥ ٢
٢٨٤	فلملك باخع نفسك ١٠٠٠ الاية ٣
٨٣	ان في ذلك لاية ١٠٠ الاية ٨
١٧	قال كلا فاذهبنا بايتنا ١٠٠٠ الاية ١٥
٢٩٥ ٥ ٤٢	وانه لتنزيل رب العالمين ١٠٠٠ الاية ١٩٢
٣٣	افرايت ان متعنهم ١٠٠٠ الاية ٢٠٥
٣٣	وما ينبغي لهم ١٠٠٠ الاية ٢١١
٢٧٤	وانذر عشيرتک الاقربين ١٠٠٠ الاية ٢١٤
١٤٧ ٥ ٥٠	والشعراء يتبعهم ١٠٠٠ الاية ٢٢٤

سورة النمل

٢٥	طس تلك ايات القرآن ١٠٠٠ الاية ١
٣٩	وانك لتلقى القرآن ١٠٠٠ الاية ٦
٩٣٦ ٦١ ٥ ٥٩	وقالا الحمد لله الذي ١٠٠٠ الاية ١٥
٢٩	يا ايها الناس علمنا ١٠٠٠ الاية ١٦
٢٠	الا يسجدوا لله الذي ١٠٠٠ الاية ٢٥

سورة القصص

٢٥	طسم ١٠٠٠ الاية ١
٢٠	لعلى آتاكم منها بخير ١٠٠٠ الاية ٢٩
١٤٨	الذين آتيناهم الكتاب ١٠٠٠ الاية ٥٢
٦٢	وله الحمد في الاولى والاخرة ١٠٠٠ الاية ٧٠

سورة الحنكوت

١٤٩٠٦٢٥	ألم ٠٠٠ الاية ١
١١٨	ولئن سألتهم من خلق ٠٠٠ الاية ١٦
٢٣٩	مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ٠٠٠ الاية ٤١

سورة الروم

٦٢٥٦٢٤	ألم ٠٠٠ الاية ١
٣٠٢	
١٥١	فسبحان الله حين تمسون ٠٠٠ الاية ٢٧
٦٢	وله الحمد في السموات والارض ٠٠٠ الاية ١٨
٢١٠	ومن آياته ^{ان} خلق لكم من انفسكم ازواجا ٠٠٠ الاية ٢١
١٩٤	وما آتيتهم من ربا ٠٠٠ الاية ٢٩
٢٠٥	فأت ذا القربى حقه ٠٠٠ الاية ٢٨
٦٢	قل الحمد لله ٠٠٠ الاية ٦٣

سورة لقمان

٢٥	ألم ٠٠٠ الاية ١
٢١٣	ووصينا الانسان بوالديه ٠٠٠ الاية ١٤
٦٣	قل الحمد لله بل اكثرهم ٠٠٠ الاية ٢٥
١٥١٦٥٠	طوان ما في الارض ٠٠٠ الاية ٢٧
٢٩	يا ايها الناس اتقوا ربكم ٠٠٠ الاية ٣٢

سورة السجدة

٢٦	الم ٠٠ الاية ١
٢٠	انما يؤمننا من بايتنا ٠٠٠ الاية ١٥
١٥٣ ٤ ١٥٦	تتجافى جنوبيم ٠٠٠ الاية ١٦
٥٠	افمن كان مؤمنا كمن كان ٠٠٠ الاية ١٨

سورة الاحزاب

١٣٢	يا ايها النبي اتق الله ٠٠٠ الاية ١
١٢	يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا ٠٠٠ الاية ٥٣
٣٧٨	يوم تقلب وجوههم في النار ٠٠٠ الاية ٦٦

سورة سبأ

٦٣ ٤ ٦٠	الحمد لله الذي له ما في السموات والارض ٠٠٠ الاية ١
٣٥٧	وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ٠٠٠ الاية ٣
١٥٣	ويرى الذين ارتوا العلم ٠٠٠ الاية ٦
٤٦	وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ٠٠٠ الاية ٢١
	قال الذين استكبروا ٠٠٠ الاية ٢٢
	وقال الذين استضعفوا ٠٠٠ الاية ٢٣
١٧	قل ارونى الذين الحقتم به ٠٠٠ الاية ٢٧
٣٧٦	ولوترى اذ الظالمون ٠٠٠ الاية ٣١
٢٢٤	قالوا سبحانك انت ولينا ٠٠٠ الاية ٤١
٩٢	وقال الذين كفروا هل ندلكم ٠٠٠ الاية ٧

سورة فاطر

٦٣٦	٦٠	الحمد لله فاطر السموات والارض ٠٠٠ الاية ١
	٢٩	يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ٠٠٠ الاية ٣
	٢٩	يا ايها الناس ان وعد الله حق ٠٠٠ الاية ٥
	٢٢٢	والذين تدعون من دونه ٠٠٠ الاية ١٣
٢٢٢	٣٠	يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله ٠٠٠ الاية ١٦
	٢٥٩	ومن الجبال جدد بيض ٠٠٠ الاية ٢٧
	٦٣	وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ٠٠٠ الاية ٣٤

سورة يس

	٢٦	يس والقرآن الحكيم ٠٠٠ الاية ١ ٤ ٦
	١٥٥	انا نحن نجى المصطفى ٠٠٠ الاية ١٢
	٣٣١	واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ٠٠٠ الاية ١٣-١٦
	١٥٤	واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم ٠٠٠ الاية ٤٥
٢٢٤	٣١	الم اعهد اليكم يا بنى ادم ٠٠٠ الاية ٦٠
٢٩٨	٤٦	وما علمناه الشعر ٠٠٠ الاية ٦٩-٧٠
		وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ٠٠٠ الاية ٧٨

سورة الصافات

٣٦٤		فاستفتيمهم اهم اشد خلقا ٠٠٠ الاية ١١-٢٠
		واقبل بعضهم على بعض ٠٠٠ الاية ٢٧-٢٩
		قال قائل منهم ٠٠٠ الاية ٥١-٥٤
		فاستفتيمهم الربك البنات ٠٠٠ الاية ١٤٩-١٥٢
٢٥٠		وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ٠٠٠ الاية ١٥٨
	٦٣	وسالم على المرسلين ٠٠٠ الاية ١٨٢

سورة ص

- ٢٦ ص والقرآن ذي الذكر ٠٠٠ الاية ١
٢٨٥ وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ٠٠٠ الاية ٤
٢٨٦ اجعل الالية اليها واحدا ٠٠٠ الاية ٦٥
٦٧ وقالوا ربنا عجل لنا قتلنا ٠٠٠ الاية ١٦
٣١٩ وهل اتاك نبأ الخصم ٠٠٠ الاية ٢١
٢١ قال لقد ظلمك ٠٠٠ الاية ٢٤
٩٦ هذا وان للطاغين لشر ٠٠٠ الاية ٥٥
٣٧٦ هذا فوج مقتحم معكم ٠٠٠ الاية ٦٥-٦٤

سورة الزمر

- ٢١٨ والذين اتخذوا من دونه اولياء ٠٠ الاية ٣
٦٣ ضرب الله مثلا ٠٠٠ الاية ٢٩
١٥٦ أولم يعلموا ان الله ٠٠٠ الاية ٥٢
١٥٦ - ٥٠ قل يا عبادي الذين اسرفوا ٠٠٠ الاية ٥٣
٣٦٨ ونفخ في الصور ٠٠٠ الاية ٦٨
٦٣ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا ٠٠٠ الاية ٧٤

سورة غافر

- ٢٦ حم تنزيل الكتاب ٠٠٠ الاية ١ - ٢
اليوم تجزي كل نفس ٠٠٠ الاية ١٧
١٥٧ ان الذين يجادلون ٠٠٠ الاية ٥٥
١٥٩ لخلق السموات والارض ٠٠٠ الاية ٥٧
٦٤ فادعوه مخلصين ٠٠٠ الاية ٦٥

سورة فصلت

- ٢٩٧ ٥ ٢٦ ٠٠٠ ٣٦ ٢٥ ١ الاية ٠٠٠ من الرحمن الرحيم
٣٠٦ وقالوا قلوبنا في اكنة ٠٠٠ الاية ٥
فان اعرضوا فقل ٠٠٠ الاية ١٣
٣٠٧ وقال الذين كفروا لا تسمعوا ٠٠٠ الاية ٢٦
٢٩٧ ٥ ٢١ فان استكبروا فالذين ٠٠٠ الاية ٣٨

سورة الشورى

- ٢٦ حم عسق ٠٠ الاية ١
١٦٠ ويستجيب الذين آمنوا ٠٠ الاية ٢٦
١٦١-١٦٠ ولنر بسط الله الرزق ٠٠٠ الاية ٢٧
سورة الزخرف
٢٦ حم والكتاب المبين ٠٠٠ الاية ٢ ٥ ١
٢٤٩ اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ٠٠٠ الاية ١٧
بل قالوا انا وجدنا آباءنا ٠٠٠ الاية ٢٢
١٦٣ ونادى فرعون قومہ ^{في} ٠٠٠ الاية ٥٠
١٦٢ فاستخف قومہ ٠٠٠ الاية ٥٤

سورة الدخان

- ٢٦ حم والكتاب المبين ٠٠٠ الاية ١ ٥ ١

سورة الجاثية

- ٢٦ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ٠٠٠ الاية ١ ٥ ١
٦٤ فله الحمد رب السموات ٠٠٠ الاية ٣٦

سورة الاحقاف

٢٦	٢٥	١٠٠	الاية ١	٢٥	حس تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
١٦٥		٤	الاية ٤		قل ارأيتم ما تدعون من دون الله
		٩	الاية ٩		قل ما كنت بدعا من الرسل
١٦٥		١٠	الاية ١٠		قل ارأيتم ان كان من عند الله
٢١٤٦	١٦٥	١٥	الاية ١٥		ووصينا الانسان بوالديه
		٢٩	الاية ٢٩		وان صرفنا اليك نفرا من الجن
١٦٨	١٥٦	٣٥	الاية ٣٥		فاصبر كما صبر اولوا العزم

سورة القتال

٣٢٠		١٢	الاية ١٢		و انقلبونكم
-----	--	----	----------	--	-------------

سورة الفتح

		١	الاية ١		انا فتحنا لك فتحا مبينا
		٦	الاية ٦		ليدخل المؤمنون والمؤمنات

سورة الحجرات

٢٧		١٢	الاية ١٢		يا ايها الناس انا خلقناكم
----	--	----	----------	--	---------------------------

سورة ق

٩٢	٢٦		١	الاية ١	ق والقرآن المجيد
	٢٥٥		٦	الاية ٦	اقلم يظنلوا الى السماء فوثقهم
١٧٠٦	١٦٩	١٦٨	٣٨	الاية ٣٨	واقدر خلقنا السموات والارض
	٢٩٥		٤٥	الاية ٤٥	فذكر بالقرآن

سورة الذاريات

- ٢٠٤ وفي اموالهم حق ١٩ الاية ٠٠٠
وفي الارض ايات ٢٠ الاية ٠٠٠
وفي انفسكم ٢١ الاية ٠٠٠

سورة الطور

- يوم يدعون الى ^{نار} جحيمم دعا ١٣ الاية ٠٠٠
أفسح هذا ١٥ الاية ٠٠٠
٣٠٨ فليأتوا بحديث مثله ٢٥ الاية ٠٠٠

سورة النجم

- ١٧١ والذين يجتنبوا كبائر الاثم ٣٢ الاية ٠٠٠
وانتم سامدون ٦١ الاية ٠٠٠
٢١ فاسجدوا لله ٦٢ الاية ٠٠٠

سورة القمر

- ٣١١ اقتربت الساعة ١ الاية ٠٠٠
٨٤ فكيف كان عذابي ونذر ١٦ الاية ٠٠٠
٣٣٨ خشما ابصارهم ٧ الاية ٠٠٠
٨٤ فكيف كان عذابي ونذر ١٦ الاية ٠٠٠
١٧٣ ١٧٢ سيمزج الجمع ٤٥ الاية ٠٠٠
٢١٧ بل الساعة موعدهم ٤٦ الاية ٠٠٠

سورة الرحمن

- ٨٣ ٨٢ ٨٠ الرحمن علم القرآن ٣ ٢ ١ الاية ٠٠٠
٧٧ فبأى آلاء ربكما تكذبان ١٦ الاية ٠٠٠
٨١ والسماء رفعها ووضع الميزان ١ ٨ ٧ الاية ٠٠٠

سورة الواقعة

- ٣٦٥ واصحاب الشمال ٠٠٠ الاية ٤٧-٥٠
١٧٤ فلا اقسم بمواقع النجوم ٠٠٠ الاية ٧٥
١٧٣ انبئنا الحديد انتم مدهنون ٠٠٠ الاية ٨١

سورة الصف

- ٨٦ سبح لله ما في السموات ٠٠٠ الاية ١
٨٧ يا أيها الذين آمنوا ٠٠٠ الاية ٢
٨٦ ان الله يحب الذين يقاتلون ٠٠٠ الاية ٤
٨٧ يريدون ان يقاتلوا ٠٠٠ الاية ٨

سورة الجمعة

- ٣٣٤ هو الذي بحث في الاميين ٠٠٠ الاية ٢

سورة التغابن

- ٦٤ له الملك وله الحمد لله ٠٠٠ الاية ١
٩٠ خلق السموات والارض ٠٠٠ الاية ٣
٩٠ ألم ياتكم نبا الذين من قبلكم ٠٠٠ الاية ٥
٣٥٧ ٥ ٥١ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ٠٠٠ الاية ٧
٨٩ يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم ٠٠٠ الاية ١٤

سورة الملك

- ٢٥٦ خلق سبع سموات طباقا ٠٠٠ الاية ٣

سورة ن

- ٢٦ ن والقلم ٠٠٠ الاية ١
١٧٥ انا بلونا هم كما بلونا ٠٠٠ الاية ١٧
١٧٥ ١٧٦ فاصبر لحكم ربك ٠٠ الاية ٤٨

سورة الحاقة

- ٢٠٤ وأما من أوتى كتابه بيمينه ٠٠٠ الاية ٢٤-٣٤

سورة المعارج

- ٦٧ سأل سائل بحذاب واقع ٠٠٠ الاية ١
١٧ كلاً انهما لغى ٠٠٠ الاية ١٥
٢٠٤ الا المصلين الذين هم ٠٠٠ الاية ٢٦-٢٥
١٧ كلاً انا خلقناهم ٠٠٠ الاية ٣٦

سورة نوح

- ٣٥٣ فقلت استغفروا ربكم ٠٠٠ الاية ١٠-١٨

سورة الجن

- قل اوحى الى انه استمع ٠٠٠ الاية ١

سورة المزمل

- ١٧٧ واصبر على ما يقولون ٠٠٠ الاية ١٠-١١
١٨٠ ١٧٨ ان ربك يعلم ٠٠٠ الاية ٢٠

سورة المدثر

- ٢٧٤ يا ايها المدثر ٠٠٠ الاية ١-٢
١٦ ذرني ومن خلقت وحيدا ٠٠٠ الاية ١١-١٨
١٧ كذانه كان لا ياتنا عنيدا ٠٠٠ الاية ١٦
١٨ كلا والقمر ٠٠٠ الاية ٣٢
١٨ كذانهما تذكرة ٠٠٠ الاية ٥٤

سورة القيامة

- ١٨ كلا لا وزر ٠٠٠ الاية ١١
٤٥ لا تحرك به لسانك ٠٠٠ الاية ١٣
١٨ كلا بل تحبون الماجة ٠٠٠ الاية ٢٠
١٨ كلا اذا بلغت التراقيه ٠٠٠ الاية ٢٦

سورة المرسلات

- ٨٥ ويل يومئذ للمكذبين ٠٠٠ الاية ١٥
٣٦٢ ألم نخلقكم من ماء مهين ٠٠٠ الاية ٢٠-٢٢
١٨١ واذا قيل لهم اركعوا ٠٠٠ الاية ٤٨

سورة النبأ

- ١٨ كلا سيعلمون ٠٠٠ الاية ٤
١٨ ثم كلا سيعلمون ٠٠٠ الاية ٥
٣٤ ان يوم الفصل كان ميقاتا ٠٠٠ الاية ١٧-٣٠
٣٥ ان للمتقين مفازا ٠٠٠ الاية ٣١-٣٦

سورة النازعات

- ٣٥٩ يقولون اءنا لمرءودون ٠٠٠ الاية ١٠-١٤
٣٥ واما من خاف مقام ربه ٠٠٠ الاية ٣٤-٤١

سورة عبس

- ١٨ كلا انها تذكرة ٠٠٠ الاية ١١
٣٥ قتل الانسان ما اكفره ٠٠٠ الاية ١٧-٢٣
٣٥٦ فلينظر الانسان ٠٠٠ الاية ٢٤

سورة التكويد

- ٢٦٩ واذا المؤودة سئلت ٠٠٠ الاية ٨

سورة التطفيف

- ٩٥-١٨ كلا ان كتاب الفجار ٠٠٠ الاية ٧
٩٤ واذا تلى عليهم اياتنا ٠٠٠ الاية ١٣
١٨ كلاب ران على قلوبهم ٠٠٠ الاية ١٤
١٨ كلا انهم عن ربهم ٠٠٠ الاية ١٥
٩٥ ، ١٨ كلا ان كتاب الابرار ٠٠٠ الاية ١٨
٩٦ ان الذين اجرموا ٠٠٠ الاية ٢٩

سورة الانفطار

- ١٨ كلاب تكذبون بالدين ٠٠٠ الاية ٩

سورة البروج

٣٣٢ قتل اصحاب الاخدود ٨-٤ الاية ٠٠٠

سورة الطارق

٣٥ فلينذر الانسان مم خلق ٨-٥ الاية ٠٠٠

سورة الفاشية

٢٥٧ افلا ينظرون الي الابل ٠٠٠ الاية ١٧

سورة الفجر

١٨ كلاب لا تكرمون اليتيم ١٧ الاية ٠٠٠

١٨ كلاب اذا دكت الارض ٠٠٠ الاية ٢١

سورة الشمس وضحاها

٢٥٩ والشمس وضحاها ٠٠٠ الاية ١

٢٠٧ قد افلح من زكاهها ٠٠٠ الاية ٩

سورة العلق

٢٧٤ ٥٩ اقرأ باسم ربك ٠٠٠ الاية ١

١٨ كلاب ان الانسان ليطغى ٠٠٠ الاية ٦

١٨ كلاب لئن لم ينته ٠٠٠ الاية ١٥

٢١ ٥١٨ كلاب لا تطعه ٠٠٠ الاية ١٩

سورة البينة

٩٨ لم يكن الذين كفروا ٠٠٠ الاية ١

سورة الزلزلة

٩٩ اذا زلزلت الارض ٠٠٠ الاية ١

سورة التكاثر

١٨ كلا سوف تعلمون ٠٠٠ الاية ٣-٥

سورة الهمزة

١٨ كلالينبذن في الحطامة ٠٠٠ الاية ٤

سورة الماعون

١٨١ و ١٨٢ أرايت الذي يكذب بالدين ٠٠٠ الاية ١

سورة المسد

٢٧٥ تبت يدا ابي لهب ٠٠٠ الاية ١-٥

سورة الاخلاص

٩٩ - ٢٤١ قل هو الله أحد ٠٠٠ الاية ١-٤

فهرست الاحاديث والاثار

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
١٣	ارفضوا طعامكم . . .
٥٥	الحمد لله رب العالمين ام الكتاب . . .
٥٩	أول ما بدىء به رسول الله . . .
١٠١	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر . . .
١٣٧	اهل اليمن عاتيني فيهم ربي . . .
١٨٠	يا ام المؤمنين انبئيني . . .
٢٠١	فضل صلاة الصبح . . .
٣١٠	فقال ما لكم . . .
٣١٢	انشق القمر . . .
٣١٣	فقال انا نازل . . .
٣١٤	اللهم اغثنا . . .
٣١٥	اللهم حولنا . . .
٣١٦	كذبتسنى قريش . . .
٣٢٣	ايها الناس انكم . . .
٣٣٩	أليس الذي امشاه . . .
٣٤٩	نحن احق بالشك . . .
٣٦١	نعم يبيتك الله تعالى . . .

فهرس الاعلام

(ا)

٣٥٥٠ ٢٧٣٠ ٨٤٠ ٤١٠ ٣٩٠ ٣٧	ابراهيم عليه السلام
٣٠٩	ابراهيم بن اسحاق النظم
٣٢٠	ابراهيم بن موسى الشاطبي
٣٦٤	أبي بن خلف
٣١٨ ٠ ٩٨	احمد بن حنبل
٣١٠٠ ٠ ١٩٩٠ ٠ ١٣٤٠ ٠ ٦٨٠ ٠ ١٥٠ ٠ ٦	احمد بن علي بن حجر
٣١٧	
٢٦٥	الأزرقى
٧٧	اسماء بنت ابي بكر
١٢٠	اسماء بنت يزيد
٢٣٠٠ ٠ ١٣١٠ ٠ ٦٩٠ ٠ ٦٤٠ ٠ ٥٧٠ ٠ ٢٢	اسماعيل بن كسير
٠ ٣٥٠٠ ٠ ٣٤٧٠ ٠ ٣٤٣٠ ٠ ٣٢٢٠ ٠ ٢٨٥	
٣٧٤٠ ٠ ٣٦٥	
٣٤٨٠ ٠ ٢٣١	الالوسى
١٣٣	امية بن خلف
٦٨	انس بن مالك

(ب)

٢٩٩٠ ٠ ٢٩٤٠ ٠ ٥٨٠ ٠ ٣٩	الباقلانى
٢٤٥٠ ٠ ٢٧٨٠ ٠ ٢١٨٠ ٠ ٥٨٠ ٠ ٢٣	البيضاوى
٢٤٥	بولس الرسول

(ت)

الترمذى ٥٥ ٨٩ ١٢٨ ١٤٤ ١٨٧ ٢٤١

(ج)

جابر بن سمرة ٢٢
جبريل عليه السلام ١٠٠
ابو جعفر النحاس ٥٣ ٤٩
جعفر بن ابي طالب ١٤٩ ٢٦٣
ابو جميل - عمرو بن هشام ٦٨ ١٣٣ ١٨٥ ٢٨٦

(ح)

الحسن البصرى ٦٤
ابو الحسن الندوى ٢٧٠
حبيب النجار ٣٦٩
حمزة بن عبد المطلب ١٢ ٧٣ ١٤٣

(خ)

الخازن ٢٩٤ ٢٢١ ٢٣٩

(د)

داود عليه السلام ٣٩

(ذ)

أبو ذر الغفارى ١٢

(ر)

٣٤٣ ٥ ١١٦ ٥ ١٠١ ٥ ٧٢

الرازي

٣٢

الراغب الاصفهاني

(ز)

٢٨٨

الزجاج

٥٨

الزركشي

٢٩٣

الزرقاني

٥ ٢٤٩ ٥ ٢٤٧ ٥ ٢٧٧ ٥ ٤٧ ٥ ٢٤

الزمخشري

٣٨١ ٥ ٣٥٩ ٥ ٣٤٠ ٥ ٢٦١

٩٧

الزنجاني

٢٧٠

زهير بن ابي سلق

٦

زيد بن اسلم

زيد بن عمرو بن نفيل

(س)

٢٦٨

السددي

١٢٠

سفيان الثوري

٣٩

سليمان عليه السلام

١٩٢

سليمان بن عمر الجمل

٢٥٢

سعيد حوى

٣٩

السيد احمد صقر

٥ ١٧٨ ٥ ٩٣ ٥ ٧٤ ٥ ٧٠ ٥ ٣٣ ٥ ١٥

سيد قطب

٢٥٤ ٥ ٢٤٤ ٥ ٢٣٤ ٥ ١٨٩ ٥ ١٨١ ٥ ٣٣٢ ٥ ٣٥٤

٥ ٨٩ ٥ ٥٦ ٥ ٥٤ ٥ ٥١ ٥ ٤٩ ٥ ٨٥ ٥ ٣

السيوطي

١٩٤ ٥ ١٧١ ٥ ١٨٩ ٥ ١٦١ ٥ ١٠٥

(ش)

٢٧ ٨٤٤ ١٠٩٦	شعيب عليه السلام
٨٢	شوقى ضيف
٨٥ ٨٩ ٢٣١٦ ٢٣٦٦ ٣٦٠	الشوكاني
١٢٠	شيرين حوشب

(ص)

٣٧ ٨٤ ١٠٩٦ ٣٣٧ ٣٣٨	صالح عليه السلام
٩	صبحى الصالح

(ط)

٢٨٥	ابو طالب
١١٣ ٦٩	الطبراني
٧٤ ١١٦ ١٢٦ ١٢٨ ١٤٧	الطبرى
١٥٢ ١٥٤ ١٥٨ ١٦٧ ١٦٩	
١٧٣ ١٨٤ ٢٦٨ ٢٤١	

(ع)

٢ ٧٧ ١٠١ ٢١٦	عائشة ام المؤمنين
١٥	الحاص بن وائل
٥٥ ٢٠١	عبد الرحمن بن صخر ابو هريرة
٤ ٥٤ ٢٢٥ ٣٠٧	عبد العظيم الزقاني
٣٤٠	عبد الكريم الخطيب
٢٧٢	عبد الله بن جحش
٨٦	عبد الله بن سالم

١١ ٤٩ ٥٤ ٦٤ ٨٩ ٩٧ ١١٠	عبدالله بن عباس
١٣٣ ١٣٤ ١٣٤ ١٣٤ ١٣٤ ١٤٥	
١٦٦ ١٧٩ ٢٨٠ ٣١٨ ٣٣٩	
٣٤٧	
٧٥ ١٣٣ ٢٦٤ ٣١٢	عبدالله بن مسعود
٣٢٥	عبد الوهّاب النجار
٢٢٠	عثمان بن الحويرث
٢٤٤	عزير
٧٠	عطاء
٧٠ ٩٤ ١٣٣ ١٧٣ ٣٦١	عكرمة
١٤٣ ٢٨٦	علي بن ابي طالب
٦ ١٠٣	عمر بن الخطاب
٣٠٤	عمرو بن الدقيل
١٢ ١٤٧	عتبة بن ربيعة
٣١٨	عياض القاضي
٨٩ ٩٣	عوف بن مالك الاشجعي
٣٢٩	عيسى عليه السلام

(ف)

(ق)

١٤٩٦ ٨٩٦ ٥٣	قادة
١٩٧٦ ١٦٤٦ ١٠٦٦ ٩٤٦ ٧٠٦	القرطبي
٢٩٨٦ ٢٨٩٦	

(ك)

١٠٦٦ ٨١٦	الكرمانسي
----------	-----------

(ل)

١٠٠٦	لييد بن اعصم
٢٧٥٦	ابوليب
١٠٩٦ ٨٤٦ ٤١٦ ٣٩٦ ٣٧٦	لوط عليه السلام

(م)

٢٠٠٦ ١٨٤٦ ٦٩٦ ٥٣٦ ٤٩٦	مجاهد بن جبير
٣٦١٦	
١٠٥٦	مالك بن انس
١٥٨٦	محمد بن احمد الكلبي
٢٠٠٦ ١٩٠٦ ١٨٨٦ ١٤٢٦ ٩٧٦ ٢٦	محمد بن اسماعيل البخاري
١٩١٦	محمد الخضري
١٢٤٦	محمد رشيد رضا
١٩٤٦ ١٠٤٦	محمد ابوزهرة
٤٩٦	محمد بن سعيد
٢٦٢٦	محمد شديد
٣٣٦٦	محمد صادق عرجون

٢٠٨	محمد عبدالله دراز
٢١٧ ٢٨٣	محمد قنبل
٤ ١٤٩ ٥٤ ١٣٧	محمد محمد ابوشهبة
٥٧ ٢٤٠	محمد محمود حجازي
٦٣ ٢٢ ٩٢ ١٠٣ ١٧٨	مسلم بن الحجاج
١٩٨ ٣١٤	
٣٨	مريم بنت عمران
٧٢	مصطفى المراغي
٩٤ ١٤٩	مقاتل
٣٨ ٣٩ ٨٤ ١٦٦ ١٩٩	موسى عليه السلام

(ن)

١١٣	نافع
٨٩	النحاس
١٣٨	النضر بن الحارث
٣١٥	النورى الامام
٣٧ ٣٩ ٨٤ ١٠٩ ٣٢٤	نوح عليه السلام

(هـ)

٣٧ ٨٤ ١٠٩ ٣٢٥	هشود عليه السلام
---------------	------------------

(و)

٨٦ ١٦٩ ١٧١ ١٨٢ ١٨٥ ٣١١	الواحدى
------------------------	---------

(ي)

(ي)

٢٧٢	ورقة بن نوفل
١٢٤	يوسف عليه السلام
٢٠٨	يوسف القرضاوى
٣٧ ٣٩	يونس عليه السلام

فهرست موضوعات الرسالة

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
أ-ب	شكر وتقدير
ج-م	المقدمة
ج	سبب اختيار الموضوع
ز	منهج البحث
ح	خطة البحث

٢١٤-١

الباب الاول

المبحث الاول :

	المراد بالمكي والمدني
١	الاصطاح الاول
٣	الاصطاح الثاني
٥	الاصطاح الثالث
٧	الموازنة بين الآراء الثلاثة

المبحث الثاني في ضوابط المكي والمدني :

١١	الطريق الاول
١٣	الطريق الثاني
١٤	"كلا"
١٩	المسجدة
٢٣	حروف التبرجى
٢٦	يا ايها الناس
٣٠	يا بني آدم

المبحث الثالث : خصائص السور والايات المكية :

٣٢	الخصائص الاسلوبية
٣٦	الخصائص الموضوعية
٣٦	قصص الانبياء
٤١	الحديث عن القرآن الكريم
٤٧	<u>المبحث الرابع : معنى السورة :</u>
٤٨	بيان السور المتفق على مكيتها والمختلف فيها
٥٥	بيان السور التي ورد فيها الخائف وزمان نزولها
٥٥	سورة الفاتحة
٦٤	سورة الرعد
٧٢	سورة الحج
٧٧	سورة الرحمن
٨٥	سورة الصف
٨٩	سورة التغابن
٩٤	سورة التطهيف
٩٧	سورة القدر
٩٧	سورة البينة
٩٨	سورة الزلزلة
٩٩	سورة الاخلاص
١٠٠	المحفوظات
١٠٢	ترتيب الايات والسور واسمائها
١١١	<u>المبحث الخامس : بيان الايات المدنية في السور المكية</u>

والايات المكية في السور المدنية :

١١٢	سورة الفاتحة
١١٢	سورة الانعام
١٢١	سورة الاعراف
١٢٣	سورة هود
١٢٤	سورة يوسف
١٢٦	سورة ابراهيم
١٢٧	سورة الحجر
١٢٨	سورة النحل
١٢٩	سورة الاسراء
١٣٥	سورة الكهف
١٤٠	سورة مريم
١٤١	سورة طه
١٤٢	سورة الحج
١٤٤	سورة الفرقان
١٤٦	سورة الشعراء
١٤٨	سورة القصص
١٤٩	سورة العنكبوت
١٥٠	سورة الروم
١٥١	سورة لقمان
١٥٢	سورة السجدة
١٥٣	سورة سبأ
١٥٤	سورة يسن
١٥٥	سورة الزمر
١٥٧	سورة قنعر
١٦٠	سورة الشورى
١٦٢	سورة الزخرف

١٦٢	سورة الجاثية
١٦٥	سورة الاحقاف
١٦٨	سورة ق
١٧١	سورة النجم
١٧٢	سورة القمر
١٧٣	سورة الواقعة
١٧٥	سورة القلم
١٧٧	سورة المزمل
١٨١	سورة المرسلات
١٨١	سورة الماعون
١٨٢	الايات المكية في السور المدنية
١٨٤	سورة الانفال
١٨٨	سورة التوبة
	الحكمة من وجود آية مدنية في سورة مكية او آية
١٨٩	مكية في سورة مدنية
١٩٠	<u>المبحث السادس : التشريع في العهد المكي :</u>
١٩٥	النبي عن اكل الميتة
١٩٩	فرضية الصلاة
٢٠٣	الزكاة
٢١١	الامر بمكارم الاخلاق
٢١٢	حق الوالدين
٢١٥ — ٢٢٢	<u>الباب الثاني</u>
٢١٥	<u>المبحث الاول :</u>
٢١٦	الدعوة الى وحدانية الله
٢٢١	قل اضير الله اتخذ وليا . . .

- ٢٢٣ ان يدعون من دونه الا انا...
٢٢٦ دعوة الرسل الى وحدانية الله
٢٤٣ المبحث الثاني : في مناقشة المشركين :
٢٤٣ قول اليهود : عزير ابن الله...
٢٤٤ قول النصارى : المسيح ابن الله...
٢٤٦ وقالوا اتخذ الله ولدا...
٢٤٨ قول المشركين : انكذ الملكة بنت الله
٢٥١ المبحث الثالث : الايات الكونية :

٢٦٣ — ٣٣٣

الباب الثالث

- المبحث الاول
٢٦٣ حالة المجتمع قبيل البعثة المحمدية
٢٦٥ تعدد الانكحة
٢٦٦ شرب الخمر
٢٦٧ التعامل بالربا
٢٦٨ نظرتهم الى المرأة
٢٦٨ قتل الاولاد
٢٧١ البحث عن مخرج...
المبحث الثاني :
٢٧٤ انكار المشركين ان يكون الرسول من البشر
٢٨٠ مساومة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم
٢٨١ معاذلة المشركين بخوارق العادات
٢٨٢ رد القرآن الكريم على شبهاتهم
٢٨٥ اجتماعهم بابي طالب

المبحث الثالث :

- ٢٨٨ تنأيد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات
٢٨٨ معنى المعجزة
٢٨٩ شروطها
٢٩١ الفرق بين المعجزة والكرامة
٢٩٣ الفرق بينها وبين السحر
٢٩٣ القرآن الكريم معجزة الرسالة الخالدة
٣٠٧ التدرج في التحدى
٣١٠ المعجزات الحسية
٣١٠ نبع الماء من بين اصابحه الشريفة
٣١١ انشقاق القمر
٣١٣ تكثير الطعام
٣١٤ الاستسقاء
٣١٧ الاسراء
المعراج
٣١٩ المبحث الرابع : في ذكر قصص الماضين :
٣١٩ معنى القصة
٣٢٢ قصة نوح عليه السلام
٣٢٥ قصة عاد قوم هود
٣٢٧ قصة ثمود قوم صالح
٣٢٩ قصة اصحاب القرية
٣٣١ قصة اصحاب الاخدود

الباب الرابع

- ٣٣٤ المبحث الاول : تعريف البحث :
- ٣٣٥ امكانيته عقلا
- ٣٣٧ اثباته شرعا
- ٣٥٢ بيان انه عقيدة جميع رسل الله
- ٣٥٦ المبحث الثاني : في مناقشة منكر البحث والرد عليهم :
- ٣٦٧ المبحث الثالث : الجزاء على الاعمال :
- ٢٦٨ النفخة الاولى وقيام الناس من قبورهم
- ٣٧٣ ونضح الموازين القسط . . .
- ٣٧٥ الخصومات بين التابعين والمتبوعين
- ٣٧٩ وصف حال النار وعذابها والجنة ونعيمها . . .
- ٣٨٤ خاتمة البحث
- ٣٨٧ فهرست المراجع
- ٣٩١ فهرست الايات القرآنية
- ٤١٦ فهرست الاحاديث والاثار
- ٤١٧ فهرس الاعلام
- ٤٢٤ فهرس الموضوعات